المجالس الشجية

في

آثار أم البنين التقية

تأليف

الشيخ مهدي تاج الدين

المنشورات

مكتبة المدرسة

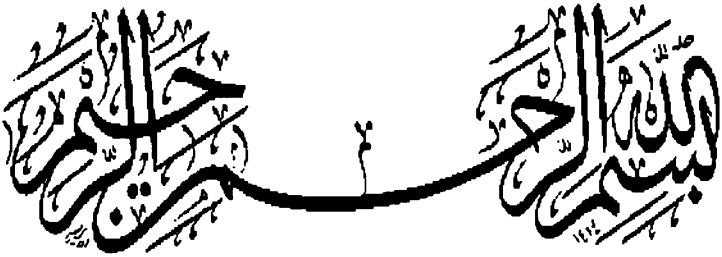

المجالس الشجية

في سيرة

أم البنين النقية

المكتبة الحيدرية

وَالحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمَّد وآله الطَّاهرين، واللَّعنة الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدّين.

وبعد: فإنّ الكتابة عن حياة أهل البيت عليهم السلام ومن يرتبط بهم، ودراسة شخصيّاتهم، وبيان فضائلهم من أعظم مصاديق إحياء شعائر الله تعالى، ومن أبرز مصاديق قوله تعالى «**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**» فهم مثال نور الله قد ضمتهم «**بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**» فيجب الإشادة بفضل ذواتهم ومقاماتهم.

وفي طليعة هذه الذوات، والّتي إرتبطت بأهل البيت عليهم السلام هي السيّدة الفاضلة أمّ البنين، فاطمة بنت حزام أمّ الشُّهداء الأربعة، والّتي خلد التّاريخ ذكرها إذ تُقصد في المهمّات لكونها باب من ابواب الحوائج إلى الله تعالى.

وقد ذابت هذه المخدّرة المكرّمة في ولائها لأهل البيت عليهم السلام وتمسّكت بهداهم، واقتدت بآثارهم حتّى صارت من أولياء الله المقرّبين عنده وعندهم، فارتفعت إلى أعلى علّيّين من خلال سبيل الكمال الذي رسمه الله لها ولجميع خلقه، فكانت أمّ البنين عليها السلام من السّابقين في هذا الميدان حتّى صارت ذا جاه عريض عند اهل البيت عليهم السلام وعند بارئهم.

وبالرغم من أنّها كانت ولا زالت من ابواب الله، وأنّها كانت ولا زالت من أبرز أعلام نساء التاريخ، إلّا أنّ التّاريخ لم يعطها حقّها ـ كما هو شأنه مع الأبرار ـ فإنّك لاتكاد تعثر في المصادر عن شيء فيه تفصيل عن حياة هذه الكريمة. عن تاريخ... طفولتها... شبابها... كم هو عمرها يوم دخلت بيت أميرالمؤمنين عليه السلام... تفاصيل حياتها مع زوجها ومع أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله.

فإنّها لاشكّ كانت زوجة مثاليّة رغم أنّها لم تكن معصومة كالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ولا ريب أنّها كانت من أبرز مصاديق «**عمّال الله في الأرض**» وفق روايات أهل البيت عليهم السلام وأدبيّاتهم الخاصّة بالحياة الزّوجيّة... فكيف عاشت مع أميرالمؤمنين عليه السلام! وهكذا تفاصيل حياتها مع أبنائها ـ كأمّ ـ ربّت أفضل نموذج يمكن أن يقدّمه القرآن والعترة الطّاهرة من الذرية الصّالحة...

وكيف عاشت بعد أميرالمؤمنين عليه السلام وبعد واقعة الطّف؟!

تغافل المؤرّخون والرّواة عن متابعة تفاصيل حياة امرأة تعدّ لوحدها «أمّة» و «مدرسة» متكاملة للأجيال، وخاضوا في جزئيات حياة حفنة من السفلة والأوغاد... ولعلّ من جملة الأسباب الكامنة وراء ذلك.

أنّها كانت زوجة أمير المؤمنين عليه السلام، وما حمل التّاريخ من الضغائن ضدّ هذا البيت المبارك ومحو آثارهم، والإنقلاب الّذي حصل عليهم بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقتلهم بضعته الصديقة فاطمة عليها السلام بعد كسر ضلعها، واسقاط جنينها، وحرق دارها، حتى لحقت بابيها صلى الله عليه وآله، وغصبهم لخلافة امير المؤمنين علي عليه السلام بلا فصل بعد النبي صلى الله عليه وآله.

فإنّ أمّ البنين عليها السلام عاشت في ظلّ هكذا بيت ظُلم من قبل بعض الصحابة، ومن ثمّ عاشت في بيت ضمّ الحسن والحسين وزينب عليهم السلام، الّذي قال عنهم النّبي صلى الله عليه وآله: «**ستنزل عليكم المصائب كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالصّبر**» وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وكأني بكم وقد خرجت عليكم الفتن من ههنا وههنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة**»[1].

فلهذه الاسباب قد تغافل المؤرّخون عن هذه السيّدة الجليلة، وغيرها

---

١ ـ البحار ج ٣٢ ص ١٧ و ج ٤٢ ص ٢٩٢.

من اتباع اهل البيت عليهم السلام فقد كانت أم البنين عليها السلام، من المخدّرات المستورات فهي الفتاة المهذَّبة في بيت أبيها، وهي الزَّوجة المطيعة في بيت بعلها، هي الخادمة العطوفة لأبناء فاطمة عليها السلام، هي الأمّ المربّية النّاجحة لأولادها، هي الحنان والإخلاص والإيثار والأخلاق كلّها، هي الحياء والعفاف والحجاب والوفاء والثّبات والمعاني التربويَّة جميعها. وأرجوا من الله تعالى أن يتقبَّل هذا الجهد بأحسن القبول وأن يوفّقني لخدمة أهل البيت عليهم السلام ولنشر معالمهم وآثارهم ببركة هذه السيِّدة الجليلة، وأن تنظر إليّ نظرة حبّ وولاء.

وقد كتبتُ هذه المحاضرات وقدّمتها للطّبع قربة إلى الله تعالى لتكون ذخيرة لآخرتي إن شاء الله تعالى، واستجابةً لطلب بعض المؤمنين عسى أن يتفضّل الله عليَّ بالقبول بفضله وكرمه إنّه واسع كريم.

هذا.. وقد جرت العادة أن يهدي المؤلّف كتابه إلى أحد شخصيَّات العصر وعظماء الزمن، وإنّني لا أعلم أحداً أفضل وأعظم من سيّدنا ومولانا صاحب العصر والزمان الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف وإلى أمّه فاطمة الزَّهراء سلام الله عليها، فإليك يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعته الطّاهرة، وإليكَ يا بقيَّة الله في إرضه وحجَّته على خلقه.

يا خاتم الأوصياء، أيّها المنتقم لدم جدّك سيّد الشهداء، ويا فاطمه

الزهراء عليها السلام إليكما أهدي هذه الصفحات المتعلّقة بأمّ البنين عليها السلام فاطمة بنت حزام، باب الحوائج إلى الله تعالى فتقبّلوا منّي هذه البضاعة المزجاة وتصدّقوا علينا إنّ الله يجزي المتصدّقين.

مهدي تاج الدين

١١/ ذي القعدة/ ١٤٣١ هجري

قم المقدّسة

زيارة السيّدة أمّ البنين عليها السلام

(هذه الزيارة مأخوذة من زيارة أبي الفضل العبّاس سلام الله عليه)

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهَدُ أن لا إلهَ إلّا الله وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأشهَدُ أنَّ مُحمّداً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، السَّلامُ عَلَيكَ يا رَسُولَ الله، السَّلامُ عَلَيكَ يا أميرالمؤمنينَ، السَّلامُ عَلَيكِ يا فَاطِمَةَ الزَهراء سَيِّدَةَ نساءِ العالَمينَ، السَّلامُ على الحسنِ وَالحُسَينِ سَيِّدي شَبابِ أهلِ الجَنَّةِ، السَّلامُ عَلَيكِ يا زَوجَةَ وَصيّ رَسُولِ الله، السَّلامُ عَلَيكِ يا عَزيزَةَ الزَهراءِ، السَّلامُ عَلَيكِ يا أُمَّ البَدُورِ السَواطِعِ يا فَاطِمَةَ بِنتِ حِزامٍ الكِلابيّةِ المُكنّاةِ بـ (أُمِّ البَنين) وَرَحمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ.

أُشهِدُ اللهَ وَرَسُولَهُ أنَّكِ جَاهَدتِ في سَبيلِ الله؛ إذ ضَحَّيتِ

بأولادِكِ دُونَ الحُسينِ ابنِ بنتِ رَسُولِ الله، وَعَبَدتِ اللهَ مُخلِصَةً لَهُ الدِّينَ بِوِلائِكِ لِلائمَّةِ المَعصُومينَ، وَصَبَرتِ عَلى تِلكَ الرَزيّةِ العَظيمَةِ، واحتَسَبتِ ذَلِكَ عِندَ الله رَبِّ العَالَمينَ وَآزَرتِ الإمامَ عَليّ بن أبي طَالِبٍ عَلَيهِ السَّلامُ في المِحَنِ وَالشَدَائِدِ وَالمَصائِبِ، وَكُنتِ فِي قِمَّةِ الطاعَةِ وَالوَفاءِ وَأَنَّكِ أحسَنتِ الكَفَالَةَ، وَأَدَّيتِ الأَمَانَةَ الكُبرى في حِفظِ وَدِيعَتَي الزَهراءِ البَتُولِ عَلَيها السَّلامُ، السِبطينِ الحَسَنِ وَالحُسينِ عَلَيهُمَا السَّلامُ، وَبالَغتِ وَآثَرتِ وَرَعيتِ حُجَجَ الله المَيَامينَ وَسَعَيتِ في خِدمَةِ أبناءِ رَسُولِ رَبِّ العالَمينَ، عَارِفَةً بِحَقِّهِم، مُوقِنَةً بِصِدقِهِم، مُشفِقَةً عَلَيهِم، مُؤثِرَةً هَواهُم وَحُبُّهُم على أولادِكِ السُّعَداءِ.

فَسَلامُ الله عَلَيكِ كُلّما دَجَنَ اللَيلُ وَأضاءَ النَهارُ، فَصِرتِ قُدوَةً للمُؤمِناتِ الصالِحاتِ لأَنَّكِ كَريمَةُ الخَلائِقِ تَقيَةٌ زَكِيَةٌ، فَرَضيَ اللهُ عَنكِ وأرضاكِ، وَجَعَلَ الجَنَّةَ مَنزِلَكِ وَمَأواكِ، وَلَقَد أعطاكِ مِنَ الكَرامَاتِ البَاهِراتِ حَتَّى أصبَحتِ بِطاعَتِكِ لِسَيِّدِ الأوصِياءِ وَبِحُبِّكِ لِسَيِّدَةِ النِساءِ الزَهراءِ عَلَيها السَّلامُ، وَفِدائكِ بِأولادِكِ

الأربَعَةِ لِسَيِّدِ الشُّهَداءِ عَلَيهِ السَّلامُ، باباً لِلحَوائجِ، فَإنَّ لَكِ عِندَ اللهِ شَأناً وَجَاهاً مَحموداً.

وَالسَّلامُ عَلى أولادِكِ الشُّهَداءِ العَبّاسِ عَلَيهِ السَّلامُ قَمَرَ بَني هَاشِم بابَ الحَوائِجِ، وَعَبدِاللهِ، وَعُثمانَ وَجَعفَرٍ عَلَيهيم السَّلام الّذينَ استُشهِدُوا في نُصرَةِ الحُسينِ عَلَيهِ السَّلامُ، بِكَربَلاءَ، فَجَزاكِ اللهَ وَأجزاهُم أفضَلَ الجَزاءِ في جَنَّاتِ النَعيمِ، اللهمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَدَدَ الخَلائِقِ الّتي حَصرُهَا لايُحتَسَبُ أو يُعَدُّ، وَتَقَبَّلَ مِنَّا يَا كَريم.

«وصلّى الله على محمّد وآل الطاهرين»

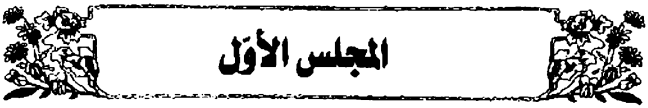

المجلس الأوّل

حول نسب ام البنين عليها السلام وولادتها

أمُّ البنين عليها اللهُ قد سَدلا ... جلباب فضلٍ به جبريلُ قد نَزلا

تجلببتْ فاطِمٌ جلبابَ خالِقِها ... لمّا استقرّت ببيتِ آلهُ فُضِلا

عاشت مكرَّمةً في بيت حيدرَةٍ ... كما يعيش الذي للخلد قد وَصَلا

أضحت تربّي بني الزهراءِ تخدِمُهُم ... كالأمِّ صارَت لهم أنعِمْ بها مثَلا

واستأثرتْ اسمَها أكرِمْ بما نطقت ... (أم البنين أنا لا أرتضي بدلا)

اسمي يُهيجُ عليهم حُزنَ أمِّهِمُ ... إن قيل فاطِمُ قال الدَّمعُ حَيَّ على

فلا أحبُّ بأنْ تبكي لهم مقلٌ ... ولا أحبُّ لهذا الحزنِ أن يَصِلا

أمُّ البنينِ أنا والكلُّ يعرِفُني ... في كُنيتي نبأُ بالغيبِ مُتَّصلا

أمُّ البنينِ أنا واللهُ أيّدني ... بأنجُمٍ نورُها تالله ما أفلا

علّمتهم حبَّ أهلِ البيتِ في صِغَرٍ ... فاستعصموا بالولا والقَصدُ قد حَصُلا

قد قدّموا النفسَ في مرضاةِ خالقهم فالبذلُ شيمتُهم أعظم بما بذلا

واسترخصوا الروحَ في إنقاذِ سيّدهم أعني الحسينَ ولكن بالظما قتلا

يا ليتني قد طواني الموت قبلهم ولا سمعت بناعي الطفّ قد دخلا

إلى المدينة ينعى وهو منتخباً يا أهل يثرب عنك عزُّكم رحلا[1]

١ ـ للشاعر عقيل اللواتي.

المجلس الأول

حول نسب أم البنين عليها السلام وولادتها

قال الله الحكيم في محكم كتاب الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»[1]

(صدق الله العلي العظيم)

من هي أم البنين عليها السلام

للاجابة عن هذا السؤال نقول هي: فاطمة بنت حزام بن خالدبن ربيعة

١ـ سورة حجرات، آية١٣.

بن عامر بن كلاب بن عامر بن صعصعة[١] الكلابية العامريّة زوجة وصي رسول الله صلى الله عليه وآله اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وام العباس واخوته عليهم السلام شهداء كربلا.

امها: ثمامه[٢] وقيل ليلى[٣] بنت السهيل بن عامر بن مالك بن ابي براء عامر بن ملاعب الاسنّه ولُقّب ابوبراء وهو جدُّ أم البنين عليها السلام بملاعب الاسنة لشجاعته في الحروب حتى قال لبيدبن ربيعة فيه وفي اجداد أم البنين لمك الحيرة:

نحـن بنـو أم البنين الاربعـه ونحن خير عامر بن صعصعه

الضاربون الهام وسط المجمعه

ولبيد بن ربيعة هو عم أم البنين عليها السلام واخو حزام وقد ارسله ابو براء لاعب الاسنه الى النبي صلى الله عليه وآله مع هديّة لشافه حيث صار به مرض الاستسقاء[٤] فلم يقبلها النبي صلى الله عليه وآله لانه لم يقبل هدية مشرك، ثم اخذ النبي صلى الله عليه وآله جثوة (التراب المجتمع) من الارض فتفل عليها وقال للُبَيد دفها

١ـ تنقيح المقال المامقاني باب الكنى ٣: ٧٠، عمدة الطالب٢٥٦. اعلام انساء المؤمنات لمحمد حسون.

٢ـ مقاتل الطالبين: ٨٢. ابصار العين٢٥. ادب الطف ١: ٧٢.

٣ـ عمدة الطالب ٣٥٦. اعلام النساء للاعلمي.

٤ـ وهو الذي يشرب الماء كثيراً ولا يرتوي.

بماء (اخلطها) ثم اسقها اياه، فاخذها متعجبا يرى انه قد استُهزء به فشربها ابوبراء فأُطلق من مرضه[١].

واما لُبَيد بن ربيعة وهو الشاعر المعروف عم أم البنين عليها السلام فقد مدحه النبي صلى الله عليه وآله لبيت شعرٍ قالها في حق الله تعالى قال صلى الله عليه وآله: «**اصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد**» وهي:

ألا كُلُّ شيءٍ ما سوىٰ اللهِ باطلُ وكـلُّ نعيمٍ لامحـالةَ زائلُ[٢]

وكان يُعد من فحول الشعراء منذ أسلَمَ وقال: ماكنتُ لاقول شعراً وقد علمني الله تعالىٰ سورة البقرة وآل عمران.

بشائر ولادتها عليها السلام

يروى أن حزام بن خالد بن ربيعة كان في سفر له مع جماعة من بني كلاب، وبينما هو نائم في ليلة من الليالي، فرأى نفسه كأنه جالس في أرض خصبة، وقد انعزل في ناحية عن جماعته وبيده دُرَّة يقلّبها وهو متعجب من حسنها ورونقها.

وإذا به يرى رجلاً فارساً قد أقبل إليه من صدر البرية، على فرس له

١ـ أم البنين رمز التضحيه والفداء ٢١. ادب الطف١: ٧٢.

٢ـ مصباح الشريعه ٦٠.

فلما وصل إليه سلم عليه فرد حزام السلام عليه ثم قال له الفارس بكم تبيع هذه الدُرّة؟ وقد رآها في يده فقال له حزام: إني لم أعرف قيمتها حتى أقول لك ولكن أنت بكم تشتريها؟

فقال له الفارس وأنا كذلك لا أعرف ولكن اقترح عليك ان تهديها الىٰ من هو جدير بأن يُهدىٰ اليه وحقيق بأن يُتحف بها، وأنا اضمن لك بشيء هو أغلى من الدراهم والدنانير، فقال له حزام وما هو ذلك الشيء الاغلىٰ من الدراهم والدنانير؟

قال أضمن لك الحظوة عنده والزلفى لديه والشرف والسؤدد أبد الآبدين، قال حزام أتضمن لي بذلك؟

قال الفارس وبكل صلابه نعم أضمن لك ذلك.

فقال حزام: وتكون أنت الواسطة والكفيل أيضاً في ذلك!!

قال الفارس: وأكون أنا الواسطة أعطني إياها فأعطاه حزام إياها وفوّضه في امرها. فلما انتبه حزام من نومه قص رؤياه على جماعته ومن كان معه من قومه، وطلب تأويلها.

فقال له أحدهم: إن صدقت رؤياك فإنك ترزق بنتاً ويخطبها منك أحد العظماء وتنال عنده بسببها القربى والشرف والسؤدد.

فلما رجع حزام من سفره، وكانت زوجته ثمامة بنت سهيل حاملاً

بفاطمة أم البنين عليها السلام وصادف عند قدوم زوجها من سفره كانت قد وضعت بها فبشروه بذلك فتهلل وجهه فرحاً بذلك.

وقال في نفسه قد صدقت الرؤيا، فقيل له ما تسميها؟ فقال لهم سموها: (فاطمة) وكنوها: (أم البنين).

ثمّ نشأت الوليدة نشأة صالحة في أحضان أمّها ثمامة، وعلى يدي أبيها حزام، وتأدّبت في بيت الوالدين بآداب العرب، وأخلاق الصّالحين الأبرار، وشِيم النبلاء الأحرار، حتّى بلغت مبلغاً لائقاً تأهّلت به للزواج، وتمكّنت من إدارة الشؤون البيتيّة والعائليّة، وذلك بعد أن إرتفعت إلى مستوى عال من الأدب والكمال، بحيث إستطاعت عبره لأن تكون زوجة لأشرف خلق الله تعالى بعد الرسول صلى الله عليه وآله وأمّاً لذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

تاريخ ولادتها عليها السلام

مما يؤسف له أن التاريخ قد تنكر لهذه المرأة العظيمة، ففي الوقت الذي يحصي لنا صغائر الأمور وتوافهها من مجالس اللهو والطرب في دولة بني أمية وبني العباس، حتى لون قلادة ذلك القرد، وشسع نعل تلك المومسة، ومُواء قطٍّ في ذلك البلاط، وغير ذلك مما لا يُذكر حياءً أو ليس

١ـ أم البنين سيرتها وكراماتها، ص٤٥. الخصائص العباسية ص ٢٦ للكلباسي.

أهلاً أن يذكر.

نجد حياة هذه المرأة الجليلة مطموسة مغمورة، فأين أيام هذه المرأة المعجزة التي تكللت بالقيم والمثل العليا، أين مواقفها الكريمة؟ أين مواعظها؟ أين علمها؟ أين بطولاتها؟ أين جهادها؟ أين صبرها؟ أين أيامها التي قضتها في بيت الإمامة؟ أين إحياؤها الليل بالعبادة والمناجاة؟ وأين... وأين؟.

يصل الأمر إلى أن لا نجد في صفحات التاريخ ما يثبت حتى يوم ولادتها.

إنه لأمر مؤلم حقاً، ولكن لئن طمس الظالمون ذكرها عقاباً وتحاملاً عليها لولائها لأهل بيت العصمة عليهم السلام «**الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**»، فقد قيض الله لها من يذوب في حبها، وولائها والذود عنها، والبحث عن مناقبها وفضائلها تحت كل حجر ومدر.

ومهما يكن من أمر فإنه يمكننا أن نعرف زمان ولادة أم البنين عليها السلام بلحاظ زمان ولادة ولدها الأكبر قمر العشيرة أبي الفضل العباس بن علي عليه السلام، فقد كانت ولادته على ما أثبتها المؤرخون في السنة السادسة والعشرين من الهجرة النبوية.

وكان عمره الشريف يوم شهادته في كربلا (٣٤) سنة كما عن أعلام

الورى للطبرسي وهو المشهور، وإن ذكر بعضهم أن عمره يوم عاشوراء كان (٣٨)[1] سنة مع العلم أن تاريخ واقعة الطف سنة ٦١هـ.

كذلك بالاعتماد على ما يظهر من كلام عقيل بن أبي طالب لأخيه أميرالمؤمنين عليه السلام: «**أين أنت من فاطمة بنت حزام**»، وذلك عقيب قول الإمام لأخيه عقيل «**ابغني امرأة ولدتها الفحول من العرب**» حيث يظهر أنها كانت في سن النضج الجنسي وبلوغ الرشد الذي يجعلها صالحة لأن تكون زوجة لأمير المؤمنين عليه السلام أو غيره، فلو كانت دون الخامسة عشرة من عمرها مثلاً فإنه يبعد أن يذكرها (عقيل) وهو العالم في الأنساب والأعراف من غيره بمن هي أصلح لتكون زوجة لأخيه عليه السلام من حيث العمر والكفاءة كما لا يمكن أن يكون زواجها من أميرالمؤمنين عليه السلام بعد السنة السادسة والعشرين من الهجرة النبوية على كل الاحتمالات لأن ولادة ولدها العباس عليه السلام كانت سنة ٢٦هـ على القول المشهور وسنة ٢٣هـ بناء على القول الثاني وهو أن عمره عليه السلام يوم شهادته ٣٨ سنة.

كما أن نضوج الفتاة الجنسي وبلوغها سن الرشد يختلف من زمان إلى آخر وطبيعة المجتمع والبيئة التي تعيش فيهما الفتاة لهما الأثر في نضوجها

١ـ السيدة أم البنين سيرتها وكراماتها للشيخ اشرف الزهيري الجعفري، ص٤٧ عن نساء حول أهل البيت: ص١١٦.

الجنسي وبلوغها سن الرشد، وبحسب الدراسة لطبيعة مجتمع وأسرة وبيئة السيدة أم البنين عليها السلام وموقعها الاجتماعي الذي يجعل من المستبعد أن تظل إلى سن الثالثة أو الرابعة والعشرين بلا زواج من حيث هي، والى سن الخامسة والعشرين بلا زواج من حيث عمر ولدها العباس عليه السلام يوم شهادته (٣٤) سنة.

نُرجّح على نحو التقريب أن يكون عمرها يوم زواجها بعلي عليه السلام كان بين (١٧ـ ٢١) سنة وحسب العادة أن يكون الولد البكر بعد الزواج بحدود السنة الواحدة ما لم تكن هناك عوارض فيكون عمرها يوم ولادة ولدها العباس عليه السلام بين (١٨ـ ٢٢) سنة وبلحاظ ما ذكرنا من زمان ولادة العباس عليه السلام سنة ٢٦هـ وأن عمره (٣٤) سنة يوم شهادته سنة ٦١هـ نستنتج أن ولادتها عليها السلام تقع بين (٥ـ ٩هـ) تقريباً نعم هناك من يقول: بأن عمر السيدة أم البنين يوم كربلاء أي في زمان واقعة الطف كان قرابة خمس وخمسين سنة[1] على أكثر التقارير وبهذا القول يكون زمان ولادتها في السنة السادسة من الهجرة الشريفة.

كما ذكر السيد محمد الأشيقر في كتابه (العباس رجل العقيدة والجهاد) قائلاً:

١ـ أم البنين سيرتها وكراماتها، ص٤٨ عن نساء حول أهل البيت عليهم السلام، ص١١٦.

لقد ولدت فاطمة أم البنين عام (٥هـ) في أصح الأقوال أي أنها تصغر بسنة واحدة عن عمر الإمام الحسين عليه السلام لكنه لم يشر إلى مصدر قوله هذا، وهل له مستند أم لا، وإن كان يظهر العدم خصوصاً مع تعبيره بكلمة (في حدود). والأمر سهل.

منزلتها ونشأتها عليها السلام

تربت السيدة أم البنين في أسرة عريقة شريفة من أجلّ الأسر منزلة وأعلاها شرفاً وأجمعها للمآثر الكريمة والخصال الحميدة التي تفتخر بها سادات العرب، كالجود والكرم والشجاعة والفصاحة والحمية والإباء، ومكارم الأخلاق ومحامد الخصال من العفة والطهارة والنبل والكرم وأمثالها، ونشأت على الإيمان والزهد والتقوى، فكانت تقية متورعة، عفيفة النفس، لينة الجانب فبوركت لها تلك النشأة وهنيئاً لها تلك التربية.

يقول الشهيد الأول الفقيه الورع محمد بن مكي العاملي صاحب (اللمعة الدمشقية).

«كانت أم البنين من النساء الفاضلات، العارفات بحق أهل البيت عليهم السلام مخلصة في ولائهم، ممحضه في مودتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه، والمحل الرفيع».

وقال سيد محسن الامين في اعيان الشيعة انها «**شاعرة فصيحة وهي من بيت عريق في العروبه والشجاعة**»[١].

ويقول النقدي في كتابه زينب الكبرى عند ذكره لأم البنين «**كانت من النساء الفاضلات العارفات بحق اهل البيت عليهم السلام كما كانت فصيحه بليغة، لسنة ورعة ذات تُقى وزهد وعبادة، ولإكبارها وجلالتها زارتها زينب الكبرى بعد منصرفها من واقعة الطف**[٢]».

أولادها الاربعة عليهم السلام

اتفقت الكلمة في المراجع والمصادر على أنّ أولاد أمير المؤمنين عليه السلام من السيّدة الجليلة أمّ البنين أربعة كلّهم ذكور، وقالوا كما في سر السلسلة العلويّة (ص ٨٨) انه عليه السلام لم يعقّب من فهرية بعد فاطمة (الزهراء عليها السلام) الاّ منها، فقد رزقت السيدة أم البنين عليها السلام أربعة أولاد ذكوراً استشهدوا جميعاً في معركة الطف الدامية ذوداً عن الدين بين يدي أخيهم سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام وهم:

١ـ اعيان الشيعة، ج ٨، ص ٣٨٩.

٢ـ زينب الكبرى، ص٨٨.

١ـ العباس بن علي عليه السلام:

ويعرف بـ (العباس الأكبر) لأن أمير المؤمنين عليه السلام ولداً آخر باسم العباس الأصغر وأمه الصهباء التغلبيه كما في عمدة الطالب وقد استشهد يوم العاشر من المحرم وأما العباس الأكبر عليه السلام فهو أول مولود للسيدة أم البنين عليها السلام، كانت ولادته يوم الجمعة الرابع من شعبان في السنة السادسة والعشرين للهجرة.

فكان عندها أعز من الحياة، وكانت تخاف عليه، وتخشى من أعين الحساد أن تصيبه وكانت بالله وتقول هذه الأبيات:

أعيذهُ بالواحدِ من عينِ كلِ حاسدٍ
قائمهم والقاعدِ مسلمهم والجاحدِ
صادرهم والواردِ مولدهم والوالدِ

سماه أبوه (عباساً) وهو من أسماء الأسد ويعني الأسد الضاري لما قد أحاط به علماً من غامض القضاء ولشجاعته وصولته في الحروب قال الشاعر:

عبست وجوهُ القومِ خوفَ الموتِ والعباسُ فيهم ضاحكٌ متبسمُ
قلبَ اليمنَ على الشمالِ وغاصَ وفي الاوساطِ يَحصدُ للرؤسِ ويَحطِمُ

وكنيته المشهورة «أبوالفضل» وألقابه كثيرة منها قمر بني هاشم وبطل العلقي وباب الحوائج وساقي العطاشى.

ولقد عُرف بشدة تواضعه لأخيه الإمام الحسين عليه السلام فكان يمرّغ خديه ورأسه بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام وكان إذا خاطبه لا يقول يا أخي بل يقول: «**يا سيدي يابن رسول الله**».

ولقد سطر أبوالفضل العباس أروع الدروس في المواساة لأخيه الإمام الحسين عليه السلام، منها امتناعه عن شرب الماء وأخوه الحسين عطشان، رغم شدة عطشه، ووصوله إلى الماء، وتحسس برده بيده، حتى سقط صريعاً بجنب المشرعة.

فأكبَ منحنياً عليه ودمعُهُ صَبَغَ البسيطَ كأنما هو عَندهُم
قد رامَ يلْثمَه فلم يَرَ موضعاً لم يُدمِه عضٌّ السلاحِ فيلَثَم
نادى وقد ملأ البوادي صيحةً صُمُّ الصخورِ لهولها تتحطم تَتألمُ
أأخيَّ يُهنيكَ النعيم ولم أخلْ ترضى بأن أُرزى وأنت مُنعَّمُ

٢ـ عبدالله بن علي عليه السلام:

ويكنى بأبي محمد وهو ثاني مولود للسيدة أم البنين عليها السلام، عاش مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ست سنين وكان عمره يوم الطف كما ذكر المؤرخون خمساً وعشرين سنة أي بينه وبين أخيه العباس قرابة تسع سنين، ولعبدالله

هذا موقف بطولي خالد يوم الطف فلقد تقدم للقتال وهو يقول:

أنا ابن ذي النجدة والإفضال ذاك عليٌ الخيرِ في الأفعالِ

سيفُ رسولِ الله ذو الفصالِ في كلِ يومٍ ظاهرِ الأهوالِ

فشدّ عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فضربه بالسيف على رأسه، فسقط شهيداً، وفي زيارة الناحية المنسوبة لإمامنا الحجة عليه السلام بيان لهذا الموقف البطولي:

«السلام على عبدالله ابن أمير المؤمنين مبلي البلاء، والمنادي بالولاء، في عرصة كربلاء، والمضروب مقبلاً ومدبراً».

ويتضح من قول الإمام عليه السلام (مبلي البلاء) تلك الشجاعة العظيمة والتضحية الكبيرة والبسالة الحيدرية التي قدّمها، كما يتضح من قول الإمام عليه السلام **«المضروب مقبلاً ومدبراً»** إحاطة العساكر به وتعاونهم على قتله لما تعسّر أن يقاتلوه من جهة واحدة.

٣ـ عثمان بن علي او عبد الرحمن بن علي عليه السلام:

وهو ثالث مولود للسيدة أم البنين عليها السلام، ولد بعد أخيه عبدالله بسنتين، وفي مقاتل الطالبيين بأربع سنين وعمره يوم الطف ثلاث وعشرون سنة، وفي مقاتل الطالبيين واحد وعشرون سنة.

وقال ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٢٤٣ ان اسمه عبد الرحمن وليس عثمان، وعلى فرض ان هذا اسمه فلما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من انه قال [على فرض صحة الروايه] «**انما سميته باسم اخي عثمان بن مظعون**»[1].

وله موقف بطولي خالد يوم الطف حيث تقدم إلى الميدان وهو يرتجز ويقول:

إني أنا عثمانُ ذو المفاخرِ شيخي عليٌّ ذو الفعال الطاهرِ
أخي حسينٌ خيرةُ الأخاير وسيدُ الكبارِ والأصاغِرِ
بعد الرسول والوصي الناصر

فرماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم وقع في جبينه فأضعفه حتى سقط عن فرسه إلى الأرض، فجاءه رجل من بني أبان بن دارم فاحتز رأسه الشريف.

٤ـ جعفر بن علي عليه السلام:

ويكنى بابي عبدالله، وهو المولود الرابع للسيدة أم البنين عليها السلام وآخر أولادها ولد بعد أخيه عبد الرحمن او عثمان بنحو سنتين وكان يوم الطف

١ـ مقاتل الطالبيين: ص٨٣ عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: إنما سميته عثمان باسم أخي عثمان بن مظعون.

ابن إحدى وعشرين سنة على الأكثر وفي مقاتل الطالبيين ابن تسع عشرة سنة.

وبطولته العظيمة يوم الطف تتجلى من خلال زيارة إمامنا الحجة عليه السلام له:

«السلام على جعفر ابن أميرالمؤمنين الصابر بنفسه محتسباً، والنائي عن الأوطان مغترباً، المستسلم للقتال، المستقدم للنزال، المكثور بالرجال».

ويوم تقدم إلى معسكر الأعداء أخذ يرتجز ويقول:

إني أنا جعفرُ ذو المعالي ابنُ علي الخير ذي النزالِ
حسبي بعمي شرفاً وخالي أحمي حُسيناً ذا الندى المِفضالِ

فرماه خولي بن يزيد الأصبحي وقيل هاني بن ثبيت الحضرمي فأصاب شقيقته أو عينه فقتله[1].

سمّاه أبوه باسم جعفر بن أبي طالب المعروف (بالطيار):

وهكذا حفظ الأولاد الأبطال يقدمهم أخوهم قمر العشيرة وصية أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام وأمهم المبجلة الصابرة أم البنين عليها السلام في أخيهم الام

١ـ البحار، ج٤٥، ص٣٨.

الحسين عليه السلام فكانوا كما وصفهم أهل البصائر (أمراء العساكر وخطباء المنابر).

نفوسٌ أبتْ إلا تِراث أبيهُم فهم بين موتورٍ لذاك وواترِ
لقد ألفتْ أرواحهم حومةَ الوغى كما أنستْ أقدامهُم بالمنابر

* * *

فوارسٌ من عليا قريش تسلموا من المجد صعباً ظهره ليس يُركَبُ
أتوا في العُلا ما ليس يدري فأغربت معاني الثنا في مجدهم حيث غربوا[1]

مدائحٌ في ولاتها واولادها عليهم السلام

بُورِكَ حقّاً مولدُ أمِّ البنين فاطمةَ الملجأِ للمؤمنين
في الشدة لشخصها نوولُ وشأنُها يُحيّرُ العقولُ
وما عساي وعسا غيريَ انْ يَذكُرَ مالها بِسِرٍّ وعَلَنْ
مِن الوفاء لذو النبوه ومن بنيها الغُرِّ في الفتوّه
مرفوعةَ الراس أمامَ الزهرا بصبرها هناك تُعطىَ الاجرا[2]

* * *

١ـ أم البنين سيرتها وكراماتها ص٨١ـ ٧٣.

٢ـ للخطيب الاديب شاعر اهل البيت الشيخ محمد محسن الفاضلي حفظه الله تعالى.

ناهيك عن مولدِ الفحل العباسْ شبلِ عليٍّ المجدِ صاحبِ الباسْ
هو الفتى نجلُ الفتى هو القمرْ يطيبُ مهما ذِكرُهُ العاطِرُ مَرْ
سَرَّ اباهُ والحُسينَ والحسَنْ رمزُ البطولاتِ على مَرِّ الزمَنْ
وابتهجت أُمُّهُ أُمُّ البنينْ ازكى تهانينا لهم اجمعين
موقفِهُ في الطف مثلَ الشّمسِ حيثُ فدا إمامَه بالنّفسِ
نَفديه ما اكرَمهُ على اللهْ بابَ الحوائجِ غدا وذاجاه
ربَّنا باركه لنا بالهَنا مُحَققاً للمؤمنينَ المُنى
مِسكُ الختامِ وبكلِّ الاوقاتِ الصلواتُ وبأعلىَ الاصوات[1]

* * *

هو بابُ الحسينِ ما خاب يوماً وافد جاء لاذاً في حماه
انه بابُ حطّةٍ ليس بخشى كل هولٍ مستمسك في عراه
قف به داعيا وفيه توسل فيه المرء يستجاب دعاه

* * *

أبا الفضلِ انتَ البابُ للسبطِ مثلَ ما ابوكَ عليٌّ كان باباً لأحمَدا

١ـ لشاعر اهل البيت والخطيب الحجة الشيخ محمد محسن النجفي الفاضلي حفظ الله تعالى.

المجلس الثاني

حول زواج أم البنين عليها السلام

أُمُّ البنينِ زوجُ مولانا علي ... ناهيكُمو عن ذلكِ الفضلِ الجلي

أُمُّ أبِ الفضل فَتى الطفِّ القَمَرْ ... كذا اَشقّاه الثلاثَةُ الغُرَرْ

بها إلى الله توسّل كي تنل ... كلَّ الذي ترجُوا وتَحظى بالأمل

تلك التي مثَّلتِ المودَّه ... في آلِ طه في الرَّخا والشِدَّة

مَن للَّه صبرُها بيومِ أقبل ... ناعي الحسينِ والدموعَ أسبل

تسألهُ كأنَّها لم تَسمَعِ ... نعيَ شهيدِ كربلا ولَم تَعِ

تقول أخبرنِيَ عن إمامي ... والطَّرفُ منها بالدموعِ هامي

أخبرَها آهٍ بفقدِ الأربعه ... أبناءِها وهو يُهلُّ أدمُعَه

قالت همُ الفداءُ للحسينِ ... روحِ نبيّنا ونورِ عيني

لاتُخفِ بالله عليكَ عني ... حقيقَةَ الأمرِ أهجَتَ حُزني

هل الحسينُ عائدٌ فانتظِر فعندها قال بدمعٍ مُنهَمِرْ
آجَرَكِ اللهُ قضى بكربَلا ظمآنَ مذبوحاً بهاتيكَ الفلا
ولا تسل عن حالِها مُذ سَمِعَت ذلكَ بالحُرقة نادت وبكت
يا أسفا عليكَ يابن المصطفى بعدَكَ مولايَ على الدنيا العَفا
هيهاتَ أن أهنى بعيشٍ حتّى أكونَ عاجلاً عِدادَ المَوتى
فِعلاً قضت أيامَها حتى قَضت حُزناً ومن كَثرةِ ما فيها بكَت[1]

١ـ هذه المنظومه للخطيب وشاعر اهل البيت محمد محسن الفاضلي النجفي.

المجلس الثاني

حول زواج أم البنين عليها السلام

قال أمير المؤمنين عليه السلام لأخيه عقيل عليه السلام: «ابغني إمرأة [اخترلي امراة] وقد ولدتها الفحول من العرب لاتزوجها لتلد لي غلاما فارسا».

فقال: اين انت عن فاطمة بنت حزام فانه ليس في العرب اشجع من ابائها ولا افرس[1].

زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام:

بعد أن توفيت ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسيدة نساء العالمين البتول، شهيدة في سبيل الله ودفاعاً عن الولاية والامامة، وكان مصاب بضعة

١ـ اعيان الشيعه، ج٧، ص٤٢٩ وج٨، ص٣٨٩ـ ابصار العين، ص٢٦، ناسخ التواريخ ج ٤ ص ٣٣٣.

المصطفى قد هدّ ركنه عليه السلام وبعد ان تزوج امامة بنت زينب[١] بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة فاطمة عليها السلام بتسع ليالي وكان ذلك بامر وبوصيّةٍ من الصديقة الطاهره فاطمة عليها السلام ان يتزوج بها للتولى شؤن اولادها، وان تكون لاولادها مثلها، ثم بعد ذلك تزوج أم البنين عليها السلام ومن هنا ـ دعى أمير المؤمنين عليه السلام أخاه عقيلا عليه السلام ـ وكان نسابة عالماً بأنساب العرب وأخبارهم وقال له:

«انظر لي إمرأة قد ولدتها الفحولة من العرب، من ذوي البيوت والنسب والحسب والشجاعة؛ لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً، ينصر ولدي هذا، وأشار إلى الإمام الحسين عليه السلام يواسيه في طف كربلا»[٢].

وذلك مراد أمير المؤمنين عليه السلام من البناء على إمرأة ولدتها الفحولة من العرب، فان الآباء لابد وأن تعرق في البنين ذاتياتها وأوصافها. فاذا كان المولود ذكراً بانت فيه هذه الخصال الكريمة، وإن كانت أنثى بانت في أولادها. وإلى هذا أشار صاحب الشريعة الحقة بقوله: «**الخال أحد**

١ـ منتخب التواريخ للحاج ملا هاشم، ١٢٧ عن المجلس في البحار، ٤٢ـ ٩٢.

٢ـ انظر: بطل العلقمي للمظفر ٩٧/١ـ ٩٨، تنقيح المقال للمامقاني ١٢٨/٢.

الضجيعين فتخيروا لنطفكم».

وقد ظهرت في أبي الفضل الشجاعتان:

١ـ **الهاشمية:** التي هي الأربى والأرقى من ناحية أبيه سيد الوصيين وأميرالمؤمنين عليه السلام. الذي كان حاملا لواء الاسلام وكان النصر على يديه في جميع حروب رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ـ **العامرية:** من ناحية أمه أم البنين[1].

وعلى هذا رضى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الخيار وبعث أخاه عقيلاً ليخطب له أم البنين عليها السلام من أبيها.

مهمة عقيل عليه السلام:

كان عقيل عليه السلام أخو الإمام علي عليه السلام نسابة معروفاً، وله في علم الأنساب باع طويل.

وكان ـ يومها ـ للشاعر والقصاص والنسابة وصاحب السيف والكاهن والعراف موقع خاص؛ لندرتهم وشدّة الحاجة لتخصصاتهم، وكان الناس يرجعون اليهم وينفذون قولهم، ويكنون لهم احتراماً خاصاً، وهم قليلون معدودون في الغالب، فمثلاً اشتهر أمير المؤمنين عليه السلام بضربات سيفه وعلمه،

١ـ أم البنين عليها السلام للسالكي ص٢٩ عن العباس للمقرم، ١٢٧.

واشتهر امرؤ القيس بشعره وقصائده، واشتهر عقيل عليه السلام بخبرته وحفظه في الأنساب ومعرفته بالعرب وأيامها وقبائلها.

لذا دعاه أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وقال له:

«اختر لي إمرأة ولدتها الفحول من العرب، من ذوي البيوت والحسب والنسب؛ لتلد لي غلاماً شجاعاً فارساً رشيداً».

فقلّب عقيل قبائل العرب ظهراً لبطن، وفكر وقدّراً، وفحص ونقّر، وجاس ديار أنساب العرب ودرس أخلاقهم وطباعهم حتى اختار له «فاطمة عليها السلام»، والتي سميت فيما بعد بأم البنين عليها السلام، فعرضها على الإمام أمير المؤمنين ذكراً صفاتها وخصال أهلها وقبيلتها، فأمره الامام عليه السلام أن يخطبها من أهلها.

لماذا التشاور مع عقيل؟

وهنا سؤال يفرض نفسه ليقول: أليس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله والعارف بأهل زمانه، بل والأعرف بهم من كلّ أحد؟ فكيف يسأل في أمر الزواج من مثل أخيه عقيل؟

والجواب: صحيح أنّه عليه السلام أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمور، وأعرف الناس بأنساب الناس، ولكنّه عليه السلام فعل ذلك لأمور لاتخلو عن

حكمة ولعلّ من أهمّها ما يلي:

١ـ أنّه عليه السلام أراد أن يعلّمنا بذلك كيف نبني أمورنا ـ صغيرها وكبيرها، وإجتماعيّها وشخصيّها، إقتصاديّها وسياسيّها ـ على التحاور والتشاور، ونسير فيها على علم ومعرفة، ونشارك الناس في عقولهم وتجاربهم، فنتجنّب بذلك مفاسد الأنانيّة والإستبداد بالرأي، وما يتبعها من مساوىء ومهالك، وخاصّة في مثل أمر الزّواج، الّذي هو أهمّ لبنة في تكوين الأسرة، وإنجاب الذريّة والأولاد، وبناء المجتمع الصالح.

٢ـ لعلّه أراد عليه السلام بذلك التجاهر والإعلان عن هذه السنّة المباركة التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي سنّة الزّواج، حيث ورد الأمر بإعلانها والإشهاد عليها.

٣ـ لعلّه كان المرسوم في ذلك الزّمان، والمعتاد في تلك الأيّام، وهو: استنابة الآخرين في أمر الزّواج، وعدم الإقدام من الزوج شخصيّاً عليه.

٤ـ لعلّه عليه السلام أراد بذلك تعليم الأمّة إرجاع الأمور إلى الخبراء من أهل الفن، وبيان أهميّة التخصّص ومكانة المتخصّصين في المجتمع الإسلامي، ففي كلّ أمر يرى الإسلام الرجوع فيه إلى أهل فنّه وخبرته، ففي أمر الزّواج إلى العارف بالأنساب، وفي العمران إلى المهندس العالم بالعمارة، وفي التجارة إلى الخبير في أمرها، وفي الدين إلى المرجع الديني، وفي الحكومة

والقيادة إلى من اختاره الله حاكماً وقائداً من الأئمّة الطاهرين عليهم السلام زمن حضورهم، وشورى المراجع الفقهاء زمن غيبتهم عليه السلام وهكذا.

٥ـ لعلّه أراد عليها السلام بذلك إظهار شخصيّة عقيل، وإثبات تخصّصه في مجال الأنساب، حتّى يكون مَن يمدحه عقيل في نسبه ـ من أمثال حزام وأمّ البنين ـ مرفوع الرأس بين الناس ومعتمداً، ومن يذمّه عقيل في نسبه ـ من أمثال معاوية وهند ـ سنداً لخزيهم في الناس ومستنداً.

٦ـ لعلّه عليها السلام أراد بذلك الإخبار عن قضيّة كربلاء، والإشارة إلى فاجعة عاشوراء: من شهادة الإمام الحسين عليه السلام ومظلوميّة أبي الفضل العباس عليه السلام، وجناية بني أميّة في حقّ أهل بيت نبيّهم، وقتل ذريّته، وسبي حريمه، حتّى لايدع مجالاً لأحد أن يدّعي بعد ذلك عدم علم الإمام الحسين عليه السلام بشهادته من نهضته الإصلاحيّة، وأنّه خرج يطلب الحكومة والسلطان ـ والعياذ بالله ـ وليؤكّد للنّاس أنّه عليه السلام إنّما يخرج ليُحيي بشهادته الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وينقذ بذلك الإسلام، والأمّة الإسلاميّة.

تاريخ الزواج المبارك

لم ينصّ أحد من المؤرخين ـ فيما أعلم ـ على تاريخ هذا الزّواج المبارك الميمون.

فما يمكن أن يعوّل عليه هو أنّ عليّاً عليه السلام تزوّج أُمامة بعد شهادة

الصدّيقة فاطمه عليها السلام بلا فصل، ولكنّها لم تلد له ولداً كما يظهر من بعض الكتب[١]، فعزم عليه السلام على الزّواج المجدّد وذلك بعد خمس عشرة سنة مضت من شهادة الصدّيقة عليها السلام.

وهذا أمر معقول وله شاهد صدق من بعض أرباب المقاتل المعوّل عليهم بلا تأمّل ولا ريب، كما سنشير إليه الآن.

إن قلت: من أين تقول هذا مع اعترافك بأنّهم لم يصرّحوا على تاريخ الزّواج تصريحاً بيّناً؟

قلت: يظهر هذا من الشيخ صدرالدين القزويني في كتابه رياض القدس بالفارسية، فإنّه قال ما هذه ترجمته: إنّ أم البنين عليها السلام ولدت العباس بعد سنة. يعني من زواجها[٢].

ولمّا كانت ولادة العباس عليه السلام في الرّابع من شعبان سنة ست وعشرين

١ـ أم البنين للسالكي ٦٩ عن بدر الدّين نصيري في كتابه «أبوالفضل پرچمدار كربلا» بالفارسية، الفصل الثاني: ٢٤. إلّا أنّ علماء الأنساب وأرباب المقاتل ذكروالها ولداً من علي عليه السلام باسم محمد الأوسط الذي استشهد في كربلاء. راجع: الرّسالة الأسديّة للعبيدلي: مناقب ابن شهرآشوب ٣٠٥:٣ منتهى الآمال ١٨٧:١.

٢ـ رياض القدس ٦٧:٢ صدرالدين الواعظ القزويني ابن الشيخ العلامة محمد حسن القزويني صاحب رياض الأحزان الّذي نقلنا منه في هذا الكتاب. والكتاب مشهور معروف في مجلدين كبيرين، ط دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ايران.

كما هو المشهور فيمكن الحدس بتاريخ زواج أمّه أم البنين رحمها الله تعالى في سنة خمس وعشرين للهجرة وفي الرّابع والعشرين من شهر رجب والله العالم.

في عمر العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

قلنا إنّه ولد في الرابع من شعبان سنة ست وعشرين وأنّه المشهور الآن. ومعلوم أنه استشهد بالطفّ في سنة إحدى وستّين فكان عمره المبارك خمساً وثلاثين سنة وقيل: أربعاً وثلاثين سنة[1].

عمره يوم شهادة الحسن المجتبى عليه السلام:

ويوم شهادة السبط الأكبر كان العباس ابن أربع وعشرين سنة.

قال المقرّم: وأمّا يوم شهادة أخيه الإمام المجتبى فكان له أربع وعشرون سنة، وقد ذكر صاحب كتاب «قمر بني هاشم»: أنّه لمّا رأى جنازة سيد شباب أهل الجنة «الحسن عليه السلام» ترمى بالسّهام عظم عليه الأمر ولم يطق صبراً دون أن جرّد سيفه وأراد البطش بأصحاب البغلة لولا كراهيّة السّبط

١ـ راجع إبصار العين (للسماوي): ٢٦، ثمرات الأعواد١:١٥٩ (للخطيب عليّ بن الحسين الهاشمي النجفي)، مطبقة العلمية في النجف الأشرف سنة (١٣٦٥هـ. ق).

الشهيد الحرب عملاً بوصيّة أخيه... فصبر أبوالفضل[١].

نعم هناك قول بأن العباس كان حاضراً في حرب صفّين مع أبيه، كان في الرّابع عشر من عمره[٢].

او في الخامسة عشر[٣].

او في السّابع عشر من عمره[٤].

يقول السالكي[٥]: إن الأكثرين على أنّه مضت من عمر العباس بن علي أربع عشرة سنة حين اشترك مع أبيه في صفّين، وأنه ولد في سنة ست وعشرين بعد سنة من زواج أُمّه وأبيه، واستشهد في أوائل السنة الواحدة والسّتّين من الهجرة النبويّة على هاجرها آلاف التحيّة والصلاة وعلى

١ـ أم البنين عليها السلام للسالكي ص ٧٠، عن العباس (للمقرّم): ١٥٦عن قمر بني هاشم: ٨٤، راجع إبصار العين: ٢٦.

٢ـ كما نقله الشيخ علي الفلسفي في «مجموعه انوار علمى معصومين عليهم السلام» ٢١٩:١ عن عدة كتب؛ كروضة الشّهداء، ومعالي السّبطين، وزندگانى قمر بنى هاشم لعماد زاده، وپرچمدار كربلاء (للمظفّري). وقال في ثمرات الأعواد مكتبة العلمية في النّجف: ١٥٨: قال بعض المؤرخين: حضر العباس بعض حروب أبيه كالجمل وصفين والنهروان ولم يقاتل. أم البنين للسالكي ص ٧١.

٣ـ كما في الخصائص العباسية (للكلباسي): ١٣٧.

٤ـ الخصائص العباسية: ١٣٧، العباس (للمقرم): ١٥٤.

٥ـ أم البنين محمد علي السّالكي ص ٧٢.

آله عليهم السلام، وأنّ عمره كان حين الشّهادة، أربعاً وثلاثين سنة.

إلّا أنّ الأقوال المذكورة لا توافق بينها بوجه ولا تآلف: فإن ابتداء حرب صفّين كان في سنة ستّ وثلاثين، فلو كان عمره في تلك الحرب اربع عشرة سنة.

فلابد ان تكون ولادته عام اثنين وعشرين للهجرة ولو فرضنا عمره فيها (١٥) فولادته تكون في عام تسعة عشر.

ولو اعتبرنا عمره فيها (١٧) فولادته تكون في عام تسعة عشر. ومن جانب آخر لو اعتبرنا ولادته في (٢٦) فكان في تلك الحرب ابن العاشرة.

ولو قبلنا قول الخوارزمي وأنّه كان في صفّين قد بلغ مبلغ الرّجال بحيث لبس عليّ عليه السلام لباسه فلابدّ أنه كان في الخامسة عشر أو في السابعة عشر من العمر!

وكلّ تلك الفروض تؤثّر في تحديد مقدار عمره.

عقيل يخطبها لعلي عليه السلام:

مضى عقيل بن أبي طالب عليه السلام في مهمته بأمر أخيه أمير المؤمنين عليه السلام حتى ورد بيت حزام بن خالد ضيفاً على فراش كرامته، وكان خارج المدينة...

فقال له عقيل: «**جئتك بالشرف الشامخ والمجد الباذخ وفي خبر آخر جئتك بشرف الدنيا والاخرة**».

فقال حزام: وما هو يابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: «**جئتك خاطباً**».

قال: من لمن؟

قال عقيل عليه السلام: «**أخطب ابنتك الحرة فاطمة إلى أخي أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب عليه السلام وقد احب مصاهرتك لعلو نسبك وشرفك**».

فلما سمع حزام هشّ وبشّ ثم قال: بخ بخ بهذا النسب الشريف والحسب المنيف، لنا الشرف الرفيع والمجد المنيع بمصاهرة ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وبطل الاسلام وقاسم الجنة والنار ولاينال هذا الاذوحظ عظيم.

ولكن ـ ياعقيل ـ أنت جدّ عليم ببيت سيدي ومولاي، إنه مهبط الوحي، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وأنّ مثل أمير المؤمنين عليه السلام ينبغي أن تكون له إمرأة ذات معرفة عن علم، وآداب في ثقافة، وعقل مع أخلاق حسنة، حتى تكون صالحة لشأنه العالي ومقامه السامي، وإنّ ابنتنا من أهل القرى والبادية، وأهل البادية غير أهل المدينة، ولعلها غير صالحة لأمير

المؤمنين عليه السلام.

فقال عقيل عليه السلام: «**يا حزام أنّ أخي يعلم بكلّ ما قلته، وأنّه يرغب في التزويج بها**». وفي حبر آخر قال له «**يريد ان يرزق منها اولاداً ابطال ينصرون ولده الحسين عليه السلام في طف كربلا**».

فقال حزام: إذاً تمهّل حتى أسأل عنها أمها ـ ثمامة بنت سهل ـ هل تصلح لأمير المؤمنين عليه السلام أم لا؟ فانّ النساء أعلم ببناتهن من الرجال في الأخلاق والآداب[1].

الرؤية الصادقة العجيبة:

قام حزام من محلّه وجاء ليسأل زوجته بهذا العز والفخر فلما قرب من المنزل واذا هو يرى فاطمة جالسة بين يدي أمها، وهي تمشط رأسها وشعرها وفاطمة عليها السلام تقول لأمها: «**يا أماه إنّي رأيت في منامي رؤيا البارحة رؤيا عجيبة، احب ان اقصها عليك يا أمها**».

فقالت لها أمها: خير رأيت ـ يا بنية ـ قصيها عليّ.

فوقف حزام في مكانه بحيث يسمع الصوت ولا يراه أحد.

نعم هذه أم البنين الصادقه المؤمنه حيث جلست من نومها تتامّل في

١ـ أم البنين علي رباني خلخالي، ص ٣٠.

نجوم السماء، ذهبت بفكرها العميق ماراته في منامها، قامت وغسلت وجهها وهي تحمد الله تعالى حتى جاءت تخاطب امها:

السلام عليك يا امي الغاليه

الام: وعليك السلام ابنتي العزيزه كيف اصبحت يا حبيبتي

قالت: اماه اصبحت برؤيا عجيبه!!

الام: خير رايتي انشاءالله في تلك الرؤيا.

فقالت: فاطمة عليها السلام لأمها: إني رأيت فيما يرى النائم، كأني جالسة في روضة ذات أشجار مثمرة وأنهار جارية، وكانت السماء صاحية، والقمر مشرقاً، والنجوم ساطعة، وأنا أفكر في عظمة خلق الله، من سماء مرفوعة بغير عمد، وقمر منير، وكواكب زاهرة.

فبينما كنت في هذا التفكير ونحوه، وإذا أرى كأنّ القمر قد انقض من كبد السماء ووقع في حجري، وهو يتلألأ نوراً يغشي الأبصار، فعجبت من ذلك، واذا بثلاثة نجوم زواهر قد وقعوا أيضاً في حجري، وقد أغشى نورهم بصري، فتحيرت في أمري

مما رأيت، واذا بهاتف قد هتف بي، أسمع منه الصوت ولا أرى الشخص، وهو يقول:

بُشراكِ فاطمةٌ بالسادةِ الغُرَرِ ثلاثةٍ أنجمٍ والزاهرِ القمرِ
أبوهُم سيدٌ في الخلقِ قاطبةً بعد الرسولِ كذا قد جاء في الخبرِ

فلما سمعتُ ذلك يا اماه ذهلتُ وانتبهت فزعة مرعوبة، هذه رؤياي يا أماه فما تأويلها؟!

فقالت لها أمها: يا بنية؛ إن صدقت رؤياك، فانك تتزوجين برجل جليل القدر، رفيع الشأن، عظيم المنزلة عند الله، مطاع في عشيرته، وترزقين منه أربعة أولاد، يكون أولهم وجهه كأنّه القمر، وثلاثة كالنجوم الزواهر.

[وعن بعضهم انها قالت لامها وهي تقص رؤياها: «**يا اماه فرحت فرحا عظيما ثم بعد حين لم اجد القمر ولا الكواكب فاشتد حزني وتضاعفت حسرتي**».

وهذا مالم يُفسر لها حتى مرت الايام والليالي فكشفت لها عن تفسير ما بقى من رؤياها فالحزن والحسرة في المنام هو لانهاعليها السلام يسوف تفقد اولادها نعم تحقق حلمها واذا بها ثكلى باولادها تردد بقلب مفجوع:

كانت بنون لي أُدعى بهم واليوم اصبحت ولا من بنين]

حزام يستشير ثمامة

فلما سمع حزام قصة رؤيا ابنته تهلل وجهه وأقبل عليهما وهو مبتسم ويقول: لزوجته لقد صدقت رؤياها قالت كيف ذلك قال:

هذا عقيل بن أبي طالب • جاء يخطب ابنتك للامام أمير المؤمنين فلاّل الكتائب، ومظهر العجائب، فارس المشارق والمغارب، اسدالله الغالب علي بن ابي طالب عليه السلام وقد استمهلته حتى أسألك عن ابنتك؛ واستشيرك في ذلك هل تجدين فيها كفاءة بأن تكون زوجة لأمير المؤمنين عليه السلام؟

واعلمي أن بيته بيت الوحي والنبوة، والعلم والآداب والحكمة، فان تجديها أهلاً لأن تكون خادمة في هذا البيت وإلّا فلا.

فقالت زوجته ذات القلب المفعم بالولاء للامامة:

يا حزام إنّي ـ والله ـ ربيتها وأحسنت تربيتها، ان ابنتنا وبحمدالله عاقلة نبيه، واديبة، لقد رايت فيها الكفائة منذ صغرها، واحسست منها التفوق والنبوغ من ايامها الاولى، فادّبتها بآداب العرب، وربيتها تربية الصالحين واعددتها إعداداً تاهلّت عبره لان تكون زوجة صالحة، واما عطوفاً وربيبه بيت مدبرة ومديرة، فارجوا الله ان تكون عندحسن ظننا، وان تبيض بسيرتها الحسنة عند الامام أمير المؤمنين عليه السلام وجوهنا،

عندها تهلل وجهه حزام، واقبل على ابنته يسألها عن رايها، ويستعلم

موافقتها ورضاها بالزواج من الامام علي عليه السلام، ثم عرض عليها امر الزواج يترقب رايها، وينتظر جوابها، لكن ما كان جواب البنت اللبيبة عن رضاها بهذا الزواج المبارك الاسكوتها، فان السكوت علامة الرضا، عندها غادر الاب البيت مسرعا واتجه نحو المضيف ليلتقي بعقيل الذي تركه يترقب جوابه حتى يبشره بالموافقة والقبول[1].

فأقبل حزام على ابنته يهنئها ويشركها في فرحته:

يهنيك فاطمة بالفارس البطل نعم القرين أمير المؤمنين
من للأنام إمام حجة وولي للمؤمنين أمير والغدير جلي[2]

وعندها ذهب حزام الى عقيل وهو مستبشر.

فقال له عقيل: **ما وراءك؟**

قال: «**كل الخير انشاء الله قد رضينا بان تكون ابنتنا خادمة لأمير المؤمنين عليه السلام**»

فقال عقيل: «**لاتقل خادمه بل زوجة**».

مَهرها عليها السلام ومَهر السنّة

١ـ الخصائص العباسيه ص ٣١.

٢ـ مولد العباس محمد علي الناصري: ٣٥ وما بعدها.

فلمّا دخل حزام المضيف تلقّاه عقيل متسائلاً وهو يقول: «ما ورائك يا أبا المحل؟»

فأجابه حزام: «يا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله! كلّ الخير إنشاء الله تعالى، لقد رضينا بأن تكون ابنتنا خادمة متواضعة في بيت النبوّة والإمامة، إن قِبلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بذلك؟»

فقال له عقيل: «يا أبا المحل لاتقل خادمة متواضعة ولكن قل: زوجة وفيّة، وقرينة كريمة»، ثمّ واصل عقيل كلامه وقال: «لابدّ للمرأة من صداق فهل لكم اقتراح فيه؟»

قال حزام: «لا، وإنّما نفوّض ذلك يا ابن عمّ الرسول صلى الله عليه وآله إليك».

فقال عقيل وهو يشكره على ذلك: «إعلم يا أبا المحل! إنّ أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتجاوزون في صداق بناتهم ونسائهم ما سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله من الصداق لبناته ونسائه وهو: خمسمائة درهم».

فقال له حزام: «ونحن أيضاً لا ينبغي لنا أن نتجاوز ما سنّه

رسول الله صلى الله عليه وآله من المهر والصداق، رضينا وسلّمنا».

ثمّ نهض حزام لإبلاغ الأمر إلى عياله، وذلك بعد أن استأذن من عقيل واسترخصه، فتوجّه نحو البيت، فلمّا دخله إلتفت إلى زوجته ثمامة وابنته فاطمة، وقال لهما بكلّ بهجة وسرور: البشارة البشارة، لقد رضي عقيل بن أبيطالب ابنتنا فاطمة لأخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على مهر السنّة، وهو خمسمائة درهم، فإنّه الصداق الّذي سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله لأزواجه وبناته[1].

من مثلها عليها السلام ولها زوج كعلي عليه السلام:

لمّا سمعت أم البنين عليها السلام أنها خُطبت لأمير المؤمنين غمرها السرور وطار قلبها بالفرح، وتناثر عرق الحياء على محياها كاللؤلؤ على صفيحة النور، واختارت السكوت فلم تحرك لسانها، وجنانها يتدفق بالكلمات تعبيراً عن فرحتها بهذا الزواج السعيد...

أجل؛ كيف لا تفرح ولا تغمرها السعادة؟! وهي ترى الحياء في عيني علي عليه السلام، وسلطان الاسلام في يديه، والاستقامة والعدالة في خطواته، ونور الهداية المحمدية في قلبه؟!... وإنّ في هذه الزيجة المباركه فخراً عميماً، وشرفاً عظيماً، وسعادة لم تخيب، لها ولأهلها وعشيرتها جميعاً.

١ـ الخصائص العباسيه ص ٣٣.

لقد أقسمت أم البنين عليها السلام أنها ستكون كالأم الرؤف للحسنين عليهما السلام، فدخلت إلى بيت العصمة تحمل معها عالماً من المحبة والمودة والحنان.

وهكذا خطبها عقيل عليه السلام، ثم أجرى النكاح وكالة عن أخيه أمير المؤمنين عليه السلام، فاستعدت أم البنين فاطمة بنت حزام للرحيل إلى بيت الأمام عليه السلام.

ولما دخل بها الامام عليه السلام وجدها إمرأة ذات عقل وإيمان وأدب، ورأى فيها ما أسرّه من الحسن والجمال والهيئة والكمال، حيث كانت أم البنين عليها السلام من النساء الفاضلات العارفات بحقّ أهل البيت عليهم السلام، كما كانت فصيحة بليغة لسنة ورعة ذات زهد وتقى وعبادة.

وبلغ من عظمها ومعرفتها وتبصرها بمقام أهل البيت عليهم السلام أنها لما دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وكان الحسنان مريضين أخذت تلاطف القول معهما، وتلقي اليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت على ذلك تحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأم الحنون.

ولا بدع في ذلك فانها ضجيعة شخص الايمان، قد استضاءت بأنواره وربت في روضة أزهاره، واستفادت من معارفه، وتأدبت بآدابه، وتخلقت بأخلاقه[1].

١ـ أم البنين علي رباني الخلخالي عن العباس للمقرم: ١٣٣.

أم البنين هي تلك المرأة التي كان يريدها أمير المؤمنين علي عليه السلام، إمرأة وقور، تقعد في بيتها وتربي له رجالاً أشاوس، وفرسان أقوياء من أمثال أبي الفضل العباس عليه السلام الذي ضرب المثل الأعلى في الشجاعة والمواساة والاقدام والوفاء، وخاض لجج الموت، واقتحم غمرات الحروب، وجال بين صفوف الأعداء في ساحات الوغى منذ بدايات شبابه، وهو لا يهاب الموت، ولا يعبأ بوميض السيوف ورؤوس الحراب الخاطفة كالبرق... كان قلبه أشدّ من زبر الحديد أمام الأعداء.

حديث الزواج يصل الى كربلاء

ورد في الخبر انه قبل ان تبدأ المعركه في كربلاء بين الامام الحسين عليه السلام واصحابه وبين جيش عمربن سعد عليه اللعنه جيش الكفر في كربلاء اتى زهير بن القين الى عبدالله بن جعفر بن عقيل.

فقال له: «**يا اخي ناولن هذه الرايه**».

فقال له عبدالله: «**اَوَفيٌ قصور عن حملها؟**»

قال: «**لا ولكن لي بها حاجه قال فدفعها اليه واخذها زهير واتى تجاه العباس عليه السلام**».

وقال: «**اريد انا احدثك بحديث وعيته!**»

فقال العباس عليه السلام: «حدث فقد حلاوقت الحديث».

فقال له: «اعلم يا اباالفضل ان اباك أمير المؤمنين عليه السلام لما ارادان بتزوج بأمك أم البنين، بعث اخيه عقيل عليه السلام وكان عارفاً بأنساب العرب».

فقال: «يا اخي اريد منك ان نخطب لي امرأة من ذوي البيوت والحسب والنسب والشجاعه لكي اصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي هذا واشار الى الإمام الحسين عليه السلام ليواسيه في طف كربلاء وقد ادّخرك ابوك لمثل هذا اليوم فلا تقصر عن حلائل اخيك وعن اخواتك».

قال: «فارتعد العباس عليه السلام وتمطى في ركابه حتى قطعه».

وقال: «يازهير تشجعني في مثل هذا اليوم والله لأُرينك شيئاً مارايته قط»[1].

ولما رجع العباس عليه السلام من مكالمته مع شمر لعنة الله حين عرض عليه الكتاب الذين فيه امان له ولاخوته استقبلته الحوراء زينب عليها السلام وقد سمعت

١ـ اسرار الشهادة للدربندي ص٢٣٤.

كلامه مع الشمر عليه اللعنة.

فقالت له: «اخي اريد ان احدثك بحديث».

قال: «حديثي يا زينب لقد حلاوقت الحديث».

قالت: «اعلم يا ابن والدي لما ماتت امنا فاطمة عليها السلام قال ابي لاخيه عقيل عليه السلام ـ وقد مرالحديث عنه ـ فقد ادخرك ابوك لمثل هذا اليوم فلا تُقصّر يا اباالفضل فلما سمع العباس عليه السلام كلامها تمطى في ركاب سرجه حتى قطعهما».

وقال لها: «في مثل هذا اليوم تشجعيني وانا ابن أمير المؤمنين عليه السلام[1] وكأنّ لسان حالهما وتحاورهما عليهما السلام في ليله العاشر من المحرم».

زينب كَصدت العباس والهم كَصـد وياها

وحيـن الشـافها العبـاس تتعثـر بممشاها

طلع مـن خيمته مغضب والزينب تلـكاها

هله يا زينب يكلها

١ـ ثمرات الاعواد للهاشمي ج١، ص١٠٤.

هله يا سلوتي كلها

وزينب لعد چافلها

صدتـو الكلب داوي وختنكت بعبـرتها

* * *

زينب والكَمـر عبـاس تكلـه يبـن حـامي الجار

سمعت حسين اخوك يكول احنه ابها لمسه خطار

يخويه ولازمه كَلبي وخاف مـن الصبح لـو صار

انـه مخـدره تـدري

وانت مكلف بخـدري

عكبك ما ردت عمري

الحـرمه عكـب وليـاهـا مـو تسـواش ضلتهـا

* * *

يسمع زينب العباس وعينه مـن الزعـل حمره

يكلها بشاربي خدرج يا زينب ودك صـدره

يمخدرت حامي الجار وحك ضلع امچ الزهره

لفني اوركَابها دونج

اخوچ وكَرت عيونج

لا لاينخطـف لـونج

يزينـب والعسـاچر هاي باچـر كـون اشتتهـا

* * *

العساچـر كال اشتتهـا صـل وكـام يطـوه

وحين السمع حچي اخته هاج وهزته النخوه

وزينـب نادتـه بهونك يا والي الحرم تكوه

هود يبن داحـي البـاب

تكلـه الدليـل انعـاب

حچي وياك الي وعتاب

يبـو فاضـل وسولفلـك تكلـه وتجر ونتها

قال لها «حدثي يا أُخيّ فقد حلى وقت الحديث»:

اسولفلك يبو فاضل عودك ليش راد امك

وعن طيبة نسب حره ابونه من نشد عمك

انت غـايته منهـا والهـا لنـايبه ضمـك

ابونه المثل هذا اليوم

رادك ضخريا جيـدوم

هاي الخيل هاي الكوم

وهاذي كربلا وعودك وصيته هاي ساعتها

* * *

اغتاض وكال يا زينـب شنهي الخيـل وتهمـج

اخـوج وصـارمي بيـدي فنـه اليكحـم خيمج

وحك الحسن يا زينب وچبده وكسر ضلع أمچ

لخلي جموعها طشـار

وخلي النايحة بكل دار

وخلـي كـربلا تذكـرا

وخلـي النـاس جيـلٍ جيـل ما ينسون عملتها

* * *

وثلث تنعام ابو فاضل مثل ما كـال سواها

فنه ذيچ الزلم والخيل تموج مروج خلاها

وزينب واجفه وتشوف وبعباس تتباها

ساعه وطاحت الراية

من اخوها على المسناية

طاح وضلت الثاية

طاح وصاح ابو فاضل يا زينب وهضمتها

* * *

طاح وصاح يا زينب يختي العذر لله وليچ

لون ايدي تلوح السيف ما جان العده توليچ

يزينب هامتي وعيني ويميني ويسرتي تفديچ[1]

تگله يعباس منته اليّ جبتني وبيدك يخويه ركبتني

هسارحت عني او عفتي عگبك بني اُميّه ولتني

١ـ سبائك السبّاك للحاج معين السبّاك ج ١ ص ٢٨.

المجلس الثالث

حول أم البنين وماجرى من المصائب على أهل البيت عليهم السلام

أُمٌّ على اشبالِها اربعٍ ... جائَت لِبشرٍ وبه تستعين

وتَحمِلُ الطفلَ على كِتفها ... تسأل عنهم خَبَر القادمين

ملهوفةً ممّابها من أسىً ... تَرى بذاكَ الجمع شيئا دفين

فقال يا أمِّ ارجعي للخِبا ... وابكي بنيكِ قُتّلوا أجمعين

فَما انثنت وما بكَت أمُّهُمْ ... وخابَ منهُ ظنُّه باليقين

كأنها الطودُ وما زُلزلت ... وحق تُجري لهم دمعَ عين

فقالَ يا أمَّ البنين اعلَمي ... بأنَّ عباساً قتيلاً طعين

قالت طَعنتَ القلبَ مني فقل ... النفسَ والدنيا وكلُّ البنين

نَمضي جميعاً كلُّنا لِلفَنا ... نكونُ قرباناً فدىً للحسين[1]

١ـ القصيدة للسيد محمد كاظم الكفائي قدس سره.

المجلس الثالث

حول أم البنين وماجرى من الصائب على أهل البيت عليهم السلام

من كلامٍ لام البنين عليها السلام لمّا نعى بشرٌ اليها اولادَها الاربعة:

«لقد قطعتَ يناطَ قلبي يابشرُ، اولادي ومَن اظلّت الخضراء كلُهم فداء لابي عبدالله الحسين عليه السلام»[1]

ايمانها الراسخ في اهل البيت عليهم السلام

كانت أم البنين عليها السلام مؤمنةً بالله ورسوله من موالي الائمه المعصومين اولهم زوجها أمير المؤمنين عليه السلام ويستفادمن قوة ايمانها وتشيعها وولائها ما قالت لبشر بن خدلم «**أنا وَاولادي ومَن اظلته الخضراء كلهم فداء لابي عبدالله الحسين عليه السلام**».

فان تعلقها باهل البيت عليهم السلام ليس الا لأمامتهم ومقامهم الرفيع عند الله

١ـ تنقيح المقال للمامقاني، ٧١٠٣.

تعالى حيث يهون على نفسها موت اولادها إنْ سَلُمَ الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك قال السيد المقرّم: «**وكانت من النساء الفاضلات العارفات بحق اهل البيت، مخلصه في ولائهم ممحضه في مودّتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه والمحل الرفيع**» وقد زارتها زينب الكبرى عليها السلام بعد وصولها المدينة، تغريها باولادها الاربعة كما كانت تزورها ايام العيد[١].

وكانت أم البنين عليها السلام عالمة فاضلة لانها من أهل بيت الفضل والكمال والبسالة وشجاعة وهي زوجة باب علم النبي الذي ينحدر عنه العلم سيلاً ولا تحصى فضائله عداً، وهي مع ذلك كانت محشورة مع النساء الها شيات المؤمنات، ومأنوسة مع اولاد زوجها البنين والبنات، فمن كل تلك الجوانب كانت تجني ثمار العلم.

وقال صاحب كنز المصائب: **انا العباس اخذ علما جمّاً في اوائل عمره عن ابيه وامه واخوته[٢] وقد وصفها صاحب العمدة بالعالمة[٣].**

١ـ العباس للمقرم، ٧٢.

٢ـ أم البنين للسالكي ص٧٦ـ ٧٧ عن معالي السيطين ١:٦٣ عن كنز المصائب للعلامة محمد حسن القزوين الخصائص العباسيه ٧٤.

٣ـ ادب الطف، ١:٧٣.

ولذلك تحملت جميع المصائب التى مرت على زوجها أمير المؤمنين عليه السلام وعلى الحسن والحسين واولادها، ولا باس بالاشاره الى جمله من تلك الصائب التي تحملها أم البنين في بيت أمير المؤمنين عليه السلام.

أم البنين عليها السلام ومصاب أمير المؤمنين عليه السلام:

المكان، مساحة قليلة من أرض الكوفة في العراق. والزمان هو ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة (٤٠) من العام الهجري، وأما الحديث الذي هدّ أركان السماء واهتزت به الأرض، فقد قام أمير المؤمنين عليه السلام لصلاة الليل، ونظر إلى السماء نظرة الراحلين إليها وقال: «**إنّا لله وإنا إليه راجعون**». ثم أضاف لأهل الدار، وتسمعه ابنته السيدة زينب بكل وجودها وشعورها: «**والله ما كَذِّبتُ ولا كُذِّبتُ وإنها الليلة التي وُعدتُ بها**».

ولا أدري أين كانت زوجته أم البنين حين تمتم الإمام بهذه الكلمات؟

هل كانت واقفة عنده تسمع كيف يقرأ زوجها على نفسه المطمئنة آية الوداع؟ أم كانت جالسة على سجادتها تتهجد لله في صلاة الليل وتدعو لزوجها بالخير والنجاح؟

لا أدري. فالتاريخ عجز عن نقل الكثير من الوقائع والحقائق، وهذا

أحدها. ولكن الإمام علي عليه السلام قد أوصاها في ساعة من تلك الساعات الأخيرة: يا أم البنين إني أوصيك بولدي العباس، أن يواسي أخاه الحسين ولا يتخلى عنه في أيّة ساعة عند احتدام المعسكرين.

وتقدم الإمام علي عليه السلام نحو الباب وهو يترنّم بهذه الأبيات الشعرية ويخطو مودّعاً كل الأحبة:

أُشدُدْ حيازيمَك للموتِ فإنَّ الموتَ لاقيكا
ولا تَجزعْ من الموتِ إذا حَلَّ بواديكا
كما اضحكك الدهرُ كذاك الدهرُ يُبكيكا

إنها ساعة ما أصعبها على أم البنين التي أنجبت لعلي أمير المؤمنين من بعد العباس شبّاناً ثلاثة (جعفر وعبدالله عبد الرحمن او عثمان) فقد كانت حزينة لفراق زوجها العزيز الكريم الحنون المظلوم العابد المجاهد العالم الشجاع الوليّ المقرّب إلى الله، وكيف لا تحزن وعليٌّ هذا كان أول المسلمين إسلاماً، وأقربهم إلى سيد المرسلين نفساً وإيثاراً، وأعلمهم بالقرين والدين المبين وضوحاً ويقيناً، وأكثرهم جهاداً في مقارعة المشركين والناكثين والمارقين والقاسطين جهاداً كبيراً كبيراً.

ولقد حمل الإسلام في غربته وهجرته ودولته، وحمله في نكسته والفتن التي أحاطت بأمته، حملاً متألماً وحكيماً ومدبّراً وصابراً.

عليٌّ هذا يودّع الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وزوجاته عليهم السلام اللواتي وقفن إلى جانبه سنوات مظلوميته، وكانت لزوجته أم البنين عليها السلام مواقفها المتميزة في كل المراحل، وفي هذه المرحلة الأخيرة من سويعات الوداع أخذت تنظر إلى الإمام الحسن الزكي المجتبى عليه السلام مرة وهو الإمام القادم، وتلقي بنظرتها على الإمام الحسين عليه السلام أخرى وهو الثائر القائم.

وتمسح بيدها الدموع من خدّ السيدة زينب عليها السلام الفتاة التي تنتظر دور الأسيرة المنتصرة، وتمرر كفّها على رأس أم كلثوم، وتمسح على رأس أطفالها وتلاحظ العباس كيف يوزّع نظراته إلى الجميع من حوله وإلى الموقف الغريب.

وتسترجع أم البنين ذاكرتها لتقرأ الأيام التي قضتها مع أمير المؤمنين عليه السلام ثم تقفز بفكرها إلى المستقبل وثقل المسؤولية من بعد إمام المسلمين.

ووقفت أم البنين وقفتها المعهودة وقالت بكل صدق: «**لك الحمد يا رب، أنت الذي أعطيتني، وأنت الذي أخذت، لا... لا يكون لي إلا الوفاء والاستقامة على خط الولاء... لا أبداً أنا المرأة التي أرادها علي عليه السلام أن تكون ثابتة القدم، صابرة على الألم... طائعة**

لله في الطريق الأقوم.

لك المُلك يا إلهي تفعل ما تشاء ولا يفعل ما يشاء غيرك. هذا علي وصيّك وأبو الأوصياء يودّعني ويودّع الأولاد راحلاً إليك، وأنت خير حافظاً وأنت أرحم الراحمين».

خرج الإمام عليه السلام إلى المسجد لإقامة صلاة الصبح ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟

وكانت أم البنين تصلي وقلبها مع الله إلا دقّاته، المقسَّمة بين الله وبين ولي الله المرابط في محراب العروج إلى الله.

وعلي عليه السلام هناك يصلّي وقلبه مع الله ودقّات قلبه أيضاً مع الله دون شك في ذلك ولا ريب. لأنه على كامل الاستعداد وفي سلامة من دينه الذي عاش لأجله وصانه حتى الفوز الأخير إلى خير المصير.

الأمر هكذا وإذا بضربة السيف المسموم من يد اللعين ابن ملجم الخارجي (بل الأموي) تفتق رأسه الشريف، ويقع أمير المؤمنين عليه السلام في المحراب مفلوق الرأس والجبين، وتسيل الدماء على وجهه وصدره. وهو يطلق نداءه الخالد للبشرية: «**فُزتُ ورَبِ الكعبة**» «**فُزتُ ورَبِ الكعبة**» فزتُ والله فزت، فسوف لن أراكم أيها التعساء المتخاذلون ولن أراكم يا

من ملئتم قلبي قيحاً، فلا أراني الله وجوهكم بعد هذا، وسوف لن ترون أحسن مني أيها الجاهلون. فُزتُ والله، وقسماً برب الأرض والسماء، وقسماً بالكعبة بيت الشرفاء، قسماً بها يوم وُلِدتُ فيها كريماً وقُتِلتُ لكرامتها شهيداً.

كأني بأم البنين عليها السلام قامت من سجادة صلاتها وخرجت إلى ساحة الدار ويديها على رأسها إذ سمعت دويّ السماء، نداء نداء نداء:

«تهدمتْ والله أركانُ الهدى، قُتِلَ عليٌّ المرتضى، قَتَلَهُ أشقى الأشقياء».

فأسرعت أم البنين عليها السلام تحتضن اليتامى وتمسح على رؤوسهم وتمسح قطرات دموعهم وتوصيهم بالصبر، وكان العباس عليه السلام وهو ابن الخامسة عشرة آنذاك يبكي متجلّداً وقبضاته الغاضبة تأتمر من قلبه المؤمن بالقيادة العلوية تترقب الأوامر الحَسَنِيّة.

وأما الحسنان • فقد هرعا إلى المسجد يبكيان بكاء الصامدين أبداً، وجلست السيدة زينب عليها السلام عند الباب تنتظر بقية الواجبات، ومعها أم كلثوم عليها السلام الصغيرة في سنها والكبيرة في شخصيتها، فلقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع بين الحق والباطل، والفضيلة والرذيلة.

ولم تكن قد بكت أم البنين عليها السلام على أحد مثل بكائها على أمير

المؤمنين علي عليه السلام ولم يكن بكاؤها من غير بصيرة كما هو بكاء بعض الباكين من شيعته، وفرق بين بكاء مع المعرفة بالحق وحق المعرفة، وبين بكاء مع الخلق منها.

وبقيت أم البنين عليها السلام حزينة على فقد زوجها حزناً واعياً، وأضحت صابرة على فراقه صبراً جميلاً.

ولم تتزوج بعده أحداً، بل لم تفكّر في ذلك أبداً، فقد أوقفت نفسها لبيت علي عليه السلام وأبناء علي عليه السلام وأحفاد علي عليه السلام، ونذرت نفسها لترجمة رسالة علي عليه السلام حرفياً قدر الإمكان حتى توافيها المنية وهي أم البنين عليها السلام وتلتحق بركب الصالحين والصالحات وهي نفسها لن يغيّرها زمن الهزائم السياسية وفراعنة المسلمين!

أم البنين عليها السلام ما فتئت بعد الإمام علي عليه السلام تذكره وتبكي عليه وترعى ودائعه عندها، وهي تتذكر فضائل زوجها ومناقبه وما قاله الرسول صلى الله عليه وآله في منزلته وتذكّر الناس بها من حولها. وكلما تتذكر مثل قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

«من أحبك يا علي كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة»[1]

كانت تزداد شوقاً إلى درجاتها في الجنة، أليست الجنة تحت أقدام

١ـ ينابيع المودّة للقندوزي ج ٢ ص ٢٩١ مطبعة اسوة وص ٢٥١ مطبعة اسطنبول والبحار ج ٧٢ ص ٧٩ عيوان أخبار الرضا ص ٢٢٠.

الأمهات؟ فكيف إذا كانت في طليعتهن أم البنين عليها السلام.

وبعد سنوات الهزّات السياسية واستشهاد الإمام علي عليه السلام عادت القافلة العلوية من الكوفة إلى مدينة الرسول وليس فيها عليٌّ زوج البتول. وكان أمير القافلة هذه المرّة هو الإمام الحسن بن علي عليه السلام وكان وزيره أخوه الحسين بن علي عليه السلام وكان في طليعة الحماية والحرّاس قمر بني هاشم... إنه العباس وما أدراك ما العباس عليه السلام.

نعم... هكذا سنّة الحياة عند الصالحين والصالحات، يوم هنا ويوم هناك والساعات تزحف نحو النهايات والعاقبة للمتقين وهم الذين لا يهمهم شيء في الدنيا إلا ما رسمه لهم رسول رب العالمين، إذ قال محمد صلى الله عليه وآله:

«من أعطي أربع خصال في الدنيا فقد أُعطي خير الدنيا والآخرة وفاز بحظّه منها: ورع بعصمة عن محارم الله، وحُسن خُلق يعيش به في الناس، وحلم يدفع به جهل الجاهل، وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة».

فما أسعدك يا علي عليه السلام وقد جمعت كل هذه الخصال... وما أسعد زوجتك أم البنين عليها السلام معك يا خير الرجال[1].

١ـ أم البنين سيرتها وكرامتها للشيخ اشرف الزهيري الجعفري، ص ١٣٠.

أم البنين عليها السلام عند عثمان الامام الحسن عليه السلام

تلاحقت الأحداث السياسية والهزّات الاجتماعية والفكرية بعد الإمام علي عليه السلام وارتطمت مسيرة الأمة بصخور أموية ومؤامرات هدّامة وكان الإمام الحسن عليه السلام من بعد أبيه سيد المواقف الصعبة والمهام الثقيلة.

وعن أم البنين عليها السلام في هذه الحقبة الزمنية، يكفينا أن نعرف بأنها عاشت بهموم الإسلام وتجرعت الآلام وهي ترى المظلومين من آل محمد وترى الظلّام، إنفجر باكياً.

وأما في ليلة السابع عشر من شهر صفر سنة (٤٩) الهجرية فقد جاءت باكية تنادي أولادها، ياعباس يا قمر بني هاشم، وأنت يا قرة عيني عبدالله (المسمى باسم والد النبي) وأنت يا جعفر (المسمى باسم عمي جعفر الطيار)، وأنت يا عثمان (المسمى باسم الشهيد عثمان بن مظعون الصحابي الجليل صديق الإمام علي)، قوموا يا أحبتي... انهضوا فهذا أخوكم وإمامكم وولي أمركم الحسن بن علي عليه السلام قتلوه مسموماً، اذهبوا إلى داره واعملوا ما يأمركم سيّدكم الإمام الحسين عليه السلام.

وحضروا جميعاً، وكان العزاء قائماً في بيت الإمام الحسن عليه السلام وهو في الزمن الأخير. وكان الامام الحسين ينظر إلى أخيه ويبكي ويسأله عن قاتليه.

والامام الحسن يقول: إن يومك في كربلاء أكثر ألماً يا أخي... فلا يومٌ كيومك يا أبا عبدالله. آه... يا ويل للظالمين.

وفاضت روحه الكبيرة الشريفة الى بارئها وارتاح من هم الدنيا وغمها والعبّاس بين يديه يبكي على أخيه الامام الحسن عليه السلام.

حملوا الجنازة إلى ثرى جدّه الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وفجأة أمطر الأوغاد جنازة سبط الرسول بوابل من السهام وأصابت بعضها جنازة الحسن المظلوم وبعضها أصابت المشيّعين، آه... يا لها من مصيبة فوق المصائب. كم بلغت درجة الوحشية في الذين انسلخوا عن وصية الرسول، أين المودّة في القربى يا مسلمون؟!

فصاحت نساء الفضيلة وبنات الرسالة وكان الرعب يخيّم على قلوب الأطفال من هول الجريمة... لأول مرة في التاريخ، تُرمى جنازة مرفوعة على الأيدي بسهام مجنونة! يا لها من خساسة!

عند هذا الحدث الرهيب كان العباس ـ وهو الشاب في عمر الرابعة والعشرين ـ يرافق أخاه الحسين عليه السلام ويحرسه كتفاً بكتف وروحاً بروح، هنا لم يُطِق العباس صبراً... فأمسك مقبض سيفه ليهاجم الأوغاد، فأخذ الإمام الحسين عليه السلام بيده وقال: قد أوصاني أخي الحسن أن نتمالك إذا ما حدث مثل هذا تحت جنازته، وكأنهم كانوا يتوقعون حدوثه من أجلاف بني أمية،

فصبر أبوالفضل بأبي هو وأمي على طاعته للقيادة!

وهذه لعمري من مواقف الأبطال أصحاب المبادئ والقيم والثورية الموجهة بأحكام الشريعة وطاعة القيادة الرسالية. فلا للعواطف المجرّدة عن العقل والحكمة، ولا للحماسيات المفرَّغة عن الأخلاق والإنسانية، ولا للسياسات الخالية من القيم الدينية. تلك هي نسخة طابقت أصلها حينما أغمد الإمام علي عليه السلام سيفه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عملاً بالوصية المحمدية.

أم البنين تتكلم: آه... لقد رأيت الحدث، وكدت أصيح بولدي العباس أن اهجم دفاعاً عن الطيبين من أبناء علي وفاطمة، اقتل... دمِّر... ولا تبقي لهم باقية، ولقد عرف ولدي ما هو الواجب عليه حينما مسك السيف ليهاجم، ولكن الوصية والطاعة كانتا هما الأوجب.

تقول لنا أم البنين: ليتكم يا أهل الغيرة والشهامة كنتم تشاهدون ذلك اليوم الحزين، كم كان أليماً على بني هاشم وشيعة آل محمد المستضعفين.

ونقول يا أم البنين: إننا نعيش اليوم زماناً مثل زمانك، وكما وصفه زوجك أمير المؤمنين عليه السلام: «**صار الفسوق في الناس نسباً والعفاف عجباً**»[1].

١ـ للشيخ اشرف الزهيري الجعفري، ص١٣٥.

وداعها عليها السلام للإمام الحسين عليه السلام واولادها

أم البنين تحكي لنا حال لسانها تقول: وحانت ساعة أخرى من أصعب ساعات حياتي أيها الناس. إنها الساعة التي توشك بالكارثة والمصيبة العظمى، نحن اليوم في أواخر عام (٦٠) الهجري، وهذه قافلة الحسين سبط النبي تستعد لتحويل وجهة التاريخ وتأسيس انعطافة خالدة لمفاهيم الحرية والحركات التحررية. لا أدري كيف أودع الحسين في هذه الساعة، وكيف أفارق زينب وأم كلثوم، وكيف أنظر إلى قافلتهم وهي تخرج من مدينة جدهم إلى غير عودة، آه... وقد تعود بلا رجالها الأشاوس أو قد تعود وعلى الرماح رؤوس الأماجد.

إلهي... إني أرى في الأفق مصائب تلوح على آل محمد بلون الدم. ها قد يأتي الحسين الآن ليقول: أمّاه... وداعاً. فماذا أقول أنا؟

إلهي كيف أنظر إلى وجهه، كيف أودّعه، كيف وبماذا... لا أدري!

إن الإمام الحسين عليه السلام قلبي الذي أطمئن به، ونبضي الذي أتحرك به، وحياتي التي أشعر بها الوجود، إنه معنى وجودي، إنه إمامي وسيدي وأمير مسيرتي. فكيف أجلس ليأتيني، أبداً، أنا أذهب إليه وإلى ابنتي زينب وأختها أم كلثوم، ولا أقول وداعاً يا أحبّتي، بل أقول يا ولدي العباس هذه

وصية أبيك علي أمير المؤمنين... فجاهد دون الطيبين، ناضِل دون أخيك الحسين نصير المحرومين، ودافع عن أختك زينب وأم كلثوم، وقاتِل بكل ذرات وجودك حتى آخر رمق من حياتك... وأما اللقاء يا ولدي فعند كوثر الزهراء. هي برأس الحسين وأنا بيديك المقطوعتين، والحَكم العَدل هو الله. وهنالك يخسر المبطلون لا محالة.

وجاءت أم البنين إلى قافلة المهاجرين لله... للحق... للحرية. ودنت إلى ولدها العباس وإخوته حوله يسمعون: أولادي الأعزاء.. وأنت يا ولدي أيها القمر الزاهر للنجباء... ولدي أيها البطل الشامخ.. ولدي أيها العباس الباسل... انطلقوا في ركب الحسين إلى الجنة. ولكن من أرض كربلاء الناعية. وبلّغوا سلامي لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله، ولفاطمة أم الحسن والحسين عليهما السلام وحبيبتي زينب وأم كلثوم عليهما السلام، بلّغوا سلامي لعليٍّ عليه السلام إمام المتقين وقائد المجاهدين، وقولوا له إن أم البنين عليها السلام قد وفيت بالعهد ورضيت بالقَدَر وسلّمت أفلاذ أكبادها لله أولاً، ولله آخراً، دون اضطراب في الإيمان واليقين. فهل أنت راضٍ من أم البنين عليها السلام؟

أجل وتقدمت أم البنين عليها السلام بهذه الرؤية العقائدية تودّع الإمام الحسين عليه السلام السبط أمير قافلة الثائرين، ومشت إلى خِدر السيدة زينب، ولا أدري ماذا أسرّت لها وماذا قالت؟؟ ومسحت على دموعها وهي تحتضن أم

كلثوم وهمست في أذنها!

ثم عادت مرة ثانية إلى أولادها الأربع، العباس وعبدالله وجعفر وعثمان، فوضعت أيدي الثلاثة في يد العباس أخيهم الأكبر، وأوصتهم بالإمام الحسين عليه السلام وأخته زينب وأم كلثوم وشباب بني هاشم والعيال جميعاً والأطفال عليهم السلام خاصة أن لا تعطّلوا جهداً في سبيلهم أبداً.

فنطق العباس هنا: أماه يا أم البنين، لا تقلقي فأنا الحسين والحسين أنا، أنا زينب وزينب أنا، نفسي لنفسهما الوقى، روحي لروحهما الفِدى، عزيزتي أمّاه لا تقلقي على نصرتي للطيبين، فأم كلثوم أختي وكل الأطفال أنا ساقيهم أنا كافلهم أنا أذبّ عنهم الأعداء.

لا تحزني أماه فموعدنا الجنة ولقاؤنا عند ملتقى الكوثر، عزيزتي أُمّاه شكراً لكِ على ما بذلتِ من سَهَرٍ وتَعَبٍ لتربيتي وإعدادي وتهيئتي لمثل هذا اليوم، اجعليني أُمّاه في دعائك وقولي لابني (فضل) إنّ أباك أبا الفضل كان يحبك، وطريق الحُبّ يمر من باب الحسين، فمن أحب حسيناً أحبيته.

أمّاه... قولي للعالم واعلني للبشرية أن حب الحسين قد أجنّ الصادقين في صدقهم، والعباس في طليعتهم.

وداعاً يا أُمّاه... لا تحملي هم إخوتي، إنهم رجال الحياة وسوف يغلبون الموت بحبّ الشهادة، ألسنا جميعاً من مدرسة أبينا علي أمير الأمناء وإمام

الأتقياء؟! ومن مدرستكِ مدرسة الشجاعة والسخاء، مدرسة البطولة والفداء، مدرسة الإيمان والوفاء، مدرسة الإيثار والعطاء، مدرسة الغيرة والنقاء...

إذن يا أُمّاه لا تخافي ولا تحزني ولا تقلقي ولا تبالي، لقد كنتِ لنا مدرسة كاملة وكنا لك خير تلاميذ وطلبة.

ودمعت عينها أم البنين عليها السلام. ومسح العباس عليه السلام على تلك القطرات الدرّية وقال: أُمّاه... مِمّ بكاؤك؟ فإني لم أقل شيئاً إلا وأنت عارفة به!

أم البنين عليها السلام: مِن شموخك أبكي يا ولدي لقد ذكرتي بابيك أمير المؤمنين فانت الشبل من ذاك الاسد، ومِن... (سكتت ولم تستطع أن تُكمل كلامها من البكاء ساعد الله قبلها وهي تودع اولادها واولاد الزهراء عليها السلام).

ثم التفتت إلى بقية أولادها، تقول وأنت يا عبدالله، يا جعفر، يا عثمان. لا تنسوا أنكم أولاد علي بن أبي طالب عليه السلام... أسد الله الغالب... الذي ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله، فلا تنسوا يا أحبتي أنكم أولاد الذي ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين.

لا تنسوا يا أعزتي أنكم أولاد الذي كان بين المجاهدين الأوائل أربطهم عناناً، وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة وقَرُبتِ الأعنّة طَحَن الرحا،

ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز وكبشُ العراق، مكيٌّ مدني... من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها، ذاك أبو السبطين الحسن والحسين.

فلا تألوا جهداً يا أفلاذ كبدي، هاجروا وجاهدوا ولا تأخذكم في الله لومة لائم. هكذا كان أبوكم علي الذي طلّق الدنيا ثلاثاً فما كان يرى إلا الله تعالى.

اذكروه يا أولادي، فقد كان يقول في مناجاته:

«إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» كونوا مخلصين لله وتقدموا إلى الله وحده، لا هروباً من النار ولا طمعاً في الجنة، بل حباً في الله ومودة لأولياء الله.

وتقدمت أم البنين إلى الإمام الحسين عليه السلام قائلة: بأبي أنت وأمي يا أبا عبدالله، أستودعك الله يا نور عيني يا سيدي وإمامي، يا حسين.

«أجهشت بالبكاء وانقطعت عن الكلمات».

فقال لها الإمام الحسين عليه السلام: جزاكِ الله عنا خير الجزاء يا أُمّاه، فقد كنتِ لنا أُمًّا بارة، وداعية مخلصة.

تقدمت خطوة أخرى وقالت على مقربة من سمع الإمام الحسين عليه السلام:

اذكرني يا ولدي عند أمّك الزهراء وبلّغها أجمل سلامي وتحياتي.

الإمام الحسين عليه السلام: لكِ ذلك، فإنه وَعدٌ أمين. وداعاً يا أم البنين، وداعاً... وداعاً[1]...

أم البنين عليها السلام تودع زينب وأم كلثوم والاطفال

أم البنين (وهي تنظر إلى السيدة زينب وأختها أم كلثوم): وداعاً يا ابنتي العزيزة... في أمان الله أيتها العابدة المجاهدة. أنتِ عالمة غير معلمة فلا أوصيكِ بأخيكِ الحسين إلا تذكرة وإن الذكرى تنفع المؤمنين.

السيدة زينب عليها السلام: دعاؤكِ يا أُمّاه، ولن أنساكِ، وهل تنسى البنت أُمها الحنونة المخلصة المضحية؟ أبداً.

أم كلثوم (بكلمات محبوسة متقطعة): وداعاً أيتها الأم الصالحة.

وودّعت أم البنين أطفال الإمام الحسين عليه السلام وقبّلت أصغرهم سناً وهي السيدة رقية وكان عمرها ثلاث سنين. ورفعت يدها لأختها سكينة تحية الوداع، وكانت تلك الدقائق تمر على قلبها مروراً عسيراً.

وهنا عادت إلى ولدها العبّاس، فقالت له كلمتها الأخيرة ويسمعها أبناؤها الآخرون: أطيعوا إمامكم الحسين وقاتلوا دونه أعداءه...

١ـ أم البنين للشيخ اشرف الزهيري، ص١٣٩ـ ١٤٥.

قاتلوا قتالاً حيدرياً، كرّاراً، بتّاراً، ذا الفقار يا بلا هوادة، ولا تهابوا الموت يا ليوثي البواسل.

ومشت القافلة ومشت خلفها عينا أم البنين حتى حجبتها الدموع، ومشت برجليها حتى غابت القافلة في بطن الصحراء وعمق التاريخ لتطلع بفجر جديد[1].

سؤالها من بشر عن الامام الحسين عليه السلام

في مساحة بمقدار أرض كربلاء... انتهت معركة الدم والسيف في عصر يوم عاشوراء، وكان الانتصار كلّه هو للدم المتدفق في عروق الأجيال الثائرة وليخسأ الذين يقولون غير هذا.

ولقد خسر يزيد بن معاوية كل المعركة وعلى جميع الجبهات وإلى الأبد، فقد خسر حتى سلطته التي قتل الحسين لتثبيتها، وذلك بعد سنتين من الزمن المهلك فقط.

واستمر النصر الحسيني يتمدّد ويتمدّد نحو قلوب الملايين والملايين في مشارق الأرض ومغاربها، إنه الفتح المبين حقاً.

عجيب هذا الدم!

١ـ أم البنين للشيخ اشرف الزهيري، ص١٤٥.

ولِمَ لا يكون عجيباً والنبي محمد صلى الله عليه وآله قال عنه: «**إن لدم الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً**». فالفتح المحمدي لن يتوقف، والنصر الحسيني لن ينحسر. هذا هو الإسلام الحق الذي تديره يد الغيب في كل العصور، امتحاناً وابتلاءً وحكمة بالغة.

والآن نعود إلى أم البنين لنقرأ سطوراً من مواقفها الأخرى... ونحن على بوّابة المدينة المنورة مع ركب العائدين من كربلاء، فقد كانوا سبايا، وأيّة سبايا هذه؟ وللمرة الأولى في تاريخ الثورات تعود سباياها حاملة لواء النصر تُرى، وهل يوجد نصر أعظم من نصر المبادئ وفتح القلوب بلا حدود؟!

كتب المؤرخون عن هذا الفصل من نهضة الإمام الحسين عليه السلام: ولما وصل الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرب من المدينة، نزل في الصحراء وضرب فسطاطه، وأنزل العلويات، وكان معه بِشر ابن حذلم، فقال له الإمام: «**يا بِشر، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟**».

فقال بِشر: بلى يابن رسول الله.

فقال الإمام عليه السلام: «**فادخل المدينة وانعَ أبا عبدالله...**».

فانطلق بِشر إلى داخل المدينة، ولما انتهى إلى الجامع النبوي الشريف

رفع صوته مشفوعاً بالبكاء:

يا أهل يثرب لامقام لكم بها قُتِلَ الحسين فأدمعي مِدرار

الجسمُ منه بكربلاءَ مُضـرّجٌ والراسُ منه على القناة يُدارُ

وكأنّي حال لسان أم البنين عليها السلام لما سمعت نداء بشر:

يا ناس بالله دفرجو له خلو ينزل عن ذلوله

بَسايله واسمع گوله مِن التگو ذوله بذوله

بالكون يا هو الصيّتوله عباس بيض وجهي يوله

يا سايله يلي تنشدين انچان تردين الخبرزين

الچ اربعه راحو شهيدين ما بينهم عباس الحنين

لو تنجلب كل الارضين ويچتل مثل عباس سبعين

بس كون سالم راس الحسين ناداها ماجوره بالحسين

ضامي انذبح دامي الوردين صاحت وهملت دمعه العين

لانصب مناحه اعليه كل حين

بكائها عليها السلام وزينب عليها السلام على الامام الحسين عليه السلام

وعن بعض الخطباء قال: لما رجعت عائلة الامام الحسين عليه السلام إلى المدينة قالت زينب عليها السلام: «لا أُريد أحداً يدخل عليّ إلّا من فقدت لها

عزيزاً في كربلاء»، وجلست في منزلها وجعلت جاريتها على الباب، وإذا بالباب يطرق.

فقالت الجارية من على الباب؟ فإن سيدتي زينب لا تريد أحداً يدخل عليها إلّا من فقدت لها عزيزاً في كربلاء.

فقالت لها: **«قولي لسيدتك زينب عليها السلام إني شريكتها في هذا العزاء، وأريد أن أدخل عليها وأساعدها فإني مثلها في المصاب»**.

فلما أخبرت الجارية زينب عليها السلام قالت: **«سليها من هي التي تكون مثلي في المصاب»**، ثم قالت: **«إن صدق ظني فإنها أم البنين»**، فرجعت الجارية.

وقالت لها: سيدتي تقول من أنت التي مثلها في المصاب؟

قالت: **«أنا الثاكلة!! الفاجعة الكبرى»**.

قالت: أوضحي لي من تكونين؟

قالت: **«أو ما عرفتيني أنا أم البنين»**.

قالت الجارية: لقد صدقت سيدتي في ظنها، وإنك والله كما تقولين أم المصيبة العظمى والفاجعة الكبرى.

صاحت صوت آيافگد الأطياب والله اشموحشه يادور الأحباب

اهناك أوسمعن الصرخة على الباب أنا أُم عباس اچيتج لا تفترين

ثم فتحت لها الباب فلما دخلت استقبلتها زينب واعتنقتها وبكت وقالت: عظم الله لك الأجر في أولادك الأربعة، فأجابتها أم البنين وأنت عظم الله لك الأجر في الحسين عليه السلام[1].

[نصاري]

بچت زينب أونادت تلگنها بالله أوياي گومن ساعدنها
هاي أم البنين الراح منها صناديد اربعه أوبالحرب نفلين
بچت زينب أو صاحت آيحزني أولفتها أم البنين ابضلع محني
تصيح ابصوت آيحسين يبني هاي امصيبتك بچّت الدارين
اشلون أم البنين اصياح صاحت اهنا يحسين يبني روحي راحت
تلگنها الحرم عيت او ناحت زينب بالعزه كسرت الصوبين

* * *

سألتُ ربعَ الندى والدمع يَنْهلُ عن معشرٍ هاهنا عهدي بهم نزلوا
اين استقلّوا عن الاوطان وانتقلوا بالامس كانوا معي واليوم قد رحلوا
وخلفوا في سَويد القلب نيرانا

١ـ حياة العباس للسيد عبدالرزاق المقرم عن بعض الخطباء.

المجلس الرابع

حول مقام المرأة في الإسلام ومنزله أم البنين عليها السلام

أُمَّ البنينِ وما أسمى مزاياكِ
خَلَّدتِ بالصبرِ والإيمانِ ذكراكِ
أبناؤكِ الغُرُّ في يومِ الطفوفِ قَضَوا
وضُمِّخوا في ثراها بالدَّمِ الزاكي
لمّا أتى بِشرُ ينعاهم ويَندُبُهم
إليكِ لم تَنفجِر بالدمعِ عيناك
وقُلت قولتَكَ العظمىَ التي خلَّدت
إلى القيامة باق عِطرُها الزاكي
افدي بروحي وابنائي الحسينَ إذا
عاش الحسينُ قُريرَ العين مَولاكِ[1]

١ـ القصيدة بشاعر الاديب الشيخ احمد الدجيلي.

المجلس الرابع

قال الله عليكم في محكم كتابه الكريم

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[1].

(صدق الله العلي العظيم)

المرأة والرجل في مضمار السباق

هل يمكن للمرأة أن تتفوق على الرجل في ميادين المعرفة والعمل والتقوى والجهاد وغير ذلك فتصل إلى ما يعجز الرجل عن الوصول إليه كما وصلت السيدة الجليلة أم البنين عليها السلام؟

للإجابة على هذا التساؤل نحتاج في البدء أن نحرر أمرين هامين لهما مدخلية كبيرة في الإجابة.

١ـ سورة النحل، آية ٩٧.

الأمر الأول: تساوي الرجل والمرأة في القيمة الإنسانية.

الأمر الثاني: بيان مقاييس التفاضل بين الرجل والمرأة وهل هي اختيارية أم قهرية. ولكي يتضح المطلب نشير إلى هذين الأمرين بشيء من الإيضاح:

هل إن الرجل والمرأة متساويان في القيمة الإنسانية بمعنى أن كلاً منهما إنسان لا تمايز بينهما في هذا الجانب أم أن الرجل يتفوق في إنسانيته على المرأة؟.

هناك ومنذ الجاهلية الأولى تصورات خاطئة تميز بين الرجل والمرأة وأنها إنما خلقت من أجل الرجل، ولولا الرجل لما خلقت المرأة؟.

وبالتالي فهي أقل قيمة من الرجل، وأدنى مرتبة وفضلاً، وما دامت كذلك فلتبق طوع أمره، أصاب أم أخطأ، تعيش على هامشه تابعةً له في أهوائه، ليس لها من الأمر شيء.

لكن هذه التصورات سرعان ما بددها الإسلام، فجاء القرآن وفي العديد من الآيات المحكمات ليؤكد على وحدة النوع الإنساني بين الذكر والأنثى وأن منشأهما واحد وعبر نظام واحد، لا اختلاف فيه.

كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ

دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[١].

وإن الهدف من خلق الإنسان ذكراً كان أم أنثى هو تحقيق العبودية الله وحده كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾[٢].

وإن عداء الشيطان لهما مشترك فليس الشيطان عدوًّا للرجل فقط دون المرأة قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٣].

وكذلك كل آية فيها ذكر كلمة (الناس) أو (الإنسان) لا تختص بالرجال بل تشمل النساء أيضاً.

وقد ورد أن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول على المنبر: يا أيها الناس وكانت الجارية تمشطها، فقالت للجارية: استأخري عني (أي أمهليني حتى أسمع) فقالت الجارية: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء فأجابتها أم سلمة: إني من الناس[٤].

١ـ سورة الطارق، الآيات، ٥ـ ٧.

٢ـ سورة الذاريات، الآية، ٥٦.

٣ـ سورة يوسف، الآية٥.

٤ـ السيدة أم البنين سيرتها وكراماتها للشيخ اشرف الزهيري ص٧ـ ١٠، عن صحيح مسلم: كتاب الفضائل، حديث رقم ٢٢٩٥.

اشتراك الرجل والمرأة في الخطابات الالهية

كما أنَّ الواضح من القرآن الكريم اشتراك الرجال والنساء في مختلف الخطابات التكليفية العبادية والمعاملاتية كأداء الصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحرية البيع والشراء، والمساقاة والمزارعة والمضاربة وغير ذلك مما نطقت به الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

١ـ سورة البقرة، الآية١٨٣.

٢ـ سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

٣ـ سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ﴾[١].

وقد يتذرع البعض ببعض النصوص الدينية ليستدل بها على أفضلية الرجل ذاتاً على المرأة كقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[٢]. ولكن الآية المباركة لا تدل على الأمر المراد، ذلك لأنها تتحدث عن العلاقة الزوجية وأن الرجل مسؤول عن القيام بحقوق زوجته والإنفاق عليها ورعايتها وحمايتها كمسؤولية شرعية كلفه الله تعالى بها وهي مسألة (القوامة) وليس المراد من الآية أن كل رجل قوام على كل امرأة حتى لو كانت خارج نطاق الزوجية والأسرة.

ومسألة (قوامة) الرجل (الزوج) على المرأة (الزوجة) تأتي أهميتها لضبط نظام الأسرة، لأنه لو لم يكن للأسرة مسؤول لاختل نظامها وهذا ما يحكم به العقلاء، وعوداً إلى الآية المباركة. فالقيّم، معناه الذي يقوم بأمر غيره والقوّام والقيّام مبالغة منه، والمراد بما فضل الله بعضهم على بعض هو ما يفضل ويزيد فيه الرجال بحسب الطبع على النساء من شدة البأس والقوة والطاقة على الشدائد من الأعمال ونحوها فإن حياة النساء حياة أرادها الله أن

١ـ سورة التوبة، الآية: ٧١.

٢ـ سورة النساء، الآية: ٣٤.

تكون عاطفية مبنية على الرقة واللطافة بما يتناسب مع ما هو مطلوب منها من الحنو على الأطفال وأمثال ذلك، وبالحزم من جانب والعاطفة من جانب آخر يستقيم نظام الأسرة، وإلا فما ظنك بأسرة تعيش بلا حنو ولا عاطفة بل حزم في حزم؟.

فالنساء هنا يفضلن على الرجال بزيادة في درجة العاطفة والرجال هنا يفضلن على النساء بزيادة في درجة البأس والقوة فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الحمل والإرضاع وما أشبه مختصاً بالزوجة وأن تكون القوامة والإنفاق وإدارة شؤون الأسرة كل ذلك مختصاً بالرجل.

وهذه القوامة تكون أيضاً في حدود العلاقة الزوجية فقط وما زاد على ذلك فخارج عن دائرة القوامة فلا شأن للزوج بآراء زوجته وأفكارها ولا بتصرفاتها المالية أو مواقفها الاجتماعية وما أشبه.

يقول الشيخ مهدي شمس الدين رحمه الله: «**والظاهر من الآية الكريمة أن المراد منها قوامية الرجال على النساء في الأسرة فقط وباعتبار الزوجية فقط، بحيث لا منافاة بين كون الزوج قيّماً على المرأة باعتباره زوجاً، وتكون قيّمة عليه باعتبار آخر ككونها رئيسة**

لجمعية خيرية أو سياسية أو نقابية هو عضو فيها»[١].

معايير التفاضل بينهما

مما سبق تبين أن الرجل ليس بأفضل من المرأة باعتبار رجولته وأن المرأة ليست بأقل من الرجل باعتبار أنوثتها، بل هما متساويان في القيمة الإنسانية بينهما من جهة، نعم هناك قيم ومبادئ أرشدنا إليها الإسلام وجعلها معايير وموازين للتفاضل بين الناس فمن كان ملتزماً بها كان عند الله أكرم وأفضل. وهي أربعة معايير:

الأول ـ التقوى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢].

وقال ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى»[٣]، فمن كان أتقى وأقرب إلى الله وأكثر التزاماً بأوامره واجتناباً لنواهيه فهو الأكرم عندالله سواء كان

١ـ السيدة أم البنين للشيخ اشرف الزهيري، ص١٣ عن أهلية المرأة لتولي السلطة.

٢ـ سورة الحجرات، الآية١٣.

٣ـ كنز العمال: حديث رقم ٥٥٦٥.

رجلاً أم امرأة، حراً أم عبداً، أحمر أم أسود، عربياً أم أعجمياً. وهذا المعيار هو أهم المعايير فبه تنفع المعايير الأخرى، وبدونه لا قيمة لها إلا عند أهل الدنيا.

الثاني ـ العلم:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٢].

وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقلُّ الناس قيمة أقلهم علماً»[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا شرف كالعلم»[٤].

وقال عليه السلام: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن

١ـ سورة الزمر، الآية:٩.

٢ـ سورة المجادلة، الآية ١١.

٣ـ البحار، ج١، ص١٦٤.

٤ـ النهج، الحكمة، ص١١٣.

يكثر علمك ويعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربك»[١].

وفي شعر منسوب له عليه السلام قال:

الناس من جهة التمثال أكفاءُ أبوهم آدم والأم حواء

إلى أن يقول:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلّاء

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

فقم بعلم ولا تطلب به بدلاً فالناس موتى وأهل العلم أحياء[٢]

فمن كان أكثر علماً كان أكثر جدارة ونفعاً لنفسه ولغيره بل وأكثر طاعة لله تعالى وخشوعاً له قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[٣]، ومن ثم يكون هذا المعيار مرتبطاً بالمعيار الأول.

الثالث ـ العمل كيفاً لا كماً:

وهذا المعيار مرتبط بالمعيار الأول أيضاً، ذلك لأن التقوى لا تتم إلا بالعمل وإنما أفردنا (للعمل) نقطة خاصة وجعلناه معياراً لزيادة التوضيح ولدفع وهم، إذ ربما يظن البعض أن التقوى تعني الركون في صومعة العبادة

١ـ في ظلال نهج البلاغة: لمغنية، ج٤، الحكمة، ص٩٢.

٢ـ ديوان الإمام علي عليه السلام.

٣ـ سورة فاطر، الآية٢٨.

والزهد، ولا ترتبط بدخول ساحة العمل.

وإلا فالدين عمل كله، والآيات التي تشير إلى هذا المعيار كثيرة جداً.

منها قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات.

فعمل الإنسان هو الذي يحدد موقعه عند الناس وعندالله، في الدنيا وفي الآخرة ومعلوم بالبداهة أن العمل الحسن يختلف عن العمل السيئ والعمل الأحسن يختلف عن العمل الحسن، لذلك أكد القرآن على (العمل الأحسن) فجاء: بصيغة التفضيل (أحسن) كما عبّر بالكيف لا بالكم في

١ـ سورة الملك، الآية٢.

٢ـ سورة الكهف، الآية٧.

٣ـ سورة هود، الآية ٧.

قوله: ﴿الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ذلك لأن المقام مقام تفاضل فمن كان (أحسن عملاً) كان الأفضل والأكرم عند الله تعالى.

الرابع ـ النّفع لعباد الله:

وهذا المعيار يرتبط أيضاً بالمعيار الثالث، وإنما أفردنا له نقطة تأكيداً على أهميته، خصوصاً وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الكثير من النصوص التي تؤكد على أهميته من قبيل ما قاله صلى الله عليه وآله حينما سئل: من أحب الناس إلى الله تعالى؟ قال صلى الله عليه وآله: «**أنفع الناس للناس**»[1].

وعن الصادق عليه السلام قال: «**خير الناس من انتفع به الناس**»، فمن كان أكثر نفعاً للناس كان الأحب لله تعالى والأكرم عنده سواء كان رجلاً أم امرأة.

ومن هذا المنطلق تكتشف حرص الإسلام على رعاية حقوق هذا الإنسان، وكرامته، وحرمة الإضرار به، أو هتك حرماته.

فهذه الأمور الأربعة (التقوى والعلم والعمل والنفع لعباد الله) التي جعلها الإسلام مقاييس ومعايير للتفاضل وإن جمعها عنوان التقوى دقيّاً يمكن لأي إنسان أن يتحصل عليها وتكون نسبة حصوله منها مرتبطة بمقدار جده

١ـ السيدة أم البنين للشيخ اشرف الزهيري ص١٧ عن سفينة البحار، مادة (نفع).

واجتهاده وسعيه والتزامه وإرادته، فهي معايير كسبية يتحصل عليها الإنسان بالعمل، واختيارية يكون الإنسان مخيراً في الحصول عليها ليس مكرهاً مسلوب الإرادة.

كما أن مضمار السباق في ميدان هذه الأمور الثلاثة ليس خاصاً بالرجل فالمرأة معه في هذا المضمار ومن كان الأسبق كان الأفضل ويشير القرآن في جملة من الآيات إلى هذا الأمر.

يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[1].

فالمرأة كما الرجل فمن كان منهما أكثر جهاداً وصبراً وأكثر تقوى، وعلماً وأحسن عملاً كان هو الأكرم والأفضل عند الله ولذلك قد تصدرنا المجلس بهذه الآية المباركة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

١ـ سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

يَعْمَلُونَ﴾[1].

فالمؤمن التقي العامل للصالحات سواء كان رجلاً أو امرأة يكون هو صاحب قصب السبق في هذا المضمار فالمؤثر هو التقوى والعمل الصالح وليس الذكورة أو الأنوثة.

أم البنين عليها السلام والحياة الزوجية الناجحة

لقد جسدت أم البنين صفات الزوجة المؤمنة والأم الصالحة والمديرة الناجحة، وحسب ما أرادت هي أن تسمّي نفسها: الخادمة المخلصة.

فكانت تقوم في بيت الإمام علي عليه السلام بما تقوم به المرأة التي تريد لزوجها كامل السعادة، وتريد لأبنائها وأبناء زوجها كل الخير والتقدّم، وتريد لحياتها كل ما في قضاء الله وقدره ورضاه.

لم تكن أم البنين تقدم راحتها على راحة زوجها وأبناء سيدتها فاطمة الزهراء، فكانت أول يوم دخلت المنزل وجدت الحسن والحسين مريضين فأخذت تسهر معهما وتقابلهما بالبشاشة ولطيف الكلام وتعاملهما كالأم الحنون.

ولم تكن تنام إلا بعد أن تطمئن قد هيّئت للحسن والحسين وزينب وأم

١ـ سورة النحل، الآية٩٧.

كلثوم ما يريح نومهم ويسعد أحلامهم.

ولم تكن تأكل إلا بعد أن تُشبِع أبناء علي وفاطمة من الطعام، وتنشر عليهم من كلمات الحنان، وتوزّع على الجميع في البيت ابتسامات الرضا والابتهاج بهم.

ولم تكن أم البنين تترك المنزل وحجره وساحته والمطبخ أيضاً إلا إذا تأكدت من نظافته ورتابة محتوياته، وهي تعلم أن ذلك كله ليس واجباً، وإنما كانت تتطوع خيراً لنفسها، تدّخره ليوم الحاجة إلى الأجر الأخروي، ولأن بذلك تتكامل فصول التعاون في الأسرة.

ولم تكن أم البنين تؤخر صلاتها عن وقت الفضيلة، ولم تكن تنسى تلاوة القرآن والدعاء. ولم تكن تهمل الجيران إذا طرقوا باب دارها.

أم البنين هي الزوجة المثالية، هي أم بكل معاني الأمومة الموفقة، هي مديرة بكل معاني الإدارة الناجحة، هي خادمة بكل ما للخدمة من أجر وثواب وتواضع وإخلاص.

أم البنين ما كانت ترى لنفسها وجوداً من دون واجباتها الشرعية والأخلاقية والإنسانية. وما كانت تفكر في حقوقها كزوجة ولا كأم ولا كمديرة لبيت الزوج ولا كخادمة. بل ذابت وأذابت نفسها بكل فخر واعتزاز في أن تؤدي دوراً فيه رضا الله وسرور زوجها وأبنائه الحسن

والحسين وبناته زينب وأم كلثوم.

وإذا سألناها لماذا هكذا أنتِ في بيت زوجك؟

لعلها كانت تقول: أريد رضا الله، وشفاعة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن أسمع الزهراء في يوم القيامة تقول لي: أحسنتِ يا أم البنين، ما قصرتِ مع أفلاذ أكبادي... بيّض الله وجهك!

هكذا كانت الزوجة التي اختارها الإمام علي عليه السلام في سياق عدة زوجات تزوجهن بعد زوجته الأولى فاطمة الزهراء عليها السلام التي غيبتها مظالم الحزب القرشي عن الحياة وهي لم تكمل الثامنة عشرة من شبابها...

هكذا كانت أم البنين... صديقة حميمة للزهراء عليها السلام... ومثالاً صادقاً للتفاني والحب والإخلاص ونكران الذات والعمل الدؤوب في سبيل الله.

عاشت في المدينة المنورة وانتقلت إلى الكوفة ثم عادت إلى المدينة، مسيرة كلها طاعة للزوج المطيع لله، لا تهدر على زوجها ولا زوجها كان يظلمها ليستحق الهدرة!

صفات أم البنين، كانت هي الصفات التي تسعدها وتسعد زوجها علياً عليه السلام، وكانت تتمنى صفاتها لكل امرأة مسلمة في كل الأزمنة[1].

١ـ السيدة زينب للشيخ اشرف الزهيري، ص١٠٥.

أم البنين عليها السلام وذكريات اليمة مع أم كلثوم عليها السلام

كانت أم البنين هذه السيدة الجليلة تحادث أيتام الزهراء وتجلس معهم لتشبعهم بحنانها وعطفها وحبها. وذات يوم لا حظت أم البنين على وجه الطفلة أم كلثوم شرود البال وهي تنظر إلى زاوية من البيت! فقالت لها: فيم تفكرين يا ابنتي؟

أم كلثوم: نظرتْ ثم تأوّهتْ ثم هكذا نطقت بصوت الطفلة البريئة: كانت أمي الزهراء تجلس هنا يا خالة، وتمشّط شعري وتقبلني وهي تقرأ لي من القرآن آيات بصوتها الخاشع، وتروي لأختي زينب أقوال جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وتنشد لنا أشعار الإيمان والأمان وتزرع في قلوبنا روح الأمل بالخير والجنان...

آه... يا خالة، كانت أياماً حلوة...

أسألك يا خالة: لِمَ ماتت أمنا؟! إنها لم تكن كبيرة السن يا خالة!

أم البنين عليها السلام (وهي تمسح دموع عينيها بطرف كُمّها) وقد اختنقت الكلمة في حنجرتها، وحاولت أن تكلم الطفلة اليتيمة ولو ببعض كلمات متقطعات. ولكنها ضعفت عنها تماماً وانهارت بين يدي اليتيمة أم كلثوم.

وعادت أم كلثوم تسأل الخالة أم البنين: ليس مهماً خالتي أن تقولي

شيئاً، فأنا أعرف كل شيء. إنهم ضربوا أمي وعصروها بين الباب والجدار (وأشارت الطفلة إلى المكان) وما رأينا ونحن مذعورين إلا نادت أمنا والباب يحترق والدخان يتصاعد: يا أسماء يا فضة هلمّوا فقد أسقطوا جنيني.

وأجهشت أم البنين بالبكاء شديداً، والطفلة أم كلثوم تخطب فيها وهي تنعى مصيبة أمها: إيه يا خالة، ما كنتِ معنا، فقد ذُعِرنا وما كِدنا ندرك عمق الحدث والمصيبة وحجم الكارثة التي وقعت بعد وفاة أبيها جدنا محمدﷺ ثم تمرضت وماتت خلال تسعين يوماً.

صدّقي يا خالة! ان امنا فاطمة ماتت حزينة مظلومة مضطهدة وساخطة على الذين ظلموها.

أم البنين عليها السلام ـ وبكاؤها ارتفع حدّه ـ: عزيزتي يكاد قلبي يتقطع وفؤادي يتمزق كلما أسمع مقطوعة من هذه الظلامات التي لو كانت واحدة منها تُصَبّ على امرأة أخرى غير أمك الطاهرة لابتلعتها من هذه الحياة قبل أوانها. إن أمك الزهراء يا حبيبتي كانت أسوة في الإيمان بالله الحق، وقدوة في الصبر عليه، كاملة فيها دون أقلّ نقص. وستبقى أمك فاطمة رمزاً خالداً للحق وعنواناً راشداً للصبر وليس للنساء بعدنا فحسب بل للرجال أيضاً، فلا تحسبي يا ابنتي أن الله يضيع أجر المحسنين، فأمك (فاطمة) الزهراء العظيمة

قد اختارها الله سيدة المحسنين جميعاً والمحسنات.

أم كلثوم عليها السلام: كلامكِ هذا يا خالة يذكّرني، أننا لما كنا نجلس هناك (وأشارت إلى ساحة البيت) تقول وتقول أُمّنا إن أخانا الجديد سوف نسميه محسناً، ولكنه مات يا خالة... قصدي أنهم قتلوه في بطن أمنا يا خالة! (وبكت أم كلثوم ولم تقل كلمة أخرى).

أم البنين عليها السلام، سيطرت عليها الدموع الساخنة فلم تستطع شيئاً من الكلام أيضاً ونظرت بصعوبة بالغة إلى الطفلة اليتيمة أم كلثوم وإذا بها تبكي هي بدورها. فما كان منها إلا أن تمسح على رأسها وتحضنها، مرّت دقائق وهما هكذا حتى حضرت السيدة زينب!

السيدة زينب عليها السلام: ما بكما؟ خيراً يا خالة! حبيبتي أم كلثوم أخبريني عن الحدث؟ هل حصل ما يزعجكما يا أحبتي؟

أم كلثوم عليها السلام: لا يا سيدتي... كنا نتذكر أمنا فاطمة الزهراء، ونتكلم ما أعظمها كانت، وما أسرع موتها يا أختاه، أليس هذا يحرق القلب يا زينب؟

السيدة زينب عليها السلام: صحيح ما تقولين يا أُختي ولكن لله في الأمور حِكَماً ودروساً تمتد على مساحةِ الزمان كلّه. نحن قوم شرّفنا الله بكل الفضائل وطهّرنا من كل الرذائل، فلا نقول حين المصائب إلا ما علّمنا الله عز وجل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هكذا أدّبنا جدنا محمد صلى الله عليه وآله.

عزيزتي يا أم كلثوم قومي حبيبتي وتوكّلي على الله ودعي الخالة أم البنين لا تحزن كثيراً في بيتنا، فإن لديها ما يكفيها من الأمور التي تحمّلت مسؤوليتها ونحن لها شاكرين.

أم البنين عليها السلام (وهي تقبّل أنامل السيدة زينب عليها السلام): بأبي أنتم وأمي ومالي ونفسي أيها الأطهار من آل بيت محمد المختار... لي الفخر والاعتزاز أن أخدمكم طول بقائي معكم يا سادتي الأبرار. إن أم البنين عليها السلام تفديكم بكل إخلاص ما تملكه من كل غال ورخيص.

نعم أم البنين خدمتهم بكل وسعها بل قدمتهم حتى على اولادها ولذلك الزهراء عليها السلام ترد هذا الجميل الى أم البنين في يوم القيامة تطلب من الله تعالى ان ياخذ بحق مصاب ولدها ابوالفضل العباس.

وفاء الزهراء عليها السلام لأم البنين عليها السلام في يوم القيامة

وورد في الحديث[1]:

أنّ الزّهراء سلام الله عليها تخرج يوم القيامة وفاء لأم البنين عليها السلام التي ما سالت عن اولادها وانما سئلت عن الإمام الحسين عليه السلام، فتخرج يوم القيامة وتحت ردائها طبق فيه كفًّا أبي الفضل العبّاس عليه السلام.

١ـ الطريق الى منبر الإمام الحسين عليه السلام للشيخ الكاشي، ج ٢، ص٢٠٩.

تأتي وهي حزينة تصيح: «**إلهي خُذ بحقِّنا، وأنتقم ممَّن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا**». فيأتي النّداء من ربِّ العزَّة: «**يا زهراء عليها السلام: ماذا تريدين**»؟

فتقول: «**يا ربّ شيعتي**». فيقول الله عزَّ وجلَّ: «**قد غفرتُ لهم**».

فتقول عليها السلام: «**يا ربّ شيعة ولدي**». فيقول الله عزَّ وجلَّ: «**قد غفرتُ لهم**». ثمَّ يقول الله. يا فاطمة، «**إنطلقي فمن إعتصم بكِ فهو معكِ**». فتسير ويقوم كلّ هؤلاء فيسيرون معها.

وفي رواية: تلتقط شيعتها كما يلتقط الطير الحب الرَّديء من الحبّ الجيّد.

نعم الصدّيقة الطَّاهرة عليها السلام تتقدَّم للشفاعة ولكن بماذا تشفع؟

ورد في الخبر: أنَّها تخرج وتحت ردائها طبق فيه كفَّا أبي الفضل العبَّاس عليه السلام المقطوعتين.

ثمَّ يأتي النّداء: «**ماذا تريدين؟ هل جئتِ تُطالبين بكسر رُباعيَّة أبيكِ محمَّد صلى الله عليه وآله**؟» فتقول: «**لا يا رب**».

يا فاطمة: «**هل جئتِ تُطالبين بكسرِ ضلعكِ وماجرى عليكِ من المصائب يوم الباب**؟» فتقول: «**لا يا رب**».

يقول: «**يا فاطمة: هل جئتِ تُطالبين بمظلومية بعلكِ علي أمير المؤمنين عليه السلام وبما جرى عليه من غصب حقِّه من الخلافة؟**» فتقول: «**لا يارب**».

يقول: «**هل جئتِ تطالبينَ بحقِّ ولدكِ الحسنِ المجتبى وبكبدِهِ المقطَّع؟**»

فتقول: «**لا يارب**».

فاطمة: «**هل جئتِ تطالبين بمصائب ولدكِ الإمام الحسين عليه السلام؟**» فتقول: «**لا يارب**». فهاهنا يتعجَّب الخلائق فيقول: «**إذن بمَ جئتِ تُطالبين يا فاطمة؟**» فتُخرج فاطمة الزَّهراء عليها السلام طبقا فيه كفًّا أبي الفضل العبَّاس عليه السلام اليمين والشّمال، فتنادي فاطمة الزَّهراء: «**إلهي ما ذنبُ هذين الكفَّين حتّى قُطِعا من الزَّند**».

أُنظر إلى وفاء الزَّهراء عليها السلام لأمِّ البنين. لاشكَّ أنَّ هذا الموقف من الزَّهراء عليها السلام هو قمَّة الوفاء لأمِّ البنين عليها السلام، الَّتي ما سألت عن أولادها الأربعة يوم اخبرها بشر بشهادتهم وإنَّما سألت عن أبي عبدالله عليه السلام.

ولذلك لمَّا أتى النَّاعي بشرين حزام المدينة وقف على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل ينادي:

يا أهل يثرب لا مُقامَ لكُم بها قُتِلَ الحسين فأدمُعي مِدرارُ

الجِسمُ منه بكربلا مُضرَّجٌ والرَّأسُ منهُ على القناة يُدارُ

ضجَّ النَّاس بالبكاء والنَّحيب، يقول بشر: بينما أنا أخترق الأزقَّة والطُّرُقات، إذ إستقبلتني إمرأة طويلة القامة، على كتفها طفلٌ صغير سألتُ عنها، قيل لي: هذه أم البنين وعلى متنها طفلٌ للعبَّاس إسمُهُ الفضل، فقالت لي: «**يا بشر هل عندك علمٌ بولدي الحسين؟**» فقلتُ لها: يا أم البنين تسألين عن الحسين وعندكِ أربع شباب مع الحسين لا تسألين عنهم.

يا أم البنين عظَّم الله لكِ الأجر بولدكِ جعفر. قالت: «**يا بشر هل سئلتك عن أولادي أخبرني عن ولدي الحسين**».

قلتُ: يا أم البنين عظَّم الله لكِ الأجر بولدكِ عبدالله وبولدك عبد الرحمن. قالت: «**يا بشر أخبرني عن ولدي الحسين عليه السلام**».

عند ذلك قلتُ لها: يا أم البنين عظَّم الله لكِ الأجر بولدكِ قمر العشيرة أبي الفضل العبَّاس. لمَّا سَمِعَت أم البنين وَضَعَت يدها على قلبها.

قالت: «**يا بشر لقد قطَّعتَ نياط قلبي، أخبرتني بشهادة أربعة من أولادي، ولكن إعلم أنَّ أولادي وجميع من تحت الخضراء فداء لأبي عبدالله الحسين. أخبرني عن ولدي الحسين عليه السلام هل**

هو حيّ؟»

عند ذلك قلتُ لها: يا أم البنين عظَّم الله لكِ الأجر بأبي عبدالله الحسين عليه السلام، فقد خلَّفناه بأرض كربلاء خُثَّة بلا رأس.

يسايله يلي تنشدين انچان تردين الخبرزين
گعدي وهلّي دمعة العين الچ اربعة بالطف مطاعين

* * *

يگللّها عظَّم الله اَجرچ إبجعفر وعون تِگِلَّه الكِل فِده لحسين يرحون
يَگللّها عبدالله غده أوياهم فَرد كُون تِگِلَّه الفخر الريحانة المختار
يگللّها أنچتل عبّاس إشتگولين اِلتِوَت وأتگُول گِلّي اِبگرُّة العين
بچَه ودگ على رأسه وصاح يَحسينى اهي يحَسينى صاحت يبني الصَّار

* * *

حَنَّت وصاحت يا هظيمه راح الحسين الچان خيمه
إبن فاطمه وراعي الحشيمه حزني على أمصابه لجيمه

* * *

بالله استعدي للبواچي يم البنين ردوا يتامي وانذبح عباس وحسين
يم البنين الأربعة محد دفَنهُم دَمهم غسلهم والتُّرُب صاير چفنهم
وأمنِ الصُّبح زينب مِشت للشام عنهم فوگِ الهزل مَرَّت وشافتهم مُطاعين
يا يم البنين الأربعة إنذَبحُوا ظمايا وظلُّوا ثلاث تَيَّام عالَغبره عرايا
وريتچ نظرتي عالنَّهَر صاحب الرايه مفضوخ رأسه إمكَطِّعه إشماله واليمين
يم البنين الأربعة تشهد لچ الناس ماصار بليوث اعرايب مثل عباس

خلا الارض روس وجثث ومطهمّه داس روس الاعادي وغلق الميدان صوين

عند ذلك صاحت: وا ولداه، واحسيناه:

إدكَلَّه إجاني الخبر حسين مذبوح ودَمَّه على التِّربان مسفوح
وجسمه على التربان مطروح ورأسه على رأس السمهري أيلوح
أنا لنوحن وكضّي العُمُر بالنُّوح وَأعمي أعيوني وَأتلفِ الروح

* * *

على اولادي يزيد النوح يمهم
او فرد ساعة الدهر يمهم
احب اگصد وجاور كون يمهم
اجاورهم لمه اتجيني المنيّه

المجلس الخامس

إيثار أم البنين عليها السلام على الدنيا وزينتها

وإن أنسَ لا أنسى أمَّ البنين ... وقد فقدتْ وُلدها أجمَعا

تنوحُ عليهُم بوادي البَقيع ... فيَذري (الطريدُ) لها الأدُمعا

ولم تَسْل من فقَدت واحداً ... فما حال من فقَدت أربعا

بيومٍ به ضاع عهدُ النبي ... وخانت (أميةُ) ما استوَدعا

غداةَ أبوالفضل لفّ الصفوف ... وفلّ الظُّبى والقنا الشُّرَّعا

فتىً ذكَّر القومَ مُذرا عهم ... أباه الفتى البطلَ الأروعا

إذا ركَعَ السيفُ في كفِّهِ ... هوتْ ها مُهم سُجَّداً رُكَّعا

وحولَ الشريعةِ تحمي الفرات ... جموعٌ قضى البغيُ أن تجمعا

وآبَ ولم يُروَ مِن جرعةٍ ... وجرَّعه الحتفُ ما جَرَّعا

فخرَّ على صُفَّة، العلقمي ... صَريعاً فأعظمْ به مَصرَعا[1]

١ـ القصيدة للشيخ محمّد على اليعقوبي عليه الرحمة عن ديوان الذخائر.

المجلس الخامس

إيثار أم البنين عليها السلام على الدنيا وزينتها

أم البنين عليها السلام في بيت مَن وصفته الزهراء بالزهد والعبادة في خطبة فدك قائلة:

«مَكدُوداً في ذاتِ الله مُجتهداً في أمرِ الله، قريباً من رسولِ الله، سيداً في أولياءِ الله مُشمِراً ناصِحاً مُجداً كآدِحاً، وأنتُمْ في رفاهيةٍ من العيشِ وادعونَ فاكهونَ، آمنونَ، تتربصون بنا الدوائر وتَتَوكفونَ الأخبارَ».

زهد أم البنين عليها السلام في بيت أمير المؤمنين عليه السلام:

مما تميزت به أم البنين عليها السلام هو شدة ولائها لأهل البيت عليهم السلام فكانت تتمنى أن تخدمهم بأجفان عيونها، وتبذل في سبيلهم أعز ما عندها، حتى وهي لم تدخل رياض البيت العلوي، أما بعد دخولها البيت العلوي فقد حولت تلك الأماني إلى واقع أدهش العقول وحيّر الألباب، وبذلك ارتقت

ذروة المجد، وكانت في الخالدات.

ومع أن التاريخ لم ينصف لنا هذه المرأة المعجزة الخالدة، ولم يكتب لنا شيئاً يستحق أن يذكر من تلك المواقف الشريفة التي أثبتت من خلالها شدة إيمانها وولائها لأهل بيت العصمة عليهم السلام وذوبانها في حبهم والذود عنهم، غير أننا نكتشف من خلال بعض المواقف التي وجدناها ضائعة في بطون الكتب.

وعلى هوامش التاريخ أن هناك المئات من أمثال هذه المواقف الكريمة، والعطر لا يُعرف بالوصف بل يتضوع فيدل على طيبه ورائحته، فمن طيب هذه المواقف نستدل على وجود أمثالها خصوصاً في حياة ما تكللت ولا اتصفت ولا تميزت إلا بها.

ومن تلك المواقف هي ايثارها علياً عليه السلام على الدنيا وزينتها.

منذ اللحظات الأولى التي جاءها فيها عقيل يخطبها لأخيه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول لأبيها: جئتك بشرف الدنيا والآخرة أدركت جيداً أن زواجها من علي عليه السلام يعني طلاقها للدنيا، وطلاقها للراحة واستعدادها للبلاء، بل لشتى أنواع المصائب والمحن، لأنها امرأة واعية وناضجة وتعرف جيداً سيرة من جاء يطلب يدها للزواج منها، فحياته مع الزهراء عليها السلام، وإيثاره وصبره، وعناؤه حتى أنه يبقى مع الزهراء عليها السلام أياماً لا يجدان ما يقتاتان به

غير خاف على أحد، ولم تكن ناسية لكلام الزهراء عليها السلام وهي تصف علياً في خطبتها (المعجزة) الخالدة:

«مكدوداً في ذات الله مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون، آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار».

وفي كلامها لنساء المهاجرين والأنصار وهي تصف علياً عليه السلام.

«ولم يكن يحلى[١] من الغنى بطائل[٢]، ولا يحظى[٣] من الدنيا بنائل غير ري الناهل[٤]، وشبعة الكافل[٥]، ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب[٦]».

كما أنها تعرف مستوى بيت علي عليه السلام ذلك البيت المتواضع المصنوع

١ـ يحلى: يعني يصيب ويستفيد.

٢ـ البطائل: كثير الفائدة.

٣ـ يحظى: يظفر والنائل العطاء.

٤ـ الناهل: العطشان.

٥ـ الكافل هنا: المحتاج إلى الطعام.

٦ـ راجع أعلام النساء: لعمر كحالة، ج٤، ص١٢٣.

من سعف النخل، ولم تكن في غفلة أو منأى عما حلّ به من المحن والمصائب خصوصاً بعد رحيل سيد الأنام الرسول صلى الله عليه وآله، فموافقتها للزواج من علي عليه السلام تعني أن ترضى بحياة الزهد والتقشف والهجران لمختلف مباهج الحياة الدنيا وزينتها، واستعدادها للعناء، واللأواء، ومصائب الأعداء، فهي ستكون زوجة لرجل أعداؤه ومناوئوه في كل حدب وصوب، قد أعدوا لكل حق باطلاً ولكل قائم مائلاً، ولكل ليل مصباحاً، ولكل باب مفتاحاً.

لكنها تدرك جيداً في نفس الوقت أن اقترانها بعلي عليه السلام يعني سعادتها الأبدية والفوز المحقق بدار الخلود، ذلك لأنها تخدم وتطيع وتتبع أوامر ومواعظ سيد الأوصياء وإمام الأتقياء عليه السلام ومن يأخذ بيدها حتماً إذا ما أحسنت تبعّلها له وسارت على نهجه إلى جنات النعيم.

فالمرأة هنا أيّ امرأة تقف بين أمرين أحدهما مُرٌّ:

١- بين رغبتها في الهدوء، والحياة الدنيوية الهانئة وابتعادها عن المشاكل والمتاعب خصوصاً فيما يرتبط بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن والعشرة مع من تخالط من أبناء جنسها خصوصاً عندما تنظر إلى قريناتها يتنعمن بالمسكن الجميل، والفراش الوتير، والعيش الرغيد، والمال الكثير وهي لا تملك بل ربما تعرضت إلى السخرية والاستهزاء والتشهير

والتعيير ذلك لأن قيم الحياة ومفاهيمها قد تبدلت فحولت من المعروف منكراً ومن المنكر معروفاً، ومن الحق باطلاً، ومن الباطل حقاً.

٢ـ وبين أن تفوز بشرف الاقتران بزوج ينقلها حتماً باتباعها له إلى سعادة الآخرة، وجنة عرضها السماوات والأرض، وهذا هو الامتحان الصعب، الذي تتعرض له المرأة على مر التاريخ وإن تغيرت صور هذا الامتحان وأشكاله.

ولهذا نجد أن زوجات الرسل والأئمة والأولياء الصالحين والعلماء يتعرضن إلى ضغوط نفسية واجتماعية ومعيشية مختلفة، فالبعض منهن تتجاوز هذه الضغوط وتتحداها وتنتصر عليها وهذا دليل وعي وإدراك وبعضهن تفشل أمام الامتحان، وهذا كاشف عن الجهل وقلة الوعي والخلود لهذه الدنيا الفانية.

من هنا نجد الرسول صلى الله عليه وآله يصارح زوجاته منذ بداية العلاقة بينه وبينهن بين السمو وإيثار الآخرة وبين الانحدار إلى دركات حب الدنيا وعبارة اللذة والشهوة فيقول: ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

فمن الضغوط التي تتعرض لها زوجة النبي أو الإمام أو العالم ما يمارسه في حياته الشخصية من أرقى درجات الكمال الأخلاقي من الزهد والقناعة والإنفاق وكل ذلك ينعكس أولاً في بيته وحياته، ومع زوجاته إذ لا يعقل أن يكون آمراً للناس بتلك المثل ومخالفاً لها في منزله.

وهنا تتعرض الزوجة تلك للامتحان فإمّا أن تستجيب لنمط تلك الحياة طائعة وترتقي بنفسها إلى ذلك المستوى العالي لزوجها فتسعده وتسعد به، كما كان حال الصديقة خديجة بنت خويلد (•) مع النبي صلى الله عليه وآله وإما أن تبقى حيث هي، فلا تحظى مع الرسول أو الإمام بغير المنام والمضاجعة وأحياناً بغير الطلاق والمفارقة.

لقد وجدنا من زوجات الأنبياء والأولياء من كانت كذلك... فقد ضرب الله سبحانه وتعالى في القرآن مثلاً للذين كفروا امرأتين من زوجات الأنبياء خانتا خط الأنبياء، وتركتا المسيرة الرسالية وأحبتا الدنيا، وركنتا إليها، فكانتا مثلاً لكل الذين كفروا:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا

١ـ سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨ـ ٢٩.

تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1].

وهذا الامتحان الصعب تعرضت له السيدة أم البنين عليها السلام فلم تُحَقِّق نجاحاً وتجاوزاً للضغوط فحسب، بل حققت فوزاً ساحقاً، وعملاً بطولياً شامخاً، فكانت من قوم أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها، فغدوا في رياض الجنة يرتعون، ومن نمير الكرامة يشربون، فإيثارها علياً عليه السلام على الدنيا، وفرحها بالاقتران به هذا الموقف يثبت لنا حقيقة وعيها وعظيم ولائها لسادات الخلق الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وفائها في بيت الزهراء عليها السلام

وكونها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وأنه لا يمكن أن يقاس بها من هذه الأمة بل ولا من كل الأمم أحد.

ويتجلى هذا الأمر في قولها للحسن والحسين عليهما السلام وزينب ليلة زفافها من علي «**أنا ما جئت هنا لأحل محل أمكما فاطمة**» ثم اختنقت

١ـ سورة التحريم، الآية: ١٠. السيدة أم البنين للشيخ اشرف الزهيري، ص٦١ عن نساء حول أهل البيت عليهم السلام، ص١١٠.

بعبرتها وقالت: «**أنا هنا خادمة لكم جئت لخدمتكم فهل تقبلون بهذا وإلا فإني راجعة إلى داري**»[1] فرحّب بها الحسن والحسين وزينب عليهم السلام وقالوا لها: «**أنت عزيزة كريمة وهذا بيتك**».

تأمل: هذا الموقف يصدر من (ضرة) تجاه (ضرتها) وتجاه أبناء (ضرتها) مع أنه إنما سميت الزوجة الأخرى (ضرة) لأن من شأنها الإضرار بسابقتها، والسابقة بلا حقتها وإن كان الإضرار حراماً.

فانظر إلى أي درجة بلغت هذه المرأة العظيمة؟، إننا نجد في حياة زوجات سيد البشر الرسول صلى الله عليه وآله التغاير، والتنافس حتى في صغائر الأمور، فإذا ما أثنى الرسول صلى الله عليه وآله على واحدة من زوجاته تستحق الثناء، يلوح الغضب وتعترض الغيرة من زوجة أخرى وإن كانت المذكورة بالثناء ميتة، كما حصل للسيدة خديجة أم المؤمنين عليها السلام واعتراض بعض زوجات الرسول صلى الله عليه وآله عليه حيث قالت: «**لا زلت تذكر عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها**» فيقول الرسول صلى الله عليه وآله: «**والله ما بُدّلت خيراً منها، آمنت بي حين كفر بي الناس، وأعطتني حين منعني الناس، وصدقتني حين**

١ـ السيده أم البنين للشيخ اشرف الزهيري، ص٦٧ عن العباس رجل العقيدة والجهاد، ص٣٤.

كذبني الناس»[١].

أما أم البنين عليها السلام فقد بلغت من التقوى والإيمان والولاء لأهل البيت عليهم السلام حداً جعلها تؤثر ضرتها وأبناء ضرتها على نفسها التي بين جنبيها ذلك لعلمها بأنهم سادات الأنام وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه.

ومعرفتهم تتطلب معرفة حقوقهم والإذعان إليهم وطاعتهم طاعة مطلقة ليست مقيدة بقيد ولا مشروطة بشرط لأنهم المعصومون الذين لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه.

تمريضها عليها السلام للحسنين عليهما السلام

كل امرأة وكل فتاة تنتظر (ليلة العمر) بفارغ الصبر لتنعم بسعادة الحياة الزوجية، وخدمة من يقوم بخدمتها، إذ ليس من المتعارف لا في السابق ولا في الحاضر أن تتحول ليلة الزفاف على نحو الاختيار إلى ليلة نكد وتعب وعناء ينغص عيش الحياة الزوجية، ويكدّر صفو متعتها.

ومن الصعب جداً بل ربما قارب المستحيل أن نجد امرأة في عز شبابها،

١ـ ـ السيده أم البنين للشيخ اشرف الزهيري، ص٦٧ عن سيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية.

وفي ليلة زفافها، تحوّل بمحض إرادتها أُنسها، وهناء عيشها، في تلك الليلة إلى سهر في رعاية أبناء ضرتها، بل إننا نجد في عرفنا اليوم أنه لو تزوجت المرأة وعندها أولاد صغار من زوج سابق، فإن ليلة زفافها بل الثلاثة الأيام الأولى من زفافها لا يكون أولادها معها حتى لا ينغصوا عليها صفو سعادتها الزوجية، بل تأخذهم وترعاهم امرأة أخرى تقرب إليهم، فكيف يُترك معها أو ترضى هي بأن يبقى معها أولاد ضرتها؟

أما السيدة أم البنين عليها السلام حين زُفت إلى أمير المؤمنين عليه السلام علمت بأن الحسن والحسين عليهما السلام مريضان، والكل وقتئذ حاضر ومستعد لرعايتهما وتمريضهما في تلك الليلة وما بعدها، إلا أن أم البنين عليها السلام أبت وأصرت على أن تكون هي التي تمرضهما وترعاهما وهي (عروس) في ليلة زفافها، وقالت كلمتها التي خلدها التاريخ: «**إني لن أشعر بفرحة الزواج إلا بعد شفاء ابنيَ الحسن والحسين عليهما السلام**»[1].

يقول السيد المقرّم في ذكر فضل أم البنين عليها السلام: «**وبلغ من فضلها ومعرفتها وتبصرها بمقام أهل البيت عليهم السلام أنها لما أدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وكان الحسنان مريضين، أخذت تلاطفهما**

١ـ العباس رجل العقيدة والجهاد، ص٣٤.

وتسهر معهما وتقابلهما بالبشاشة وتلقي عليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت تحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأم الحنون»[١].

وإذا ما وجدنا امرأة ما في أيام زواجها الأولى أو فيما بعدها تحنو على أبناء ضرتها فربما كان للتقرب لزوجها ولإثبات صفاء جوهرها كيما تنال بذلك رضا زوجها وتكسب حبه وودّه، بيد أن السيدة أم البنين لم تفعل ذلك إلا من منطلق الوعي والإدراك والعلم بأن محبة أهل البيت عليهم السلام وخدمتهم والتضحية من أجلهم واجب شرعي تقوم به كيما تنال رضا الله تعالى وعفوه.

ولهذا يقول الحكيمي في (أعيان النساء): «**ولم تخرج أم البنين إلى أحد قبل أمير المؤمنين عليه السلام ولا بعده وكانت من النساء العالمات الفاضلات، العارفات بحق أهل البيت، مخلصة في ولائهم**»[٢].

حرصها عليها السلام على مشاعر ابناء الزهراء عليهم السلام

نقل لنا التاريخ أن السيدة أم البنين عليها السلام لما انتقلت إلى بيت أمير

١ـ أم البنين سيدة نساء العرب، ص٥٠. أدب الطف، ج١، ص٧٢.

٢ـ السيدة أم البنين الزهيري ص٦٩، عن أعيان النساء للحكيمي، ص٥٠.

المؤمنين عليه السلام رأت شدة تعلق أبناء الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بأمهم وفي نفس الوقت كان الإمام علي عليه السلام إذا ما أراد مخاطبة زوجته السيدة أم البنين عليها السلام كان يخاطبها باسمها لا بكنيتها فكان يقول (يا فاطمة) فكانت تستأنس بسماعها اسمها (وهو خير الأسماء) من لسان بعلها الطاهر الصديق.

ولكن في نفس الوقت كانت ترقب ماذا يرتسم على وجوه أبناء الزهراء عليها السلام وهم يسمعون اسم (فاطمة) فيجدون المجيب امرأة أخرى غير أمهم! إنها مع شدة رعايتها لهم وشدة حرصها بهم وكونها لهم كالأم الحنون حتى لا يشعروا بفراغ أمهم الزهراء عليها السلام وغيابها.

إلا أنها مع ذلك كانت تلحظ بعض التأثر وإن اختلفت نسبته يعلو وجه الحوراء زينب وأخويها الحسن والحسين عليهما السلام فلم تحتمل ذلك، لأنها كانت لهم أماً حقيقية لا أماً شكلية فكان تأثرهم يمزق على نحو الحقيقة أحشاءها، ويدمي فؤادها فهل ترضى بأن تستأنس بسماع اسمها العذب من لسان زوجها البر التقي والصادق الوفي، ويكون ثمن ذلك ألم أبناء الزهراء عليها السلام بتذكرهم لفراق أمهم، أو إشعارهم بأن امرأة أخرى حلّت محل أمهم؟.

لو كانت امرأة أخرى غير السيدة أم البنين ربما كانت لا تعير هذا الأمر اهتماماً، بل تراه أمراً لا يستحق أن يُلتفت إليه.

إلا أن السيدة العفيفة البرة الوفية أم البنين عليها السلام لم تغفل عن هذا، ولم تستهن به بل جاءت إلى بعلها سيد الوصيين ووقفت بين يديه وقفة الأمَةِ المذنبة بين يدي سيدها وقالت: «**يابن العم لي عندك حاجة**».

فأجابها الزوج الكريم وهو يعرف مقام مَن تحدّثه: «**ما حاجتك يا ابنة العم يا فاطمة؟**»

قالت: «**حاجتي أن لا تسميني فاطمة!!!**»

وأدرك علي عليه السلام سر ذلك فسألها مبتسماً سؤال العارف وما تبسمه إلا شهادة رضا بموقفها العظيم. ولماذا يا ابنة العم؟

قالت: أرى آثار الحزن والتأثر على وجه الحسن والحسين وزينب عند سماعهم اسم أمهم وهذا يؤلمني ويشق عليّ.

فقال عليه السلام: «**يا ابنة العم وأي الأسماء أحب إليك؟**»

فقالت عليها السلام «**سَمِّني بـ (أم البنين)**» وقد أطلق عليها هذه الكنية تفاؤلاً بالبنين بعد ولادتها على أصح الأقوال فاستجاب لها الإمام وبقي لا يناديها إلا بأم البنين وكان الناس لا يخاطبونها إلا بهذا الاسم إلى ما بعد واقعة الطف وإلى أن وصلها نبأ مصرع كل أبنائها.

خروجها عليها السلام الى البقيع للنياحه

فكانت تخرج الى البقيع كل يوم وتصنع قبوراً اربعة او خمسة تكتب عليها أسماء اولادها، وتأن انين السقيم وتنوح على اولادها حتى ان مروان بن الحكم العدو اللدود لاهل البيت يبكي لبكائها وأنينها، وكان يجتمع الناس لسماع رثائها فيكون لشجى ندبها، واذا ناداها احد باسم أم البنين، كانت تجيبهم بكل الم وحرقة:

لا تدعوني ويكِ أم البنين ... تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم ... واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى ... قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم ... فكلهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا ... بأن عباساً قطيع اليمين[1]

وكأني بها تنادي بين القبور وا حسيناه، وا إماماه، وا عباساه، وا ولداه.

[مجاريد]

يا لوالها اعليمن تنوحين ... تگول البچه والنوح لحسين
احنه امهات أولاد حيين ... أوعن نوح ابنها فاطمه وين

١ـ السيدة أم البنين للزهيري، ص٧١ عن الأعيان، ج٨، ص٣٨٩.

الها العزه واحنه المعزين أنا الفاجده اثنين واثنين
محاريب خمسه امدكل حين عليهن ارش ابدمعة العين

[أبوذيه]

على الأولاد زيدي النوح يمهم ابفرد ساعه الدهر بالطبگ يمهم
احب اگصد وجاور كون يمهم اجاورهم لما اتجيني المينة

* * *

يا ليت غائبنا يعود لاهله فتقول اهلا بالحبيب ومرحبا
يا غائبا عن اهله اتعودام تبقى الى يوم المعاد مغيبا

المجلس السادس

حول التوسل بأولياء الله تعالى

سِرْ بالمشاعرِ للحجازِ ونادي ... يا روضةَ الإيمانِ والأمجادِ

عن وِجهة الإسلام هلا تُخبري ... أجيالنا عن رفعةٍ وجهادِ

أيام بنت حَزامَ فاطمَ مَن بِها ... وبذكرِها السَّهلُ امتلى والوادي

دخلت لدار المرتضى تحنوا على ... أولاده وتذوبُ في الأولاد

أمُّ البنينِ وحسبُها مِن مَفخَر ... ما أدخلتهُ عليه مِن إسعادِ

ومِنَ الثِّمارِ غالَها بين الملا ... نعمَ الليوثُ لوقفةٍ ونجاد

جادت بهم دون الحسين وقدَّمت ... أولادَها بعزيمةٍ وسَداد

حتى إذا قالوا لها قُتل الذي ... عنه تذودي أعولت بحِراد

وَلدي قُتلتَ وليت قبلَك مقتلي ... يا مقرحَ الأجفان والأكبادِ

أحسينُ تُذبح ظامياً في كربلا ... والرأسُ منك يُشالُ بالميّادِ

ولدي أما كانت لديكَ عشيرةٌ ... لِتَذُبَّ عنك تلهُّفا بتفادي

حتى أتتك بنو أميةَ مفرداً وتواردوك بشفرةِ الأحقادِ
سأقول أربعةٌ فديتُ لأجلهِ وغمرتُهُ بمحبّتي ووِدادي[1]

١ـ القصيدة للشاعر والرادود السيد مرتضى السندي.

المجلس السادس

حول التوسل بأولياء الله تعالى

قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]

(صدق الله لعلي العظيم)

حقيقة التوسل إلى الله وأوليائه

ان مسأله التوسل من اهم الضروريات العقائديه الينا لايمكن للمؤمن من ان يتغاضى عنها ولا للمؤمنه ان تتهاون بها، وقد اشارة الاية المباركة الى ذلك «**وابتغوا اليه الوسيلة**» فان: توجه هذه الآية الخطاب إلى الأفراد

١ـ سورة المائدة الآية ٣٥.

المؤمنين، تتضمن تكاليف ثلاثة يؤدي الإلتزام بها وتطبيقها إلى نيل الفلاح، وهذه التكاليف هي:

١ـ إتّباع الحيطة والتقوى، كما تقول الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ...﴾.

٢ـ إختيار وسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، حيث تقول الآية: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...﴾.

٣ـ الجهاد في سبيل الله، إذ تقول الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ...﴾.

وستكون نتيجة الإلتزام بهذه التكاليف الإلهية وتطبيقها نيل الفلاح، بشرط تحقق الإسلام والإيمان فتقول الآية الكريمة في هذا المجال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

إنّ أهم موضوع سنتناوله بالبحث في هذه الآية، هو الدعوة الموجهة للإنسان المؤمن لإختيار طريقة تؤدي إلى الله سبحانه وتعالى.

فكلمة «الوسيلة» في الأصل بمعنى نشدان التقرب أو طلب الشيء الذي يؤدي إلى التقرب للغير عن ميل ورغبة، وعلى هذا الأساس فإن كلمة «الوسيلة» الواردة في هذه الآية لها معان كثيرة واسعة، فهي تشمل كل عمل أو شيء يؤدي إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

وأهم الوسائل في هذا المجال هي الإيمان بالله وبنبيّه ﷺ والجهاد في سبيل الله، والعبادات كالصّلاة والزكاة والصوم، والحج إلى بيت الله الحرام، وصلة الرحم، والإنفاق في سبيل الله سرّاً وعلانية، وكذلك الأعمال الصالحة ـ كما يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له وردت في «نهج البلاغة» منها:

«إنّ أفضل ما توسل به المتوسلين إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فإنّه ذروة الإسلام وكلمة الإخلاص فإنّها الفطرة، وإقامة الصّلاة فإنّها الملّة[١]، وإيتاء الزكاة فإنّها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من العقاب، وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر، ويرحضان[٢] الذنب، وصلة الرحم فإنها مثراة[٣] في المال ومنساة[٤] في الأجل وصدقة السرّ فإنّها تكفر الخطيئة، وصدقة العلانية فإنّها تدفع ميتة السوء،

١ـ الملة = شريعة الإسلام.

٢ـ يرحضان = يطهران أو يغسلان.

٣ـ مثراة = مكثرة.

٤ـ منساة = مطيلة.

وصنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان...»[١].

كما أن شفاعة الأنبياء والأئمّة والأولياء الصالحين تقرّب ـ أيضاً ـ إلى الله وفق ما نصر عليه القرآن الكريم، وهي داخلة في المفهوم الواسع لكلمة «الوسيلة» ـ وكذلك إتّباع النّبي والإمام والسير على نهجهما، كل ذلك يوجب التقرب إلى الساحة الإلهية المقدسة.

وحتى عندما نقسم على الله بمقام الأنبياء والأئمّة والصالحين فأنّه يدلّ على حبّنا لهم والاهتمام بالدين الذي دعوا إليه، هذا القسم يعتبر ـ أيضاً ـ واحداً من المعاني الداخلة في المفهوم الواسع لكلمة «الوسيلة».

والذين خصصوا هذه الآية وقيدوها ببعض هذه المفاهيم لا يمتلكون في الحقيقة أي دليل على هذا التخصيص، لأنّ كلمة «الوسيلة» تطلق في اللغة على كل شيء يؤدي إلى التقرب.

والجدير بالذكر هنا هو أنّ المراد من التوسل لا يعني ـ أبداً طلب شيء من شخص النّبي أو الإمام، بل معناه يبادر الإنسان المؤمن ـ عن طريق الأعمال الصالحة والسير على نهج النّبي والإمام ـ بطلب الشفاعة منهم إلى الله، أو أن يقسم بجاههم وبدينهم (وهذا يعتبر نوعاً من الإحترام لمنزلتهم وهو نوع من العبادة) ويطلب من الله بذلك حاجته، وليس في هذا المعنى

١ـ نهج البلاغة، الخطبة ١١٠.

أيّ أثر للشرك، كما لا يخالف الآيات القرآنية الأخرى، ولا يخرج عن عموم الآية الأخيرة موضوع البحث «فتدبّر».

التوسل في القرآن الكريم:

هناك آيات قرآنية أُخرى تدل بوضوح على أنّ التوسل بمقام إنسان صالح عندالله، وطلب شيء من الله عن طريق التوسل بجاه هذا الإنسان عندالله، لا يعتبر أمراً محظوراً ولا ينافي التوحيد. كما تذهب الى ذلك الوهابية البغيضه.

فنحن نقرأ في الآية (٦٤) من سورة النساء قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾. وكما نقرأ في سورة يوسف، إنّ أخوة يوسف طلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم الله، فقبل يعقوب هذا الطلب ونفذه. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1].

وكذلك من سورة التوبة تشير إلى موضوع استغفار إبراهيم لأبيه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا

١ـ سورة يوسف الآية ٩٧ ـ ٩٨.

إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[١].

ولابد ان نعلم ان استغفار ابراهيم والدعاء لابيه لانه كان يأمل منه الإيمان وان يجذبه الى التوحيد عن هذا الطريق وكان استغفاره هو «**اللهم اهده وتجاوز عن ذنوبه السابقه**» لكن لما ارتحل آزر من هذه الدنيا وهو مشرك ترك استغفاره لازر.

وعلى هذا فان المسلمين ايضا يستطيعون ان يستعفروا لاصدقائهم واقاربهم من المشركين ماداموا على قيد الحياة اذا كان هناك امل لهدايتهم، الا انهم اذا ما توا وهم كفار فلا مجال للاستغفار بعد ذلك[٢].

ومن الآيات الوارده والتي تحرّض على التوسل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[٣].

وقد ورد هذا الموضوع في آيات قرآنية أُخرى أيضاً.

التوسل في الروايات الإسلامية:

١ـ سورة التوبة الآية ١١٤.

٢ـ الامثل ج ٦، ص ٢٣٨.

٣ـ سورة الأسراء الآية ٥٧.

إنّ الروايات العديدة التي وردت عن طرق الشيعة والسنة تفيد بوضوح أنّ التوسل بالمعنى الذي عرضناه لاريب ولا شبهة فيه، بل أنّه يعد عملاً جيداً أيضاً، وهذه الرّوايات كثيرة وقد نقلتها كتب عديدة، ونحن نورد بعضاً منها مما ورد في مصادر جمهور السنّة على سبيل المثال لا الحصر.

١ـ جاء في كتاب «وفاء الوفا» لمؤلّفه العالم السنّي المشهور «السمهودي» إن طلب العون والشفاعة من النّبيﷺ أو التوسل إلى الله بجاه النّبي وشخصه جائز قبل أن يولدﷺ وبعد ولادته ووفاته وفي عالم البرزخ وفي يوم القيامة.

ثمّ ينقل «السمهودي» في هذا المجال عن عمر بن الخطاب الرواية المعروفة التي تتحدث عن توسل آدمعليه السلام إلى الله بنبي الإسلام محمّدﷺ وذلك لعلم آدم بأنّ هذا النّبي سيأتي إلى الوجود في المستقبل، ولعلمه بالمنزلة العظيمة التي يحظى بها عندالله، فيقول آدم: «**ربّ إنّي أسألك بحق محمّد لما غفرت لي**»[1].

ثمّ ينقل «السمهودي» حديثاً آخر عن جماعة من رواة الحديث

١ـ تفسير الامثل ج٣، ص٦٨٩ عن وفاء الوفاء للسمهودي، ج٣، ص١٣٧١، في كتاب «التوصل إلى حقيقة التوسل» نقل الحديث المذكور أعلاه كواحد من دلائل النبوة، ص٢١٥.

كالنسائي والترمذي، وهما عالمان مشهوران من أهل السنّة، كدليل على جواز التوسل بالنّبيﷺ في حياته وخلاصة هذا الحديث إنّ رجلاً بصيراً طلب من النّبي أن يدعو له بشفاء مريضه، فأمره النّبيﷺ بتلاوة هذا الدعاء: «**اللّهم إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرّحمة يا محمّد إنّي توجهت بك إلى ربّي في حاجتي لتقضي لي، اللّهم شفعه فيّ**»[١].

وبعد هذا الحديث ينقل «السمهودي» حديثاً ثالثاً في جواز التوسل بالنّبيﷺ بعد وفاته، فيذكر أن صاحب حاجة جاء في زمن عثمان إلى قبر النّبيﷺ، فجلس بجوار القبر ودعا الله بهذا الدعاء:

«**اللّهم إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيّنا محمّدﷺ نبي الرحمة، يا محمّد إنّي أتوجه بك إلى ربّك أن تقضي حاجتي**».

ثمّ يضيف «السمهودي» إنّه لم تمض فترة حتى فضيت حاجة الرجل[٢].

٢ـ أمّا صاحب كتاب «التوصل إلى حقيقة التوسل» الذي يعارض بشدة موضوع التوسل فهو ينقل (٢٦) حديثاً من كتب ومصادر مختلفة ينعكس

١ـ تفسير الامثل عن كتاب (وفاء الوفاء) للسمهودي، ص١٣٧٢.

٢ـ وفاء الوفاء، ص١٣٧٣.

منها جواز التوسل، ومع أنّه سعى في أن يطعن بإسناد تلك الأحاديث، إلّا أنّ الواضح هو أنّه متى ما كانت الروايات كثيرة ـ في موضوع معين لدرجة التواتر ـ لا يبقى عند ذلك مجال للطعن، والتجريح في سند الحديث، والروايات التي وردت في المصادر الإسلامية بشأن التوسل قد تجاوزت حدّ التواتر لكثرتها.

ومن هذه الأحاديث التي رواها صاحب الكتاب المذكور، الحديث التالي: نقل «ابن حجر المكي» صاحب كتاب «الصواعق» عن الإمام «الشافعي»، وهو أحد أئمّة السنّة الأربعة المشهورين، أنّه كان يتوسل إلى أهل بيت النّبي ويقول:

آل النّبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيد اليمين صحيفتي[1]

وينقل صاحب كتاب «التوصل...» أيضاً عن (البيهقي) أن الجفاف أصاب المسلمين في أحد الأعوام من عهد الخليفة الثّاني، فذهب بلال ومعه عدد من الصحابة إلى قبر النّبيﷺ وقال: «**يا رسول الله استسق لأُمتك... فإنّهم قد هلكوا...**»[1].

١ـ كتاب «التوصل...»، ص٣٢٩.

١ـ تفسير الامثل ص ٦٩٠ عن كتاب التوصل... ص٢٥٣.

ونقل أيضاً عن «ابن حجر» من كتاب «الخيارات الحسان» أنّ الإمام الشافعي كان أثناء وجوده في بغداد يزور أبا حنيفة ويتوسل إليه في حوائجه[١].

ومن صحيح «الدارمي» ينقل صاحب كتاب «التوصل...» أيضاً، أن بعض الصحابة في المدينة اشتكوا إلى عائشة ما يعانونه من الجفاف الشديد الذي أصاب البلدة في أحد الأعوام، فأشارت عليهم أن يفتحوا فجوة في سقف المسجد على قبر النّبيﷺ حتى ينزل الله المطر ببركة قبر النّبيﷺ ففعلوا ذلك ونزل مطر غزيرا!

ونقل «الآلوسي» في تفسيره الكثير من الأحاديث والروايات الشبيهة بالأحاديث المارة الذكر، ولكنّه بعد إجراء تحليل ونقاش طويل حولها حتى أنّه تشدد في نقدها اضطر إلى الإذعان بها، فذكر أنّه بعد البحث الذي أجراه لا يرى مانعاً من التوسل إلى الله بمقام النّبيﷺ سواء في حياته أو بعد وفاته، ثمّ أطال البحث في هذا المجال، وقال بأنّ التوسل إلى الله بمقام غير النّبي لا مانع فيه ـ أيضاً ـ شريطة أن يكون المتوسل به صاحب منزلة عندالله[١].

١ـ كتاب التوصل... ص٣٣١.

١ـ تفسير الامثل ص٦٩٠ روح المعاني، (ج٤ـ٦)، ص١١٤ـ١١٥.

أما مصادر الشيعة فقد تناولت هذا الموضوع بشكل واضح، لا نرى معه أي حاجة إلى نقل الأحاديث الواردة بهذا الصدد.

ملاحظات ضرورية في التوسل

نرى من الضروري ـ هنا ـ الإشارة إلى عدّة أمور:

١ـ لقد أسلفنا القول بأنّ التوسل ليس معناه طلب الحاجة من النّبي أو الإمام، بل المراد منه جعل النّبي أو الإمام شفيعاً إلى الله في قضاء الحاجة، وهذا الأمر ـ في الحقيقة ـ توجه إلى الله، لأن احترام النّبيﷺ إنّما هو من أجل أنّه رسول الله والسائر على هداه، والعجب هنا أن يدعي البعض أن هذا التوسل نوع من الشرك، في حين أنّ المعروف عن الشرك هو القول بوجود من يشارك الله سبحانه في صفاته وأعماله، والتوسل الذي تحدثنا عنه لا صلة له مطلقاً ولا تشابه مع الشرك.

٢ـ يصرّ البعض وجود الفرق بين حياة النّبيﷺ والأئمّة المعصومينعليهم السلام وبين وفاتهم، وكما رأيت فإنّ الكثير من الأحاديث السالفة كان يخص ما بعد وفاة النّبيﷺ، بالإضافة إلى ذلك فإن الفرد المسلم يعتقد بأن للنّبي والصالحين بعد وفاتهم حياة برزخية أوسع من الحياة الدنيا، وقد صرّح القرآن في هذا المجال بخصوص حياة الشهداء، حيث أكّد أنّهم

ليسوا أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ[١]...

٣ـ وأصرّ آخرون على أنّ هناك فرقاً بين طلب الدعاء من النّبي صلى الله عليه وآله وبين القسم على الله بجاه النّبي، فهؤلاء يجيزون طلب الدعاء ولا يجيزون ما سواه، في حين لا يوجد بين هذين الأمرين أي فرق منطقي.

٤ـ يسعى البعض من كتاب وعلماء السنة وبالأخص «الوهابيون» منهم، وبعناد خاص، إلى الإدعاء بضعف جميع الأحاديث الواردة في موضوع التوسل، أو تجاهلها بشتى الحجج الواهية.

وهؤلاء يبحثون هذا الموضوع بأُسلوب خاص يظهر من خلاله لكل ناظر محايد أنّهم اختاروا في البداية هذا الإعتقاد لأنفسهم، ثمّ يحاولون ـ بعد ذلك ـ فرضه على الرّوايات الإسلامية ويعمدون بشكل من الأشكال إلى إزاحة كل من يخالف معتقدهم هذا عن طريقهم، وهذا الأُسلوب المشوب بالعصبية ومجافاة المنطق لا يقبل به أي باحث منصف مطلقاً.

٥ـ لقد بيّنا أنّ أحاديث التوسل قد وصلت بكثرتها إلى حد التواتر، أي أنّها لوفرتها تغني الباحث عن التحقيق في أسانيدها، إضافة إلى ذلك فإنّ من بين هذه الأحاديث الكثير من الروايات والأحاديث الصحيحة، فلا يبقى بذلك لمن يريد الإعتراض على بعض الأسانيد أي مجال.

١ـ آل عمران، ١٦٩.

٦ـ ويتبيّن ممّا قلناه سابقاً أن لا تناقض بين الروايات التي وردت في تفسير الآية الأخيرة تلك التي تقول بأن النّبي دعا الناس إلى أن يطلبوا له الوسيلة من الله، أو ما جاء عن الإمام علي عليه السلام في كتاب «الكافي» من أنّه قال: بأنّ (الوسيلة) هي أرفع وأسمى منزلة في الجنّة فلا ينافي ما ذكرناه نحن في تفسير الآية، لأنّ الوسيلة ـ كما أوضحنا ـ تشمل كل أنواع التقرب إلى الله، وإن تقرب النّبي صلى الله عليه وآله إلى الله، وكذلك ما قيل عن أرفع منزلة في الجنّة، هما من مصاديق الوسيلة[1].

مجربات التوسل بأم البنين عليها السلام

نذكر هنا بعض الختومات والنذورات المجرّبة وآداب التوسل بهذه السيدة المباركة وعن طريق بعض العارفين والعلماء الصالحين.

يقول المرجع الكبير السيد محمود الشاهرودي المتوفى في ١٧ شعبان ١٣٩٤هـ: «**إني أصلّي على محمّد وآل محمّد مائة مرة وأهديها إلى أم البنين عليها السلام فتُقضى حاجتي**».

ومن المجربات: قراءة سورة «يس» عشر مرات في أربعة أسابيع وهو كما يلي:

١ـ تفسير الامثل ج٣، ص٦٩٢.

يقرؤها في ليلة الجمعة من الأسبوع الأول (ثلاث مرات).

وفي ليلة الجمعة من الأسبوع الثاني يقرأ (ثلاثاً).

وفي ليلة الجمعة من الأسبوع الثالث يقرأ (ثلاث مرات) أيضاً.

وفي ليلة الجمعة الأخيرة في الأسبوع الرابع يقرؤها (مرة واحدة) ويهديها لأم البنين عليها السلام نيابة عن أبي الفضل العباس عليه السلام فإنها ستُقضى حاجته إن كانت مشروعة إن شاء الله تعالى.

وينقل عن السيد محمّد الروحاني (عليه الرحمة) أنه كان يتوسّل في المهمات والمشاكل المعضلة بأم البنين عليها السلام فتقضى وتنكشف، وحتى في عوارضه الخاصة حيث ذكر بأنه:

ابتلي ذات مرة بألم شديد في أحد أسنانه، وكان ألماً مُبرِّحاً لا يطاق، فراجع طبيبه الخاص الدكتور الطريحي فلم يجده، فلما اشتد به الألم نذر الله إن نجّاه من هذا الألم أن يستأجر من يزور كربلاء نيابة عن أم البنين عليها السلام في ليلة الجمعة القادمة، فلم تمض لحظات حتى سكن الألم وكأن شيئاً لم يكن.

وفي عصر اليوم التالي عاد الألم مجدداً فقال السيد: يبدو أن الطبيب قد حضر، فراجعه فوجده في مطبّه، فقلع سنّه بعد أن كان لا بد من قلعه فارتاح من بلائه، كل ذلك السكون من بركة أم البنين عليها السلام.

إهداء زيارة عاشوراء واطعام الطعام لأم البنين عليها السلام

قال السيد محمّد حسين زاه العقيد المتقاعد المعروف في مدينة (كرج) الإيرانية من ضواحي طهران العاصمة: كنت مشغولاً بالتدريس يوم الجمعة وقت العصر إذ دخل أحد التلاميذ ذاهلاً فاستأذن وقال:

إن أبي الآن يعالج الموت، وقد تركته في سكراته محتضراً ووجهته إلى القبلة وجئت لأعتذر إليك عن التأخير وأعود إليه.

فقلت له: اسمع مني سأروي لك حديثاً عن سيدتي فاطمة الزهراء عليها السلام فإنها قالت: سألت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله أي ساعة أفضل لاستجابة الدعاء؟ فقال صلى الله عليه وآله: عند الغروب يوم الجمعة.

فنحن ندعو ولكن الأفضل أن تنذر أيضاً نذراً قال: إني الآن في حالة من الاضطراب وتشتّت البال بحيث لا أدري ماذا أفعل وماذا أنذر، أرجو أن تنصحني وتعلمني وترشدني إلى ما أفعل؟

فقلت له: انذر الآن أن تقرأ زيارة عاشوراء (عشر مرات) وتهديها لأم البنين عليها السلام بقصد شفاء والدك.

فقال: أفعل، ورجع إلى البيت مسرعاً، فلما دخل البيت بلغ له العجب غايته، إذ رأى أباه واقفاً في ساحة الدار مشتغلاً بالضوء والاستعداد لصلاة

المغرب، فسأل عن ذلك، فأخبروه أنه منذ نصف ساعة انقطعت عنه الحمى فجأة وأخذ يتماثل إلى الشفاء وبدأت أعراض الموت تزول منه حتى قام واقفاً على قدميه.

قال العقيد: وها هو ذا الأب حفظه الله يشتغل بالقرب منّا سالماً غانماً يواصل عمله.

وفي إطعام الطعام لأم البنين عليها السلام والذي يعتبر من المجرّبات. نقل السيد صادقي الواعظ في قم المقدسة حيث قال:

كنت في طهران أرتقي المنبر وكان اليوم التاسع من المحرّم، فاكتريت سيارة للذهاب إلى قراءة المجلس، وكان الشارع مزدحماً لا تكاد السيارة تقطع الطريق إلّا بشق الأنفس، وذلك لكثرة المواكب المنطلقة ذلك اليوم فتساءل السائق قائلاً: ماذا حدث؟ لماذا كل هذا الزحام؟ فقلت: ألستَ مسلماً؟ ألا تدري أن اليوم هو اليوم التاسع من المحرم، وهو يوم عزاء أهل البيت عليهم السلام ومصائبهم.

قال: كلا أنا مسيحي.

قلت: اليوم يوم العباس عليه السلام ـ عند بعضهم ينسبون التاسع للعباس عليه السلام ـ.

قال: نعم أنا أعرف أبا الفضل العباس جيداً، واستطرد قائلاً:

كنت عقيماً محروماً من نعمة الولد، وبعد زمان رزقت ولداً إلا أنه كان

مشلولاً مقعداً، فصرفت كل ما عندي وبعت بيتي وأنفقتها في علاجه دون نتيجة.

وفي ذات ليل دخلتُ بيتي ـ وكنت مستأجراً أسكن مع صاحب الدار ـ فرأيت زوجتي تبكي فقلت لها: ماذا حدث؟

قالت: إن صاحبة الدار دعتني للحضور على سفرة أم البنين عليها السلام.

قلت: من هي أم البنين؟

فشرحت لي ما سمعته عنها ثمّ قالت: لقد أخذت ولدي وأجلسته على مائدة أم البنين فتعال نجلس هذا الطفل في حجرنا هذه الليلة ونتوسّل بأبي الفضل العباس معاً.

وبالفعل اتفقنا وفعلنا ذلك حتى أخذنا التعب، فتركنا الصبي لحاله واضطجعنا في الإيوان (البلكون)، وفي منتصف الليل رأيت ـ بهذه عيني ـ الطفل وقد قام معتمداً على رجليه وأخذ يركض، ففزعت وصرخت به: ماذا حدث؟

قال: من هذا السيد الفارس الذي جاءني؟

هذه هي معجزة أبي الفضل العباس عليه السلام التي رأيتها بعيني فكيف لا أعرفه؟

وهناك طرق متعددة في ابتغاء الوسيلة بهذه السيدة الجليلة كختم سورة

الأنعام و(مائة مرة) سورة القدر وسورة الإخلاص وكل ذلك يحتاج إلى تفصيل قد لا يناسب هذا المختصر، وقد أرشدنا نبي الرحمةﷺ بقوله: «إنما الأعمال بالنيات»[1].

زينب عليها السلام عند احتظار أم البنين عليها السلام

هذه السيدة الكريمه العالمه كانت تتمنى حضور اولادها عند نعشها كما هو شأن كل فقيد وكل ام ولكن اسفي على أم البنين عليها السلام حيث فارقت الحياة وتتمنى حضور العباس واخوته عليهم السلام عند موتها حتى يقومون بتجهيزها وحمل نعشها ودفنها نعم فارقت الحياة وهي بعيدة عن قبور اولادها الاربعة.

ولكن ساعد الله قلب زينب عليها السلام وهي تنظر الى أم البنين وهي تفارق الحياة فرمت بنفسها عليها وهي تنادي وا اماه وا فاطمتاه ولسان حالها:

بَطّلت ونتها ومنها غمضت العين وزينب عليها تلطم الهامه بليدين

طاحت عليهابت علي وتلطم على الراس واتجاذب الحسرات واتصعّد بالأنفاس

وتقول رحتي اليوم عني يا أم عباس ذوب افوادج يا حزينه فقد لبنين

* * *

١ـ السيدة أم البنين للشيخ اشرف الزهيري، ص١٨٢.

فقدج يايمه هيج اعليه احزاني جدد عليه امصيتي وفجعت أخواني
ياليت من قبلج يَمَّه الموت جاني بَسِّي يايمه من الفجيعه او غِصّة البين

* * *

قلبي من الهم انصدع ومن المصايب فرفرت روحي وراعها فقد الحبايب
طول العمر دمعي على الأحباب ساكب من يوم فارقت أخوتي ما نشفت العين

* * *

فتحي اعيونج يا حزينه جاوبيني مقدر على افراقج يايمه تعرفيني
كل يوم إبْتي بالمصيبه اتساعديني انا على اخواني أحن وانّتي إعلِى لِبنين

* * *

وتالي خذتها للغسل بنت النجابه وتجري دموع العين عالخد بنسكابه
وتقول هالمنزل بعد ينغلق بابه مقدر اعاين منزلج يا أم البنين

حول كرامات أم البنين عليها السلام

تَجري الدّموعُ علىَ الخدودِ هوامِيا ... وتَدعُو بدوراً حيث غابوا ضواريا

وتبكي حسينا حين راح بأهله ... وقد ظلّ بيت المجد ينعاه خاليا

بِهِ وَحدَها تبكي عليهم حزينةً ... وفي قلبها من نارهِ من الوجدُ واريا

تَرى مِنزلَ الأحبابِ قد ظَلَّ مُقْفَراً ... وفيه غرابُ البينِ لازالَ ناعيا

وظلت تقاسي الهَمَّ والحزنَ والأسى ... ومدمَعُها بالدَّمِّ في الخَدّ جاريا

إلى أن أتى ناعي الحسين ليثرِبٍ ... بقتلِ حسينِ السبطِ ظَلَّ مُنادِيا

أيا أهلَ يثربَ لا مُقام لكم بها ... فأن عماد الدين بالطف ثاويا

وَمِن حولِهِ الشُّبان صَرعىً على الثرى ... كانهم الأقمار ظلوا أضاحيا

فمذ سمعت أم البنينِ بنعيهِ ... إليه أتت والدُّمعُ في الخَدِّ جاريا

تقولُ تَمَهَّلْ لي أيا بِشرُ ساعةً ... بنعيك هذا قد أذَبتَ فؤآديا

فقال ومَن أنتي ومن هو ترتجي ... فقالت حسينا غاب عني مَلاذِيا

فَبللَّهِ هل عاد الحسين لداره ... فقل لِيَ عن سبط الرسول عماديا

فقال لها عونٌ قَضى ثم جعفرٌ ... وعبدالله والعباسُ في النهر ثاويا

أيا بِشر أني ما سألتُكَ عنهُمُ ... عن السبط أخبرني فعنه سؤآليا

تحيَّرَ بِشرٌ في جوابِ سؤآلِها ... وَمَدمَعُهُ في الخد كالمُزن جاريا

فقال لها سبطُ الرسولِ لقد قضى ... وقد قتلوهُ القومُ بالطفِّ ظامِيا

وقد ظَلَّ في حَرِّ الرمال معفَّرا ... كذاك ورأسُ السِّبطِ قد شِيلَ عاليا

فَمُذ سمعته شقَّتِ الجيبَ عاجِلاً ... وزادت بها الأحزانُ والدمعُ هامِيا

فقالت كَفى يابِشر أحرقتَ مُهجتي ... وقلبي بنيرانِ المُصيبةِ واريا

المجلس السابع

حول كرامات أم البنين عليها السلام وعناياتها

ورد في الحديث القدسي عن الله تعالى:

«عبدي اطعني تكن مثْلي اومَثَلي، انا اقول للشيء كُنْ فيكونْ وانتَ تقول للشيء كن فيكون»[1].

وايضاً ورد في الحديث القدسي عن الله تعالى:

«ما يتقرب اليّ عبدي بشيء أحب اليّ مما افترضته عليه، وانه ليتقرب الي بالنوافل حتى أُحِبُه، فاذا احببته كنت سمعه الذين يسمع به وبصره الذين يبصربه ولسانه الذي ينطق به ويده التي

١ـ خليفات كتاب ماساة الزهراء عليها السلام للسيد جعفر مرتضى، ج٢، ص٣٥٢، بحار الانوار العلامه المجلسي، ج ١٠، ص١٦٤ مستند الشيعة للنراقي ج١، ص٦.

يطش بها»[١].

حقائق حول كرامات أهل البيت عليهم السلام

قد يتساءل البعض قائلاً: لماذا يؤكّد البعض على ذكر الكرامات وعنايات أهل البيت عليهم السلام ومَن يرتبط بهم؟ أوليس من الأفضل أن نركّز على سيرتهم ومكارمهم بدل الاعتماد على الكرامات التي لا تغني المكلّف معرفتها شيئاً؟

وهل من الصحيح أن نسلّط الأضواء على العنايات والكرامات والحال أنّ العالم اليوم بلغ ما بلغ من التطوّر والتقدّم؟

في جواب مثل هذه التساؤلات نقول: إنّ التأكيد على عنايات أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم له عدّة فوائد منها تقوية عقائد الناس بأهل البيت عليهم السلام وتوثيق علاقاتهم بهم خاصّة إذا كانت العنايات موثّقة وقريبة زماناً من الناس.

من جانب آخر كثير من المنحرفين ممّن كانوا لا يعتقدون بأهل البيت عليهم السلام أو ينكرون مقاماتهم الرفيعة اهتدوا وصاروا من الموالين الخلّص

١ـ البحار ج٦٧، ص٢٢ جامع احاديث الشيعة للسيد البروجردي ج٧، ص٩٩ شرح اصول الكافي ج١، ص٨٨.

ببركة هذه العنايات، والشواهد على ذلك كثيرة سنشير إلى بعضها في طيّات البحث.

بالإضافة إلى ذلك ذِكْرُ كرامات أهل البيت عليهم السلام ومَن يرتبط بهم، وعناياتهم نوع من بيان مقاماتهم ومناقبهم للموالين وهذا في حدّ نفسه مطلوب، فالموالي مهما بلغ من العلم والمعرفة يبقى محتاجاً إلى الاعتقاد بمقامات آل الرسول صلوات الله عليهم لأنّها تربّي النفوس وتهذّبها وتطمئن القلوب بصحّة العقيدة وأحقّانية المعتقد.

بالطبع التركيز على كرامات أهل البيت عليهم السلام لا ينافي التأكيد أيضاً على سيرتهم ومعارفهم واما مسألة التقدم والتطور الذين يشهده العالم فهو الذي يدعو الى التركيز على العنايات لا التخلّي عنها لان العالم اليوم غارق في أمواج الماديّه ومتناسي لمعظم القيم الدينيه، ولذا فهو بحاجة الى مَن ينقذه من هذا الوضع المزري، ولا نبالغ اذا ما قلنا إن تعريف العالَم بكرامات وعنايات اهل البيت عليهم السلام له حصّة كبيرة في استنقاد البشريه من الماديّه وربطها بعالم المثل والمعنويات[1].

شرائط نيل عناية أهل البيت عليهم السلام

١ـ العنايات الخالده للشيخ جاسم الاديب ص ١٠.

هناك عدّة أُمور ينبغي توضيحها للقارئ الكريم حول كرامات أهل البيت عليهم السلام وهي:

لا شكّ أنّ في ثبوت العنايات والكرامات لأهل البيت عليهم السلام دلالة واضحة على علو مقامهم وعظمة شأنهم عند الله عزّ وجلّ، فإنّ الباري تعالى لا يخصّ بكراماته إلّا أصحاب المقامات الرفيعة والدرجات العالية وهذا لا ينكره إلّا جاهل أو مغرض ضالّ.

من جانب آخر في بعض الأحيان لا تكتمل شرائط العناية من قبل أهل البيت عليهم السلام أو يوجد مانع دون عنايتهم أو مصلحة في عدم شمول الفرد لعناياتهم هذا لا ينافي كرمهم أو لطفهم بالعباد.

ولذا ينبغي لنا أن نسعى دائماً في تحقيق الشرائط وتوفير الأجواء ثمّ نوكل الأمر إليهم.

أضف إلى ذلك أنّ شمول عناياتهم للبعض دون غيرهم لا يعني أنّ البقية غير مقبولين عندهم، فلربما كانت في البين مصلحة أو حكمة ما لا تقتضي منهم أن يشملوا الفرد بعنايتهم، بل إنّ الذين تشملهم عنايات أهل البيت عليهم السلام ليس من المحرز أنّهم لصرف قضاء حاجتهم وتوفيقهم بالعناية صاروا أفضل من غيرهم، فقد شاءت الأقدار أن تتحقّق فيهم شرائط العناية، ومن المعروف أنّ كرم أهل البيت عليهم السلام واسع يشمل حتّى الذين لا يعتقدون

بهم.

وان أهم مسألة في قضية عنايات أهل البيت عليهم السلام هي معرفة الضوابط العامّة لنيل لطفهم والتوفيق لجلب عنايتهم وهذه من المباحث المهمّة التي تحتاج إلى تدقيق وإمعان نظر لكثرة فائدتها وشدّة أهميّتها.

أمّا الضوابط فهي في الحقيقة غير واضحة، فإنّنا لا نعرف الملاكات الحتمية عندهم في عناياتهم ولا أتصوّر أنّ أحداً يدّعي معرفته الدقيقة بها، ومع ذلك فإنّ هناك بعض الضوابط المتصيّدة التي يمكن أن نعدها من الضوابط الظاهرية ومنها:

١ـ **الإخلاص لهم:** كثيرة هي الأدلّة والشواهد الدالّة على عناية أهل البيت عليهم السلام للمخلصين لهم، فعلى مرّ التاريخ تجد أنّ المخلصين لأهل البيت عليهم السلام يحظون بتسديداتهم وعناياتهم الخاصّة.

٢ـ **التوسل الشديد:** كما أنّ الإلحاح في الدعاء مطلوب ومحبّذ كذلك التوسّل الشديد بأهل البيت عليهم السلام مطلوب وله دور كبير في التوفيق لنيل عناياتهم.

٣ـ **تقديم الوجهاء إليهم:** وهذا ملموس في سيرة المتشرّعة، فهم إذا توسّلوا بوجيه من الوجهاء يقدّمون بين يديهم وجيهاً عنده لينالوا حاجتهم، وكشاهد على ذلك تجد أنّ زوّار سيّد الشهداء عليه السلام يقدّمون بين يدي

حاجاتهم باب الحوائج أبي الفضل العبّاس عليه السلام أو رضيعه المظلوم عبدالله الرضيع أو علي الأكبر أو يتيمة الشام السيّدة رقيّة عليها السلام.

٤ـ تهيأة المقتضيات للعناية: كأن يعقد المتوسّل بهم مجلساً باسمهم ويدعو الموالين ويحيي ذكرهم فيتوسّلون بهم في قضاء حوائجهم، أو ينذر صاحب الحاجة نذراً لهم وما شابه.

٥ـ السعي لرفع الموانع: ففي كلّ حال ينبغي لمن يريد أن يحظى بعنايات أهل البيت عليهم السلام أن يرفع موانع الفوز بهذا التوفيق، وإذا كان لا يعرف ما هي الموانع يراجع العلماء وأهل الفضل ويشاورهم في مسألته ويحاول تشخيص المانع ليرفعه[1].

اعتراف المخالفين كرامات أهل البيت عليهم السلام:

بلغت عناية أهل البيت عليهم السلام حدّاً من الاستفاضة بل والتواتر حتّى أنّ مخالفيهم أشادوا بها وتعرّضوا لها في مصنّفاتهم، وكما يقال: الفضل ما شهد به الأعداء.

بطبيعة الحال إنّنا لم نذكر أقوال المخالفين لنبرهن على عنايات أهل البيت عليهم السلام فإنّ مخالفتهم لا تغيّر في القضية شيء، وإنّما من باب بيان إقرار

١ـ العنايات الخالده للشيخ جاسم الاديب ص١٦.

القوم بهذه المناقب نستعرض بعض أقوالهم ومنها:

١ـ ابن بطوطة: تعرّض ابن بطوطة في رحلته إلى زيارته لمدينة النجف الأشرف، فقال: ثمّ رحلنا من القادسية فنزلنا مدينة مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام بالنجف وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها بناءً... وأهل هذه المدينة كلّهم رافضية. وهذه الروضة ظهرت بها كرامات لأنّ بها قبر علي •.

فمنها أنّ في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمّى عندهم ليلة المحيا يؤتى إلى تلك الروضة بكلّ مقعد من العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون نحو ذلك، فإذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الضريح المقدّس والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصلّ وذاكر وتال ومشاهد للروضة.

فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع أصحّاء من غير سوء وهم يقولون: لا إله إلّا الله محمّداً رسول الله علي ولي الله.

وهذا أمر يستفيض عندهم سمعته من الثقات ولم أحضر تلك الليلة لكنّي رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم من أرض الروم والثاني من أصبهان والثالث من خراسان وهم مقعدون فاستخبرتهم عن شأنهم فأخبروني أنّهم لم يدركوا ليلة المحيا وأنّهم منتظرون أوانها من عام

آخر، وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقاً عظيمة مدّة عشرة أيّام. وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال إنّما يحكم عليهم نقيب الأشراف وأهلها تجّار يسافرون في الأقطار وهو أهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم صحبتهم في الأسفار فحمدت صحبتهم...

ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة نذراً إذا برئ ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأساً من ذهب أو فضة ويأتي به إلى الروضة فيجعله النقيب في الخزانة وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الأعضاء وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرته[1].

٢ـ الشبراوي: عقد الشبراوي الشيخ عبدالله الشافعي المتوفّى (١١٧٢) في كتابه ـ (الإتحاف بحبّ الأشراف) باباً في مشهد رأس الحسين عليه السلام وذكر فيه زيارته وشطراً من الكرامات له وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته.

فقال: والبركات في هذا المشهد مشاهدة مرئية، والنفحات العائدة على زائريه غير خفية، وهي بصحّة الدعوى ملية، والأعمال بالنية، ولأبي الخطّاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلف، واستفتي القاضي زكي الدين عبدالعظيم في ذلك، فقال: هذا مكان شريف وبركته ظاهرة والاعتقاد فيه خير والسلام.

١ـ رحلة ابن بطوطة، ص٢٠٣ـ ٢٠٤.

وقال في ذكر الكرامات: منها أنّ رجلاً يقال له: شمس الدين القعويني كان ساكناً بالقرب من المشهد، وكان معلم الكسوة الشريفة حصل له ضرر في عينيه فكفّ بصره، وكان كلّ يوم إذا صلّى الصبح في مشهد الإمام الحسين يقف على باب الضريح الشريف.

ويقول: يا سيّدي أنا جارك قد كفّ بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يردّ عليَّ ولو عيناً واحدة، فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى جماعة أتوا إلى المشهد الشريف، فسأل عنهم فقيل له: هذا النبي صلى الله عليه وآله والصحابة معه جاءوا لزيارة السيّد الحسين عليه السلام.

فدخل معهم ثمّ قال ما كان يقوله في اليقظة، فالتفت الحسين إلى جدّه صلى الله عليه وآله وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: يا علي كحّله.

فقال: سمعاً وطاعة وأبرز من يده مكحلة ومردوداً وقال له: تقدّم حتّى أكحّلك فتقدّم فلوّث المرود ووضعه في عينه اليمنى فأحسّ بحرقان عظيم فصرخ صرخة عظيمة فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه، ففتحت عينه اليمنى فصار ينظر بها إلى أن مات.

وهذا الذي كان يطلبه فاصطنع هذه البسط التي تفرش في مشهد الإمام الحسين عليه السلام وكتب عليها وقفاً ولم تزل تفرش حتّى تولّى مصر الوزير

المعظّم محمّد باشا الشريف من طرف حضرة مولانا السلطان محمّد خان نصره الله فجدّد بسطاً أُخرى وهي التي تفرش إلى الآن[١].

٣ـ قال محمّد بن طلحة الشافعي في الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد، الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهود له بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً.

ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً، كان يجازي المسيء بإحسانه إليه ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمّى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق باب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسّلين إلى الله به، كرامته تحار منها العقول، وتقضي بأنّ له عندالله تعالى قدم صدق لا تزلّ ولا تزول[٢].

أم البنين عليها السلام والكرامات الباهرة

المعجزة للنبي هي بذاتها الكرامة للولي، ومعاجز الأنبياء يقابلها كرامات الأولياء، وإذا كانت المعجزة في مدلولها ما يقع خلاف العادة، فإن

١ـ الغدير: ج٥، ص١٨٧.

٢ـ العناياة الخالده ص١٩، عن مطالب السؤول، ص٤٤٧.

الكرامة كذلك، وإذا فسّر البعض بأن المعجزة تحصل للنبي حالة التحدي من قبل المناوئين، فإن الكرامة تحصل للولي إظهاراً لعظم شأنه أمام الموالين المسلمين وقِبَل المعاندين الرافضين.

يكفي للمعجزة بياناً قيام الكتاب العزيز بتغطيتها عقائدياً، وللكرامة تبياناً ما نقله الوحي الأمين لبعض الأولياء، كآصف بن برخيا وصي سليمان بن داود، أو آسية بنت مزاحم زوجة فرعون، التي أراها الله تعالى قصرها في الجنة، أو أصحاب الكهف الذين جعلهم الله تعالى آية من آياته وذكرهم في سورة مفصّلة باسمهم، حتى بات هذا الأمر من بديهيات العقيدة الحقة.

وبالمناسبه ينقل ان المنتصر بالله خرج لزيارة قبر سلمان الفارسي فقال: ان الشيعة تدعي ان علياً عليه السلام جاء الى سلمان الفارسي بليلة واحدة من المدينة الى المدائن ومعه الكفن والكافور فغسل سلماناً وكفنه وحنطه وصلى عليه ورجع بنفس الليله.

فما هذا الا غلو من الشيعة فانكر هذه الفضيلة لعلي عليه السلام فاجابه السيد ابن الاقساسي وكان حاضراً عنده بابيات من الشعر وذكر فيها لاوجود للغلو في ذلك قائلاً.

انكرتَ ليلةَ اذ زار الوصي ارض المدائن لمَّا اَنْ لها طلبا
وَغَسّلَ الطُّهَّر سلماناً وعادَ الى عِراصِ يثربَ والاصباحُ ما وجبا

وقلتَ ذامن قولِ الغُلاةِ وما ذنبُ الغلاةِ اذالم يُوردُوا كَذِبا
فآصفٌ قبلَ ردِّ الطرفِ من سَبإٍ بعرشِ بلقيس وافى يخرق الحُجُبا
فانتَ في اصفٍ لم تغلوا فيه بلا في حيدرٍ انا غالٍ إنّ ذا عجبا
انا كان احمدُ خيرَ المرسلين؟ فذا خيرُ والوصيين اوكلُ الحديث هبا[1]

فإذا كان القرآن تكفل التغطية، إذن فعلام نستبعدها موضوعياً أو فلسفياً، وهنا آثرت نقل بعض كرامات أم البنين عليها السلام التي يتحدث بها القاصي والداني.

وبكل بساطة لأن هذه المرأة الطاهرة ذابت في الله تعالى، وانقطعت إلى أحبائه، وكانت طاعتها فريدة، وانقطاعها على أتم الصدق، فأعطاها الله هذه الكرامة من منطلق (عبدي أطعني تكن مثلي، أنا أقول للشيء كن فيكون، وأنت تقول للشيء كن فيكون).

إذن فعلام نستبعد من والدة أبي الفضل العباس عليه السلام حصول الكرامات ووقوعها وهي في هذه المكانة الرفيعة والمقام العظيم عند الله تعالى.

مع العلم يمكن الادعاء بأن السيدة أم البنين عليها السلام بذاتها المجرّدة تعتبر من أكبر المعاجز والكرامات، لأنها استطاعت أن تفوق الكثير من نساء الأنبياء والأوصياء من خلال الذوبان والتسليم لأهل البيت عليهم السلام.

١ـ الغدير، ج٥، ص٣٢. السيد محمود الاقساسي.

وإلى تقريب هذا الاتجاه يمكننا أن نترك الاستدلال بالروايات الصحيحة أو الضعيفة، ونستبدلها بالواقع العملي من خلال التجارب الكثيرة المشاهدة في وقوع الكرامات[1].

أهديتُ صلواتٌ لها عليها السلام فشفي ولدي

نقل حجة الإسلام السيد جواد الموسوي الزنجاني إمام جمعة زنجان في الجمهورية الإسلامية في إيران قائلاً:

في يوم ما، كان أحد أولادي مريضاً، وعندما رجع من مدرسته، كانت حالته سيئة للغاية، بحيث كان وجهه قد تغير.

أخذته إلى الطبيب، وبعد إجراء الفحص الطبي، لم يوفّق الطبيب للتشخيص الحقيقي للمرض، فقال: إنه قد أصابه البرد، وكتب له الدواء ثمّ قال لنا: إذا اشتدت حالته، فما عليك إلا أن تتصل بي في مستشفى سينا.

يقول السيد: لما أخذت له الدواء، وتناول منه شيئاً في المساء، أخذت حالته تشتد سوءاً، فاتصلت بالطبيب ثمّ أخذته إلى المستشفى، وعندما أجريت عليه الفحوصات تبيّن أنه مصاب في تورّم بالمخ.

قررت لجنة الأطباء إبقاءه في المستشفى لاتخاذ الإجراءات المناسبة

١ـ السيدة أم البنين عليها السلام للشيخ اشرف الزهيري، ص ١٩٠.

للعلاج.

مضى أسبوع كامل، وكانت حالته تشتد حتى غاب عنه الوعي بالمرة، وقالوا: إنه إذا شفي فإنه يصاب بالشلل.

وكنا في ليلة التاسع من المحرم، وكادت أجواء اليأس تخيّم علينا من شدة المحنة، وعندها توجهت إلى القبلة وصليت ركعتين، وبعدها أهديت مائة صلاة (اللَّهُمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد) إلى السيدة أم البنين عليها السلام، وتوسلتُ بها وبولدها أبي الفضل العباس عليه السلام بأن يكونا وسيلتنا عند الله في شفاء ولدي.

في صباح اليوم الثاني اتصلوا بي من المستشفى وقالوا: إن ولدك بخير، وكأنه ما كان مريضاً.

وبالفعل رأينا الولد على أحسن حال من بركاتهما.

يقول السيد: لقد رأت إحدى المؤمنات من جيراننا في المنام، أن أبا الفضل العباس عليه السلام يقول لها: إن السيد الموسوي أراد مني أن أكون وسيطاً في شفاء ولده وكنت كذلك، وأنا أريد منه الاهتمام بخدام الحسين في شهر محرم وخدمتهم.

يقول السيد: ولهذا الأمر التزمت باستضافة خدّام الحسين عليه السلام إلى منزلنا

سنوياً، وبأن أذبح لهم الذبائح وأعد لهم الطعام في شهر محرم الحرام[1].

تزوجتُ بفضلها عليها السلام

يقول الأخ عمار الدراجي وهو من مدينة العمارة في العراق:

وفقت ذات يوم الأداء حج البيت الحرام، وأنا في أول زيارة لأئمة البقيع عليهم السلام وبعد ذلك ذهبت إلى قبر السيدة أم البنين بجوارهم، وفي أثناء زيارتها ذكرت ولدها أبا الفضل العباس عليه السلام وبكيت لمصيبته، ومن ثمّ طلبت من سيدتي أم البنين عليها السلام تسهيل أمر الزواج لكي أعف نفسي بهذه السنة الكريمة من امرأة مؤمنة صالحة.

يقول: لمّا أخذت من زيارتها وطراً، رجعت إلى زيارة أئمة البقيع مرة أخرى، وإذا بي أرى مؤمناً كان يزورهم بصوت حزين فوقفت خلفه أزور، وبينا أنا واقف أزور وإذا بشخص يضرب على كتفي قائلاً: يا حاج.. يا حاج تفضل، ثمّ قال لي: هذا عمك جاء من كندا، تفضل هذا إفطار، ولمّا أديت الاستجابة سألني: هل أنت متزوج؟

فقلت: لا.

قال: هذا مبلغ ألف وخمسمائة دولار لغرض زواجك، وهذا عمك جاء

١ـ السيده أم البنين عليها السلام للشيخ اشرف الزهيري.

من كندا وعنده أموال قد أعدها لغرض التزويج فقط، وبعد محادثات معه ومع العم المؤمن استلمت المبالغ ولما رجعت من الحج رأيت امرأة مؤمنه وسهل الله عليّ امر الزواج ببركه السيدة أم البنين عليها السلام ورزقت منها ولدين محمد وعلي والحمدلله.

حملتُ ببركت سفرتها

ونقل السيد سلمان هادي طعمة عن كتاب (أم البنين رمز التضحية والفداء) للشيخ عبدالأمير الأنصاري هذه الكرامة قائلاً:

إن امرأة تدعى (وزيرة) خرجت من بيتها في مدينة الكوت العراقية وهي متجهة نحو بيت الحاجة أم عبد الأمير وقد أعدت مجلساً وعندما حضرت المجلس وتطرق القارئ في ختام نعيه الأول لمصيبة أم البنين خشع قلب (وزيرة) لبكائهن، وعندما انتهى القارئ من النعي الختامي دعا للمرضى بالشفاء، وبعدها فُرشت سفرة أم البنين، والنسوة يتبرّكن بما فيها، وهن حول سفرتها يلتمسن الشفاء وقضاء الحوائج. فأخذت (وزيرة) منها ويداها ترتعشان، ثمّ قامت وخرجت والد مع في عينيها إيماناً وخشوعاً، وعند المساء أكلت هي وزوجها من ذلك الزاد.

مرّ شهر أو أكثر ووجه (وزيرة) يميل إلى الاصفرار ودوار في الرأس يصحبه زكام في الصدر، قليلة الاشتهاء إلى الطعام، راغبة عن زوجها متنفّرة

منه، كثيرة النوم، تتضايق من الأماكن المزدحمة، تتثاقل من كل عمل يعطى لها، تحس بالتقيؤ.

قال لها زوجها: ما بك يا (وزيرة)؟ أمريضة أنت؟

قالت: لا أدري.

فأخذها إلى الطبيب وبعد أن فحصها الطبيب قال: لا شيء، إنها من علامات الحمل، وللتأكد من ذلك نذهب غداً إلى مركز التحليل.

المدينة ذهبا إلى المستشفى لإجراء التحليل، وبعد انتظار، والفكر يعتصر الفؤاد، نادى الموظّف باسمهما نهضت وهي لا تقوى على حمل نفسها، فأسرع زوجها وقال: نعم، ما النتيجة؟

فنظر الموظف في ورقة التحليل وقال: مع إنها حامل.

فطار زوجها فرحاً، وهو يقول الشكر لله، الحمدلله، ثمّ ضم (وزيرة) بجوى قلبه، وهو يقول لا أكاد أصدق، وبدت على شفتيها ابتسامة الأمل، فتلتئم تلك الجراحات المعذّبة.

وعندما دخلا البيت سجدا لله شكراً، وذيع الخبر وعمّت الفرحة والدهشة بحملها، وبقي نذر أم البنين مدفوناً في صدرها.

لقد أصبح الزمن عندها كمسير شيخ جاوز التسعين وهي ترتقب الجنين، ونصائح النسوة تملأ فكرها، فينمو الخوف في نفسها، وهي متحذرة

من المصير.

وذات يوم وهي في شهرها الثالث والألم يعتصر بطنها ضارباً ظهرها فيدب الحزن فيها، والأهل يتسارعون بها إلى المستشفى، وزوجها يقبّل يد الطبيب متوسلاً إليه بحفظ الجنين، والطبيب يقول: هذا بأمر رب العالمين، إن أراد حفظه، وإن أراد أسقطه، وكما أنها لا تحتاج إلى دواء، بل الراحة وعدم الحركة، وتبقى هنا ثلاثة أيام.

عندما سمعت (وزيرة) كلام الطبيب استغاثت بحرقة وحنين بأم البنين عليها السلام، فخفّ عندها الألم، وعادت البسمة إلى شفاه الزوج والأهل والمحبين.

مرّت الأشهر ودخلت شهرها التاسع، وعند مطلع فصل الربيع، وقبل أذان الصبح بسويعات أخذها الطلق. الأهل والجيران رافعين ايديهم بالدعاء لسلامتها وسلامة الطفله وعندما اذن المؤذن وضعت وزيره حملها وكانت انثى ففرحوا وسموها فاطمة تيما بأم البنين عليها السلام الا ان اهل زوج وزيره السنيه قالوا عائشة وبعد النزاع سُمّيت بشرى وكفّرت وزيره عن يمينها[1].

إنّ حصول أم البنين عليها السلام على هذا المقام الرفيع من الكرامات والعنايات الباهرة، لأنها صبرت على فراق أولادها ومصائبهم بالأخص مصيبة أبي

١ـ السيدة أم البنين عليها السلام، ص٢٠٣.

الفضل العبّاس عليه السلام، ولا بأس أن نختم المجلس بذكر مصيبة ولدها قمر العشيرة أبي الفضل العبّاس عليه السلام، باب الحوائج إلى الله تعالى.

الإمام الحسين عليه السلام في اللحظات الأخيرة حاضر عند رأسه ينظر الى أخيه العباس عليه السلام، مقطوع اليدين، والسهم نابت في عينه ـ ساعد الله قلب الإمام الحسين عليه السلام.

الإمام الحسين عليه السلام عند مصرع أخيه العباس عليه السلام:

لما جاء الامام الحسين عليه السلام الى مصرع أخيه العباس راه على حاله يرثى لها فجعل ينادي وا أخاه وا عباساه

نادى وقد ملاء البوادي صيحةً صُمّ الصُخور لهو لها تتألّمُ

أأخيّ مَن يحمي بناتَ محمد انا صرن يسترحمنَ لا يرحمُ

فرآه مقطوع اليدين، مرضوض الجبين، السّهم نابت في العين، المخ سائل على الكتفين، نادى: الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي، الآن شمت بي عدوّي.

يخويه انكسر ظهري ولگدر اگوم صرت مركز يخويه الكل الهموم

يخويه استوحدوني عگبك الگوم ولا واحد عليّه بعد ينغر

فوضع الحسين عليه السلام يديه تحت ظهره، أراد حمله إلى المخيّم، فقال

العبّاس عليه السلام: «**بالله عليك إلّا ما تركتني في مكاني**»، فقال الإمام الحسين عليه السلام: لماذا يا أخي؟ فقال العبّاس عليه السلام لحالتين: الأُولى: فقد نزل بي الموت الّذي لابدّ منه، والثّانية: إنّي أوعدت سكينة بالماء وإنّي مستح منها.

يخويه احسين خليني ابمچاني يگله ليش يا زهرة زماني
يگله واعدت سكنه تراني ابماي وساتحي منها او مگدر

وبينما الحسين عنده وإذا بالعبّاس قد شهق شهقة وفاضت روحه الدنيا.

قام الحسين منحني الظّهر يكفكف دموعه بكمه، وهو ينادي: وا أخاه، وا عبّاساه.

وفي رواية أُخرى: لمّا وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى أخيه أبي الفضل عليه السلام نزل عنده، أخذ رأسه، تركه في حجره ثمّ جعل ينظر إلى يديه القطيعتين، ورأسه المفلوق بعمود من حديد، وجسده الّذي تناثر لحمه من ضرب السّيوف وطعن الرماح ورمي السّهام فجعل يبكي وينادي: وا أخاه.

فأحسّ العبّاس عليه السلام بحركة عند رأسه، فظنّ انّ رجلاً من الأعداء يريد حزّ رأسه، فقال: «**بالله عليك أمهلني حتّى يأتي إليّ ابن والدي**»، فقال الإمام الحسين عليه السلام: «**أخي عبّاس أنا أخوك الحسين**»، فرفع العبّاس عليه السلام رأسه ووضعه على التّراب، فأخذه الحسين عليه السلام ووضعه في حجره، ثمّ رفع العبّاس عليه السلام رأسه ووضعه على التّراب، فأخذه الحسين

ووضعه في حجره، ثمّ رفع العبّاس رأسه ووضعه على التّراب، ثمّ أخذ الحسين رأس العبّاس ووضعه في حجره، وعاد العبّاس فرفعه ثالثة.

قال الإمام الحسين عليه السلام: اخي عباس لماذا تصنع هكذا؟ قال أخي يا نور عيني كيف لا أصنع هكذا؟ الآن جئتني وأخذت برأسي، ولكن بعد ساعة من يرفع رأسك عن التّراب؟ هذه مواساة العبّاس لأخيه الحسين، ولهذا أنت تقرأ في الزّيارة: «**نِعمَ الأخُ المواسي لأخيه**».

عباسُ يا حامي الظعينة والحرم بحماك قد نامت سكينة في الخيم
صرخت ونادت يوم قد سقط العلم اليوم نامت اعينٌ بك لم تنم
وتسهّدت أُخرى فعزّ منامُها

ولما رجع الإمام الحسين عليه السلام من مصرع أخيه العبّاس عليه السلام رجع وهو يكفكف دموعه بكمّه استقبلته أُخته الحوراء زينب، قالت: «**أبا عبدالله أراك رجعت وحيداً فريداً! أين ابنُ والدي؟ أين أخي ابوالفضل العبّاس؟**» قيل انه قال: «**عظّم الله لك الأجر بأخيك أبي الفضل**» وقيل ما كلّمها بشيء، بل راح إلى خيمة العبّاس، فأسقط عمودها فارتفعت الأصوات بالبكاء والنّحيب.

ونادت زينب عليها السلام: وا أخاه وا عباساه وأرادت أن تذهب إلى مصرع

العباس، فوضع الحسين يده على صدرها وقال أخيّه زينب إلى أين تريدين؟ إرجعي إلى الخيمة ولا تشمتي بنا الأعداء فنادت وا أخاه وا عبّاساه:

تگله انه رايحه العباس اگعده ورگّب اچفوفه فوگ زنده

وگله الحرم صارت ابشدّه

أأُخيّ من لي إن ذهبت بمسعدِ عنّي يَذبُّ بصارمٍ ومهندِ

أأُخيّ من يرعى الفواطم في غد أأُخيّ من يحمي بنات محمد

إن صرن يسترحمن من لا يرحم

ارجعها الحسين إلى الخيمة ولم تخرج إلى كفيلها إلّا عندما جنّ عليها ليل الحادي عشر أقبلت إليه وهي تتعثّر بأذيالها في ذلك اللّيل الموحش حتّى وصلت إليه ورأته بتلك الحالة الفظيعة نادت:

أحمى الضايعات بعدك ضعنا في يد النائبات حسرى بوادي

* * *

تگله يعباس منته إلي جبتني او بيدك يخويه ركّبتني

هسا رحت عنّي او عفتني عگبك بني اميّه ولتني

المجلس الثامن

حول صبر أم البنين عليها السلام

مصيبةُ الطفِ في عينيكِ تَرتسِمُ ... وفي فؤادِكِ نارُ الحُزن تَضطَرِمُ

أمَّ البنينِ رعاكِ اللهُ صابرةً ... لِما أصابَكِ وهو الحارثُ الضَّخِمُ

أبناؤُكِ الغُرُّ غيلوا في الطفوف وما ... سَألتِ هل قُتِلوا فيها وهل سَلِموا

كواكبٌ في سماءِ الخُلدِ تَأتلِقُ ... وفي ثَرى الطفِّ في الأسياف قد خُدِمُوا

كنتِ الوفاءَ وكانوا منكِ قد وَرِثوا ... أجلى معانيه فازدانت بكِ الشِّيَمُ

ومذ أتى الناعي ينعاهُم فما فَتِأت ... على شفاهِكِ خوفاً تَعثُرُ الكَلِمُ

هَلاّ أُصيبَ حسينٌ فالبنونَ فدًى ... لابن الرسولِ فقد أودى بكِ الألَمُ

ومذ علمتِ بقتل السبطِ فاضَ دَمٌ ... مِن مُقلَتَيكِ على الخدين يَنسَجِم

وَصِحتِ ويلاهُ فقدُ السبطِ أثكلني ... فَيا عماديَ ظهري اليومَ مُنفَصِم

بِمَن ألوذ إذا ما الدهرُ أفجعني ... ومَن سِواكَ من الأهوالِ مُعْتَصَمُ

قد كنتَ للدين غوثاً والهدى عَلَماً ... فاليوم لاغوثَ يُرجى وانطوى العَلَمُ

بُنيَّ حُسينُ عليك القلبُ مضطربٌ والعينُ ساهِدةٌ والروحُ مُحتَدِم

بُني حسينُ فليتَ الموتَ عاجَلَني من قبلِ فَقدِكَ إنَّ الصَّبرَ مُنعَدِم

فليتني مِتُّ قبل اليوم لا هَطَلت وأنتَ ظامٍ على بوغائِها الدَّيَم[1]

١ـ للاستاذ الاديب عادل الكاظمي.

المجلس الثامن

حول صبر أم البنين عليها السلام

قال الله الحكيم في محكم كتاب الكريم:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

(صدق الله العلي العظيم)

انواع الصبر

«الصبر» في اللّغة: حبس النفس من الفزع من المكروه، والجزع عنه، وإنّما يكون ذلك بمنع باطنه من الاضطراب، وأعضائه من الحركات الغير المعتادة.

[أنواع الصبر]

وهو ثلاثة أنواع:

١ـ سورة النحل، الآية ٩٦.

الأول: صبر العوام

وهو حبس النفس على وجه التجلّد، وإظهار الثبات في النائبات، ليكون حاله عند العقلاء وعامة الناس مرضية، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[١].

الثاني: صبر الزهاد والعباد وأهل التقوى وأرباب الحكم

لتوقّع ثواب الآخرة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢].

صبر العارفين

فان لبعضهم إلتذاذاً بالمكروه والمصائب لتصوّرهم انّ معبودهم خصّهم به من دون الناس وصاروا ملحوظين بشرف نظرته كما قال تعالى ﴿وبشر الصابرين الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾[١] فلهم البشرى من عند ربهم، وهذا النوع يختصّ باسم ارضا والتسليم الى الله

١ـ سورة الروم، الآية ٧.

٢ـ سورة الزمر، الآية ١٠.

١ـ سورة البقرة، الآيات ١٥٦ ـ ١٥٧.

تعالى على كل الاحوال.

فهذه اقسام ثلاثة للصبر فاما النوع الاول: لاثواب عليه لانه لم يفعله لله وانما فعله لاجل الناس بل هو في الحقيقة رياء محض فكلّما ورد في الرياء آتٍ فيه.

ولكن الجزع شرّ منه لان النفوس البشريّة تميل الى التخلّق باخلاق النظراء، والمعاشرين والخلطاء فيفشوا ويكتموا الجزع فيهم واما الصبر عند الاطلاق يحمل على النوع الثاني من اقسام الصبر.

ثم ان الله تعالى وصف الصابرين باوصاف وذكر في نيف وسبعين موضعاً واضاف الله تعالى بان اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر، وجعلها ثمرة له. حتى قال تعالى ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر، ولاجل كون الصوم من الصبر كان لايتولى اجره الا الله، كما ورد في الاثر قال تعالى الصوم لي وانا الذي اجزي به[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الصبر ثلاثة: صبر عند الصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، فمن صبر**

١ـ مسكن الفؤاد لزين الدين العاملي ص٧٤ عن مسند زيد ٢٠٤ الكافي: ٦٣/٤ ج٦ من لايحضره الفقيه، ٧٥/٢ ج٣، ص١٧٧ تهذيب الكلام، ١٥٢/٤، ص٤٢٠.

على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائه درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الارض.

ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائه درجة، مابين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش.

ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائه درجه ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش»[1].

الصبر عن فقد الولد

وروي أنّ رجلاً من الأنصار كان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مع ابن له فقال له صلى الله عليه وآله ذات يوم: «**يا فلان تحبّه؟**»

قال: نعم يا رسول الله كحبك.

ففقده النبي صلى الله عليه وآله فسأل عنه فقالوا يا رسول الله مات ابنه، فلما رآه قال صلى الله عليه وآله: «**أما ترضى أن لا تأتي يوم القيامة باباً من أبواب الجنة إلا جاء حتّى يفتحه لك؟**»

فقال له رجلٌ هناك: له وحده أم لكلّنا؟

١ـ مسكن الفؤاد ص٨٤ عن الكافي ٧٥/٢ ج١٥ مجموعه ورام: ٤٠/١ جامع الاخبار ١٣٥ منتخب كنز العمال ٢٠٨/١.

قال صلى الله عليه وآله: «بل لكلكم»[١].

وقال صلى الله عليه وآله: «من دفن ثلاثة فصبر عليهم واحتسب وجبت له الجنة».

فقالت أم أيمن: واثنين؟

فقال صلى الله عليه وآله: «من دفن اثنين وصبر عليهما واحتسبهما وجبت له الجنة».

فقالت أم أيمن: وواحداً؟

فسكت وأمسك ثم قال: «يا أم أيمن من دفن واحداً فصبر عليه واحتسبه وجبت له الجنة»[٢].

ماتا وأحياهما الله لصبر الأم

والحديث في عيون المجالس بزيادة غريبة في آخره، ولفظه:

عن معاوية بن قرّة قال: كان أبو طلحة يحبّ إبنه حبّاً شديداً، فمرض فخافت أم سليم على أبي طلحة الجزع حين قرب موت الولد، فبعثت زوجها إلى النّبي صلى الله عليه وآله.

١ـ مسكن الفؤاد، ٢٧.

٢ـ بحار الأنوار، ١٢٠/٨٢.

فلمّا خرج أبو طلحة من داره توفّي الولد، فسجّته أم سليم بثوب. وعزلته في ناحية من البيت، ثم تقدَّمت إلى أهل بيتها وقالت لهم: لا تخبروا أبا طلحة بشيء.

ثمّ إنّها صنعَت طعاماً، ثم مست شيئاً من الطيب، فجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ فقال: ما فعل إبني؟

فقالت له: هدأت نفسه.

ثم قال: هل لنا ما نأكل؟

فقامت، فقرّبت إليه الطعام، ثم تعرضت له، فوقع عليها.

فلمّا إطمأن قالت له: يا أبا طلحة أتغضب من وديعة كانت عندنا، فرددناه إلى أهلها.

فقال: سبحان الله، لا اغضب.

فقالت: إبنك كان عندنا وديعة، فقبضه الله.

فقال أبو طلحة: فأنا أحقّ بالصبر منك.

ثم قام من مكانه، فاغتسل وصلّى ركعتين، ثم إنطلق إلى رسول الله ﷺ فأخبره بصنيعهما فقال له رسول الله ﷺ: «**فبارك الله لكما في وقعتكما**».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**الحمدلله الذي جعل من أُمّتي مثل**

صابرة بني إسرائيل».

فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، ما كان من صبرها؟

قال: كانت في بني إسرائيل إمرأة، وكان لها زوج، ولها منه غلامان، فأمرها بطعام ليدعو عليه الناس، ففعلت، واجتمع الناس في داره.

فانطلق الغلامان يلعبان، فوقعا في بئر كان في الدار، فكرهت ان تنغّص على زوجها الضّيافة، فأدخلتهما البيت، وسجّتهما بثوب.

فلمّا فرغوا دخل زوجها فقال: أين إبناي؟

قالت: هما في البيت.

وإنهما كانت قد تمسحت بشيء من الطيب، وتعرضت للرجل حتّى وقع عليها.

ثم قال: أين إبناي؟

قالت: هما في البيت.

فناداهما أبوهما، فخرجا يسعيان. فقالت المرأة: سبحان الله، والله لقد كانا ميّتينى، ولكن الله تعالى أحياهما ثواباً لصبري[1].

اجر الصبر وما يحبطه من الجزع في الرويات

١ـ مسكّن الفؤاد الزين الدين احمد العاملي الجبعي، ص١٢٥ عن السيرة الحلبية٣/٧٤.

لاباس بالاشارة الى بعض الروايات والتي تبين مقام الصابرين وما يحبطه من اعمال الجزع عنها:

قال الامام الصادق عليه السلام: «**اتقوا الله واصبروا، فانه مَن لم يصبر اهلكه الجزع وانما هلاكه في الجزع انه اذا جزع لم يؤجر**»[١].

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[٢] سُئل الامام الباقر عليه السلام عن الصبر الجميل قال عليه السلام: «**ذلك صبر، ليس فيه شكوى الى الناس**»[٣].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله علامة الصابر في ثلاث: «**اولها ان لا يكسل والثانية ان لا يضجر والثالثه ان لا يشكو من ربه تعالى، لانه اذا كسل فقد ضيّع الحقّ، واذا ضجر لم يُؤدِّ الشكر واذا شكا من ربه عز وجل فقد عصاه**»[١].

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الصبر صبران: صبر، على ما نكره**

١ـ البحار، ٥٨/٩٥/٧١.

٢ـ سورة المعارج، الآية ٥.

٣ـ ميزان الحكمه ص ٢٠٧٠، ج ٥ عن الكافي: ٢٣/٩٣/٢.

١ـ ميزان الحكمه ٢٠٧٠، ج ٥، عن علل الشرائع، ١/٤٩٨.

وصبر عما نُحب»[١].

قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ قال عليه السلام: **«اصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب»**[٢].

عن الصادق عليه السلام: **«مَن إبتُلي من شيعتنا فصبر عليها كال له اجرالف شهيد»**[٣].

عن النّبي صلى الله عليه وآله **«الشجاعه صبر ساعة»**[٤].

قال الصادق عليه السلام: **«انا صُبَّرٌ وشيعتنا اصبر منا»** قال الروايى قلت جعلت فداك كيف صار. شيعتكم اصبر منكم؟ قال: **«لانا نصبر على ما نعلم وشيعتُنا يصبرون على ما لا يعلمون»**[١].

واما الجزع فانه يحبط الأجر على الصيبه، فعن الامام الصادق عليه السلام: «ان

١ـ نهج البلاغة الحكم ٥٥.

٢ـ الكافي: ٣/٨١/٢.

٣ـ ميزان الحكمه ج ٥، ص ٢٠٦٦ عن التمحيص ١٢٥/٥٩.

٤ـ البحار: ٧٠/١١/٧٨.

١ـ الكافي: ٢٥/٩٣/٢.

الضرب على الفخذ عند المصيبه يحيط الاجر»[١].

وعن جابر عن الامام الباقر عليه السلام قال: «**اشد الجزع والصراخ بالويل والعويل ولطم الوجه والصدر، وجز الشعر ومن اقام النواح فقد ترك الصبر، ومَن صبر واسترجع، وحمدالله تعالى فقد رضي بما صنع الله ووقع اجره على الله ومَن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم، واحيط الله اجره**»[٢] وعن الكاظم عليه السلام قال: «**حزب الرجل على فخذه عند المصيبه احباط اجره**»[٣].

الولد لا يدخل الجنة إلّا مع الأبوين:

وعن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**يقال للوالدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة**».

فيقولون: «**يا ربّ حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا**». قال: فيأبون.

١ـ مسكن الفؤاد ص٨٩ عن الكافي: ٢٢٤/٣، ح٤ وعن السكون عن ابي عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «ضرب المسلم يده على فخذه عند المصيبة احباط لاجره» مَن لا يحضره الفقيه، ٤١٦/٤.

٢ـ اصول الكافي، ٢٢٢/٣، ح١.

٣ـ الكافي، ٢٢٥/٣، ح٩.

فيقول الله ـ عزّ وجلّ ـ : «**ما لي أراهم محبنطئين اي [المغضب المستبطي للشيء] ادخلوا الجنة**».

فيقولون: يا ربّ آباؤنا!

فيقول ـ تعالى ـ: «**ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**».

وعن عبيد بن عمير الليثي قال: إذا كان يوم القيامة خرج ولدان المسلمين من الجنة بأيديهم الشراب، قال: فيقول الناس لهم: اسقونا اسقونا، فيقولون: أبوينا أبوينا.

قال: حتى أنّ السقط محبنطئاً بباب الجنة، فيقول: لا أدخل حتى يدخل أبواي.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا كان يوم القيامة نودي في أطفال المؤمنين[1]: أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم**».

ثم ينادى فيهم: «**أن امضوا إلى الجنة زمراً**»، فيقولون: ربّنا، ووالدينا معنا؟

ثم ينادي فيهم ثانية: «**أن امضوا إلى الجنة زمراً (افواجا)**»،

١ـ في نسخة: «المسلمين».

فيقولون: ربّنا، ووالدينا؟»

ثم ينادي فيهم ثالثة: «**أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: ربّنا، ووالدينا؟**

فيقول في الرابعة: ووالديكم معكم».

فيثب كلّ طفل إلى أبويه، فيأخذون بأيديهم، فيدخلون بهم الجنة، فهم أعرف بآبائهم وأمهاتهم - يومئذٍ - من أولادكم الذين في بيوتكم.

وعن أنس بن مالك: أنّ رجلاً كان يجيء بصبي معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه مات، فاحتبس والده عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فسأل عنه.

فقالوا: مات صبيّه الذي رأيته معه.

فقال صلى الله عليه وآله: «**هلا آذنتموني، فقوموا إلى أخينا نعزّيه**».

فلمّا دخل إذا الرجل حزين وبه كآبة، فعزّاه، فقال: يا رسول الله كنت أرجوه لكبر سنّي وضعفي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أما يسرّك أن يكون يوم القيامة بإزائك، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: يا ربّ، وأبواي، فلا يزال يشفع حتى يشفّعه الله - عزّوجلّ - فيكم ويدخلكم الجنة جميعاً**»[1].

١- مسكن الفؤاد في فقه الاحبه والاولاد لزين الدين العاملي، ص٥٢.

اشتهى موت ولده لرؤيا رآها!

وعن محمد بن أبي خلف قال: كان لإبراهيم الحربي ابن له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن، ولقّنه أبوه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً، فمات فأتيته لأعزّيه.

فقال: كنت أشتهي موته.

فقلت له: يا أبا إسحاق، أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب، وقد حفظ القرآن، ولقّنته الحديث والفقه؟

قال: نعم، رأيت في النوم كأنّ القيامة قد قامت، وكأنّ صبياناً بأيديهم القلال، وفيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوماً شديد الحر، فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء.

قال: فنظر إليّ، وقال: لست أنت أبي.

قلت: فأيّ شيء أنتم؟

قالوا: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا، وخلّفنا آباءنا، فنستقبلهم ونسقيهم، فلهذا تمنيت موته[1].

تزوّج رجاء أن يرزق ولداً فيموت!

١ـ تاريخ بغداد: ٣٥/٦ عن مسكن الفؤاد ص ٦٨.

وروى الغزالي في الإحياء: إنّ بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج برهة من دهره، فيأبى.

قال: فانتبه من نومه ذات يوم وقال: زوّجوني، فزوّجوه، فسئل عن ذلك، فقال: لعلّ الله أن يرزقني ولداً فيقبضه، فيكون لي مقدمة في الآخرة.

ثم قال: رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت، وكأنّي في جملة الخلائق في الموقف، وبي من العطش ما كاد أن يقطع قلبي، وكذا الخلائق من شدّة العطش والكرب.

فبينما نحن كذلك، وإذا الولدان يتخلّلون الجمع، عليهم قناديل من نور، وبأيديهم أباريق من فضة، وأكواب من ذهب، يسقون الواحد بعد الواحد، يتخلّلون الجمع، ويجاوزون أكثر الناس.

فمددت يدي إلى أحدهم، فقلت: اسقني فقد أجهدني العطش.

فقال: ما لك فينا ولد، إنّما نسقي آباءنا.

فقلت: ومن أنتم؟

قالوا: نحن من مات من أطفال المسلمين[١][٢].

١ـ ومن العجيب أنّ هذا الصالح! لم يمتثل بكلام سيد المرسلين ولم يلتفت الى أمره صلى الله عليه وآله بالنكاح والتزويج، وحثّه على ذلك، ليشرب من حوض الكوثر، ومن ثم يسارع

وروى الصدوق ـ رحمه الله ـ بإسناده إلى عمر بن عبسة[٢] السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**أيّما رجل قدّم ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث، أو امرأة قدّمت ثلاثة أولاد، فهم حجاب يسترونه عن النار**»[٣].

وعن أبي ذر ـ • ـ قال: ما من مسلمين يقدّما عليهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث (اي الاثم والذنب اي لم يبلغوا) إلّا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته[٤].

قال الخليل: بلغ الغلام الحنث أي جرى عليه القلم[١].

وبإسناده إلى علي بن ميسر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**ولد واحد**

الى الزواج لإحتمال أن يرزق ولداً، فيموت صغيراً، فيسقيه يوم القيامة، كلّ هذا لو صدقت رؤياه.

١ـ مسكن الفؤاد في فقد الاحبه والاولاد لزين الدين العاملي ص٦٩ عن إحياء علوم الدين للغزالي: ٢٧/٢.

٢ـ في نسخة: «عتبة».

٣ـ ثواب الأعمال: ٢٣٣، ح٢.

٤ـ ثواب الأعمال: ٢٣٣، ح٣.

١ـ العين: ٢٠٦/٣.

يقدّمه الرجل أفضل من سبعين يخلفهم[١] من بعده، كلّهم قد ركبوا الخيل، وقاتلوا في سبيل الله»[٢].

وعنه عليه السلام: «**ولد واحد يقدّمه الرجل أفضل من سبعين ولداً يبقون بعده يدركون القائم عليه السلام**»[٣].

وعن محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جدّه، وكانت له صحبة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إنّ العبد إذا سبقت له عند[٤] الله ـ تعالى ـ منزلة، ولم يبلغها بعمل، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثم صبّره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت إليه من الله ـ عزّ وجلّ ـ**».

وعن عبدالرحمن بن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إنّي رأيت البارحة عجباً، فذكر حديثاً طويلاً، وفيه: رأيت رجلاً من أمّتي قد**

١ـ في نسخة: «يخلقونه».

٢ـ الفقيه: ١٢٢/١، ح٥١٩، الكافي: ٢١٨/٣، ح١، مشكاة الأنوار: ٢٣.

٣ـ ثواب الأعمال: ٢٣٣، ح٤.

٤ـ في نسخة: «من».

٥ـ سنن أبي داود، ١٨٣/٣ رقم ٣٠٩٠، مسند أحمد: ٢٧٢/٥.

خفّ ميزانه، فجاء أفراطه، فثقّلوا ميزانه»[١].

الفرط، بفتح الفاء والراء: هو الذي لم يدرك من الأولاد الذكور والإناث، ويتقدّم وفاته على أبويه أو أحدهما، يقال: فرط القوم إذا تقدّمهم، وأصله الذي يتقدّم الركب إلى الماء، ويهيىء لهم أسبابه.

وعن سهل بن حنيف ـ • ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**تزوّجوا فإنّي مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، حتى إنّ السقط ليظلّ محبنطئاً** [ومحبنطئاً، بالهمز وتركه: هو المغضب المستبطيء للشيء على باب الجنة،] **فيقال له: ادخل، يقول: حتى يدخل أبواي**»[٢].

مثل ما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام: «**ولد واحد يقدّمه الرجل أفضل من سبعين ولد يبقون بعده يدركون القائم عليه السلام**»[١].

ولشرح هذه الاحاديث وتقريبها للذهن والعبرة مثل ما لو قيل: إنّ رجلاً

١ـ كنز العمال: ٩٢٧/١٥، تاريخ دمشق: ٤٠٧/٣٤، إمتاع الأسماع: ٩٦/٨، الجامع الصغير للسيوطي: ٤٠٦/١ رقم ٢٦٥٢.

٢ـ الكافي: ٣٣٤/٥، ح١، التوحيد للصدوق: ٣٩٥ ح١٠، معاني الأخبار: ٢٠٦، من لا يحضره الفقيه: ٣٨٣/٣ ح٤٣٤٤، التهذيب للطوسي: ٤٠١/٧، ح١٥٩٨، مكارم الأخلاق: ١٩٦.

١ـ ثواب الأعمال، ٢٣٣، ح١.

فقيراً معه ولد عليه خلقان الثياب، قد أسكنه في خربة مقفرة ذات آفات كثيرة، وفيها بيوت حيات وعقارب وسباع ضارية، وهو معه على خطر عظيم، فاطلع عليه رجل حكيم جليل، ذو ثروة وحشم[1] وخدم، وقصور عالية، ورتب سامية، فرقّ لهذا الرجل ولولده.

فأرسل إليه بعض غلمانه أن سيدي يقول لك: إنّي قد رحمتك ممّا بك في هذه الخربة، وهو خائف عليك وعلى ولدك من العاهات، وقد تفضلّت عليك بهذا القصر ينزل به ولدك، ويوكل به جارية عظيمة من كرائم جواريه تقوم بخدمته إلى أن تقضي أنت أغراضك التي في نفسك، ثم إذا قدمت وأردت الإقامة أنزلتك معه في القصر، بل في قصر أحسن من قصره.

فلو قال الرجل الفقير: أنا لا أرضى بذلك، ولا يفارقني ولدي في هذه الخربة، لا لعدم وثوقي بالرجل الباذل، ولا زهداً منّي في داره وقصره، ولا لأماني على ولدي في هذه الخربة، بل طبعي اقتضى ذلك، وما أريد أن أخالف طبعي.

أفما كنت ـ أيّها السامع ـ لوصف هذا الرجل تعدّه من أدنياء السفهاء، وأخساء الأغبياء.

١ـ في نسخة: «حشمة».

فلا تقع[١] في خلق لا ترضاه لغيرك، فإنّ نفسك أعزّ[٢] عليك من غيرك.

واعلم أنّ لسع الأفاعي، وأكل السباع، وغير هما من آفات الدنيا لا نسبة لها إلى أقلّ محنة من محن الآخرة المكتسبة في الدنيا، بل لا نسبة لها إلى إعراض الخالق[٣] ـ سبحانه ـ وتوبيخه ساعة واحدة في عرصة القيامة، أو عرضة واحدة على النار مع الخروج منها بسرعة.

فما ظنّك بتوبيخ يكون ألف عام أو أضعافه، وبنفحة[٤] من عذاب جهنم يبقى ألمها ألف عام، ولسعة من حيّاتها وعقاربها يبقى ألمها أربعين خريفاً؟

وأيّ نسبة لأعلى قصر في دار الدنيا إلى أدنى مسكن في الجنة؟

وأيّ مناسبة بين خلقان الثياب في الدنيا إلى فاخرها إلى أعلى ما في الدنيا بالإضافة إلى سندس الجنة وإستبرقها.

وهلّم جرّا ما فيها من النعيم المقيم.

بل لو تأمّلت بعين بصيرتك في هذا المثل الذي ذكرناه، وأجلت فيه رؤيتك، علمت أنّ ذلك الكريم الكبير (وهو الله تعالى)، بل جميع العقلاء، لا يرضون من ذلك الفقير بمجرّد تسليم ولده ورضاه بأخذه، بل لابدّ ـ في

١ـ في نسخة: «فإياك أن تقع».

٢ـ في نسخة: «أغرّ».

٣ـ في نسخة: «الحقّ».

٤ـ في نسخة: «وبنفخه».

الحكمة ـ من حمده عليه وشكره، وإظهار الثناء عليه بما هو أهله، لأنّ ذلك هو مقتضى حقّ النعمة.

دعا الله فرزقه ولداً ثم دعا ليموت

وحكى الشيخ أبو عبدالله بن النعمان في كتاب «مصباح الظلام» عن بعض الثقيات: إنّ رجلاً أوصى بعض أصحابه ممنّ أراد أن يحجّ أن يقرء سلامه لرسول الله صلى الله عليه وآله، ويدفن رقعة مختومة أعطاها له عند رأسه الشريف، ففعل ذلك.

فلمّا رجع من حجّه أكرمه الرجل، وقال له: جزاك الله خيراً، لقد بلغت الرسالة.

فتعجّب المبلّغ من ذلك وقال: من أين علمت تبليغها قبل أن أحدّثك؟

فأنشأ يحدّثه، قال: كان لي أخ مات وترك ابناً صغيراً، فربّيته وأحسنت تربيته، ثم مات قبل أن يبلغ الحلم.

فلمّا كان ذات ليلة رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت، والحشر قد وقع، والناس قد اشتدّ بهم العطش من شدّة الجهد، وبيد ابن أخي ماء، فالتمست أن يسقيني، فأبى، وقال: أبي أحقّ به منك، فعظم عليّ ذلك، فانتبهت فزعاً.

فلمّا أصبحت تصدّقت بجملة دنانير، وسألت الله أن يرزقني ولداً ذكراً،

فرزقنيه، واتفق سفرك، فكتبت لك تلك الرقعة، ومضمونها التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ في قبوله منّي رجاء أن أجده يوم الفزع الأكبر، فلم يلبث أن حمّ ومات، وكان ذلك يوم وصولك، فعلمت أنّك بلّغت الرسالة!!!.

أم البنين عليها السلام وصبرها على فراق اولادها

ان عظمه أم البنين عليها السلام تظهر عند سماعها الكارثه ومع ذلك لم تعبأ بمصيبتها العُظمى على فراق اولادها الاربعة بل تسأل عن سلامة الامام الحسين عليه السلام كانه هو ابنُها دون هؤلاء وقال الشيخ المامقاني (عليه الرحمة):

يستفاد قوة إيمانها وتشيعها أنّ بشراً كلما نعى إليها بعد وروده المدينة أحداً من أولادها الأربعة قالت ما معناه:

أخبرني عن أبي عبدالله عليه السلام، فلما نعى إليها الأربعة قالت: «**قد قطعت نياط قلبي، أولادي ومن تحت الخضراء كلّهم فداءً لأبي عبدالله الحسين، أخبرني عن الحسين عليه السلام**».

وفي صدد إيمانها العميق وانقطاعها للمبدأ المتقوّم بالولاية وتطلعها الواعي وتألُّقِها الهادف، يحدّثنا الشيخ أيضاً:

إنّ علقتها بالحسين عليه السلام ليس إلا لإمامته عليه السلام وتهوينها على نفسها موت

هؤلاء الأشبال الأربعة إن سلم الحسين عليه السلام يكشف عن مرتبة في الديانةالرفيعة[١] والصبر الجميل.

لقد بات من المسلّم به عند أتباع أهل البيت عليهم السلام إنّ هذا اللون من الإيمان والصبر يندر وجوده إلا عند الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ولكنها تربية علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه).

وقال صاحب رياض الأحزان: وأقامت أم البنين زوجة أمير المؤمنين عليه السلام العزاء على الحسين عليه السلام، واجتمع عندها نساء بني هاشم يندبن الحسين عليه السلام وأهل بيته[٢].

وكان نتيجة الصبر والإيمان والمودة لأهل البيت عند هذه المؤمنة الجليلة، أن تبوّأت هذه المكانة السامية والمقام الرفيع في دنيا الكرامة والخلود. وصارت باب من ابواب الله وباب الحوائج الى الله تعالى

ما دعتها مروعة في حاجةٍ الا وتكشف حاجها

سؤالها عن وفاء اولادها

من المواقف السامية التي ازدانت بها حياة السيدة أم البنين أنها وبعد أن عاد السبايا إلى المدينة جاءت إلى الحوراء زينب عليها السلام تقسم عليها بأغلظ

١ـ تنقيح المقال ٣ ـ القسم الثاني ـ ص ٧٠.

٢ـ أدب الطف ٧٤/١.

الأيمان لتخبرها عما فعل أولادها يوم عاشوراء خصوصاً سيدهم وكبيرهم قمر بني هاشم العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام. وهل كانوا عند حسن ظن أمهم وأبيهم فيهم؟ وهل وفوا لإمامهم وسيدهم سيد شباب أهل الجنة، ولم يبخلوا عليه بشيء؟

وهل أدوا حق النصرة كما ينبغي؟ وراحت تكرر السؤال على الحوراء زينب عليها السلام كل ذلك بغية التأكد من وفاء أولادها لإمامهم ونصرته والذود عنه، وما أعجبه من موقف!

إنها بدل أن تسأل عن جراحات أولادها أو عن مصارعهم، وكيف سقطوا ومن قتلهم ومن حز رؤوسهم ومَن مثّل بهم وأية خيل رضت أجسادهم، إلى غير ذلك من الأسئلة التي تكشف عن مدى تعلقها بأولادها وحزنها لفراقهم، بدل كل ذلك تسأل عن وفائهم للحسين عليه السلام وعن ذودهم عنه، ومواساتهم له، مما يكشف عن عظيم إيمان وسموّ معرفة، تميّزت به هذه السيدة الصابرة.

وجاءها الجواب من الصديقة زينب عليها السلام مبرداً لغليلها، ومهوناً لنحيبها، ذلك الجواب الذي هلّلت لسماعه، وشكرت الله تعالى لتحققه، فلقد بينت لها أنهم لم يكتفوا بالذود عن الحسين والقتال بين يديه والمواساة له بل سطروا أروع البطولات، وواسوا أخاهم وإمامهم الحسين عليه السلام حق المواساة

خصوصاً بطل العلقمي وساقي العطاشى الذي تعجب من بطولاته وصولاته ومواساته ملائكة السماء.

فلقد خاض الماء بجواده وملأ القربة ماءً وأحسّ ببرودة الماء ولم يذق من الماء قطرة واحدة مع شدة ظمئه وعطشه كل ذلك مواساة منه لأخيه الحسين عليه السلام الذي لم يشبهه أحد وقتئذٍ في ظمئه.

فاطمئني يا أم البنين وتخطّي عرصات القيامة رافعة الرأس، مبيضة الوجه، فالزهراء بانتظارك، وفيتِ لها فلا بد أن تفي لك فطوبى لك ولأبنائك ومحبيك[1].

إعلانها عليها السلام مظلومية الحسين عليه السلام على الملأ

ومن المواقف التي لا تنسى، بل لا يصح أن تنسى لأم البنين عليها السلام إعلانها لمظلومية الحسين عليه السلام وذلك عبر إقامتها لمجالس العزاء، وطول بكائها عليه.

فقد ذكر المؤرّخون أنها كانت تحمل حفيدها عبيدالله بن العباس وتخرج إلى البقيع كل يوم وتقيم النياحة على أولادها وتندبهم أشجى ندبة، وخروجها إلى البقيع حيث اجتماع الناس، من ناحية، وقربها من القبور

١ـ السيدة أم البنين ص١٦٣ للشيخ اشرف الزهيري.

مما يجعل النفوس المستمعة لندبتها أكثر تأثراً مما لو ناحت في مكان آخر من ناحية أخرى.

كما أن نياحتها على أولادها لا تعني أنها نسيت الإمام الحسين عليه السلام بل الحسين عليه السلام بالنسبة لها هو سيد أولادها والنوح كل النوح عليه ومن أجله نعم لا يمكن أن نهمّش مصيبتها في ولدها العباس قمر العشيرة وإخوته عليهم السلام، فهي الأخرى مصيبة عظيمة، ورزية فادحة فكانت.

فتندب أولادها الأربعة أشجى ندبة وأحرّقها فيجتمع الناس فيسمعون بكاءها وندبتها، وكان مروانُ بن الحكم على خُبثِهِ وعلى شدة عداوته لبني هاشم يجيء في مَن يجيء فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي، فمن قولها في رثاء ولدِها أبي الفضل العباس:

يا من رأى العباس كرّ	على جماهير النقَد
ووَراهُ من أبناء حيدر	كلَّ ليث ذي لبد
أُنبئتُ أنّ ابني أُصيبَ	برأسِه مقطوعَ يد
ويَلي على شِبلي أما	لَ برأسِهِ ضربُ العَمد
لو كان سيفُ في يديه	لمّا دنى منهُ أحد

وجماهير النقد نوع من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه، وزادت البيت حُسناً في البلاغة، أنّ العباس من أسماء الأسد، فكم لاح هذا الاستخدام

العفوي جميلاً في صورة المطلع.

وقالت ترثي أولادها:

لا تَدعوني ويكِ أم البنين تذكّريني بليوث العرين
كانت بنونُ ليَ أُدعى بهِم واليومَ أصبحتُ ولا من بنين
أربعةٌ مثلَ نسور الرُبى قد واصلوا الموت بِقطع الوتين
تنازعَ الخرصان أشلاَءهم فكلّهم أمسى صريعاً طعين
يا ليتَ شعري أكما أخبروا بأنّ عباساً قطيعُ اليمين

ولم تحضر أم البنين عليها السلام أرض كربلاء، ولم تشهد الفاجعة، إلّا أنّها واست أهل البيت عليهم السلام وقدمت أولادها الأربع وكانت تسأل من زينب عليها السلام عن مواقف وجهاد اولادها هل انهم ادوما عليهم من التضحيه دون الإمام الحسين عليه السلام ولسان حالها.

صاحت ارد انشدچ ياضوه العين عن عباس وولادي الميامين
اخافو گصروا عن نصره احسين او عند امه ايخجل وجهي ايتوسم
لايُمّي تگللها اشتكولين ثلث تنعام من اخوتي الطيبين
بذلوا كل جهدهم دون الحسين او وگفو سور مادون المخيم
شگلچ عن ابوفاضل واخبرچ وگر اعيونچ ابفعله وبشرچ
مثل حملات حيدر حمل شبلچ من هز رايته اولاح المطهَّم

ولم تزل باكية عليهم حتى التحقت بالرفيق الأعلى، وكان النساء يُقمن العزاءَ في بيتها، ونقل المؤرخون أنَّ السيدة الحوراء عليها السلام كانت تزورها في بيتها وتواسيها في مصيبتها، وإن كانت المصيبةُ واحدةً يشترك في تحمّلها الجميع واذا دخلت عليها أم البنين عليها السلام تنادي زينب ولسان حالها:

بچت زينب او صاحت تلگنه بالله وياي گومَن ساعدنه

هاي أم البنين الراح منه صناديد اربعه او بالحرب نفلين

المجلس التاسع

وفاة أم البنين عليها السلام وفلسفة الإبتلاء

بَقِيَت تكابدُ والفؤآد جريحُ ... أُمُّ البنينَ ودمعُها مَسْفُوحُ

فقدت بنيها كالبدورِ بكربلا ... وعلى فراقِ ابنِ النبيِ تَصيحُ

تبكي على فقدِ الحسينِ وصحبهِ ... وتجاذب الحسرات وهي تنوحُ

تبكي ابن بنتِ المصطفى ومصابهَ ... والقَلبُ مِن عُظْم المصاب جريحُ

وغدت تَنُّ على الفراش مريضةً ... والجفنُ من طُولِ البُكاءِ قَريحُ

نادتْ بزينبَ يا عزيزةَ حيدرٍ ... اِنّي مفادقكُم وروحي تروحُ

وتَمَدَّدَتْ للموتِ روحي فداً لها ... والجسمُ نِضوٌ فارقتُه الرُوحُ

فهوتْ عليها بنتُ حيدرَ زينبُ ... والدمعُ فوقَ خُدودِها مَسفوحُ

أهوتْ عليها الطاهرات بعولةٍ ... كل على أمِ البنينِ تنوحُ

تبكي العقيلةُ والدموعُ سواكبٌ ... كالمُزنِ من فوقِ الخدود تسيحُ

وغَسَّلت الحوراءُ زينبُ جسمَها ولفّتها بالأكفان وهي تصيحُ

وشيلت على ذاك السرير وأقبلَت عليها النساء الطاهرات تنوحُ

وجاء علي السجاد مع آل هاشم وصَلّوا عليها والفواد جريحُ

وراحوا بذاك النعش أولاد غالب والدمع يجري عالخدود سفوحُ[1]

١ـ الحاج حسين محمد الخباز.

المجلس التاسع

وفاة أم البنين عليها السلام وفلسفة إبتلاء الإنسان

قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1].

(صدق الله العليُّ العظيم)

البلاء سنّة الحياة

إن من جملة قوانين الله تعالى على الأرض وسنّته في هذه الدنيا سنّة البلاء فهي تجري على جميع البشر ويحسّها كلّ إنسان ويتلمّسها كلّ عاقل.

بل الحياة قائمة على هذه السنّة والقانون، بل يبدو من جملة الآيات والروايات أنّه غاية الخلق، وإحدى أهدافه كقوله تعالى:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ

١ـ سورة الملك، آية٢.

عَمَلًا﴾[١]، ذكر المفسّرون أنّ اللام في (لنبلوهم) لام الغاية: أي غاية وجود الزينة على الأرض هو للإمتحان والبلاء.

وهناك آية أُخرى تبيّن أنّ علّة اختلاف الإسم والألسن واللُّغات هو الابتلاء كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[٢].

أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**ولسنا للدّنيا خلقنا، ولا بالسّعي فيها أُمرنا، وإنّما وضعنا فيها لنبتلى بها**»[٣].

وفي كلمة أُخرى يبيّن الإمام أنّ البلاء من طبع الدّنيا وديدنها وسجاياها البارزة. قال عليه السلام: «**دارٌ بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة**»[٤].

لماذا الإختبار الإلهي؟

وبعد معرفة هذه الحقيقة يبرز سؤال مهمّ يدور في أذهاننا وهو: لماذا تُبتلى؟ بمعنى آخر: ما هي فلسفة الإبتلاء؟

١ـ سورة الكهف، آية ٧.

٢ـ سورة المائدة، آية ٤٨.

٣ـ نهج البلاغة، كتابه لمعاوية.

٤ـ نهج البلاغة، خطبة ٢٢٦.

لماذا نرى أُناساً يتعذَّبون، وآخرون لا يتعذَّبون؟ أُناس كثيري البلاء، وآخرين قليلي البلاء؟ فهل غابت عدالة الله، هذا ما نريد الإشارة إليه.

فنقول: في مجال الإختبار الإلهي تطرح بحوث كثيرة، وأوّل ما يتبادر للذهن في هذا المجال هو سبب هذا الإختبار. فنحن نختبر الأفراد لنفهم ما نجهله عنهم، فهل أنّ الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى مثل هذا الإختبار لعباده، وهو العالم بكلّ الخفايا والأسرار؟! وهل هناك شيء خفي عنه حتّى يظهر له بهذا الإمتحان؟!

والجواب أنّ مفهوم الإختبار الإلهي يختلف عن الإختبار البشري.

إختباراتنا البشريّة ـ هي كما ذكرت آنفاً ـ تستهدف رفع الإبهام والجهل والإختبار الإلهي قصده «التربية».

في أكثر من عشرين موضعاً تحدّث القرآن عن الإختبار الإلهي، باعتباره سنّة كونيّة لا تنقض من أجل تفجير الطاقات الكامنة، ونقلها من القوّة إلى الفعل وبالتالي فالإختبار الإلهي من أجل تربية العباد، فكما أنّ الفولاذ يتخلّص من شوائبه عند صهره في الفرن، كذلك الإنسان يخلص وينقى في خضمّ الحوادث ويصبح أكثر قدرة على مواجهة الصعاب والتحدّيات.

الإختبار الإلهي يشبه عمل زارع خبير، ينثر البذور الصالحة في الأرض

الصالحة، كي تستفيد هذه البذور من مواهب الطبيعة وتبدأ بالنمو، ثمّ تصارع هذه البذرة كلّ المشاكل والصعاب بالتدريج، وتقاوم الحوادث المختلفة كالرّياح العاتية والبرد الشديد والحرّ اللافح، لتخرج بعد ذلك نبتة مزهرة أو شجرة مثمرة تستطيع أن تواصل حياتها أمام الصعاب.

ومن أجل تصعيد معنويات القوّات المسلّحة، يؤخذ الجنود إلى مناورات وحرب اصطناعيّة، يعانون فيها من مشاكل العطش والجوع والحرّ والبرد والظروف الصعبة والحواجز المنيعة.

وهذا هو سرُّ الإختبارات الإلهيّة[1].

الإختبار الإلهي عام

نظام الحياة في الكون نظام تكامل وتربية وكلّ الموجودات الحيّة تطوي مسية تكاملها حتّى الأشجار تعبّر عن قابليّاتها الكامنة بالأثمار، من هنا لابدّ أن نعلم أنّه ليس البلاء والإمتحان وليد هذا العصر أو ذاك، بل هو قديم بقدم الدّهر. إبتداءاً منذ أن خلق الله آدم وخلق الخلق، بل منذ عالم الذرّ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا

١ـ تفسير الأمثل، ج ١، ص٤٤٢.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[١].

إذن الإختبار والإمتحان على الإنسان يوم كان في عالم الذرّ، وعرض عليهم الإيمان بالله ورسوله وولاية أهل البيت عليهم السلام؛ فمن كانت طينته طيّبة قُبل، ومن كانت خبيثة رُفض، وإنّما الدّنيا فرصة ثانية وساحة أُخرى للإختبار منحها الله لعباده، ورحمه بهم لكي يؤمنوا ويعودوا إليه.

ثمّ تدرّج البلاء فاختبر إبليس بعد ما عَبَدَالله سنين فأكرمه الله وجعله في صفوف الملائكة، ولكن امتحنه بالسّجود لآدم فأبى واستكبر فاستحقّ اللّعنة، لمّا خلق الله آدم قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[٢].

ثمّ امتحن أبونا آدم: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

١ـ سورة الأعراف، آية ١٧٢.

٢ـ سورة الحجر، الآيات ٢٩ـ ٣١.

٣ـ سورة البقرة، آية ٣٥.

ونوح عليه السلام ابتُلي بقومه، وسمّي نوح لكثرة نوحه ونياحته على قومه، حتّى شكا الله الغم، فأمره أن يأكل العنب الأسود فإنّه يذهب بالغم.

إبراهيم عليه السلام ابتُلي بذبح ولده، أيّوب عليه السلام بالمرض، ونبيّنا ابتُلي بقومه حتّى قال: «**ما أُوذي نبيٌّ مثل ما أُوذيتُ**»، وكذلك الأئمّة الأطهار.

ثمّ إنّ البلاء لم يكن مقتصراً على فئة من فئات خلق الله، بل إنّما هو شامل حتّى الجنّ، كما ابتلي إبليس وجميع البشر، رجال، نساء معصوم وغير معصوم، بل شمل حتّى الحيوانات منذ اللّحظة الأولى عند ولادتها، يولد الخطور والبلاء معها، فلمّا تنظر إلى أُنثى الغزال ما أن يقع وليدها الأرض تراه يعدو خلفها بعد لحظات ودقائق، ولمّا نسأل علماء الحيوان يقولون: لأنّه أحسّ بالخطر والخوف، حتّى الطيور، الإمام الصّادق عليه السلام يقول: «**ما من طير يصاد إلّا بتركه التّسبيح**»[1].

حتّى النّبات قد يتعرّض للبلاء عندما يقطع الماء، أو ألاسماء والأملاح عنه فتراه يصفر ويموت.

موقف النّاس من الإبتلاء

عادة النّاس يكرهون البلاء ويخشونه، ويتهرّبون من كلّ عمل ويحسّون

١ـ خصائص المفيد.

فيه خطراً على مصالحهم، ويفرّون من كلّ شيء يحتمل فيه بلاء، أو يُشتمّ منه رائحته، وذلك لأنّ البشر بطبيعتهم يميلون إلى الراحة عوضاً عن التّعب، ولذلك بعض النّاس إذا أصابهم خير ونعمة وسراء إعترفوا بكرم ربّهم وفضله، وإن أصابتهم ضرّاء وشدّة كفروا بالله واتّهموا ربّهم كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾[1].

أمّا المؤمن فينظر إلى جميع الأمور بمنظار رضا الله وسخطه، فلو كان رضا الله من البلاء والمشقّة فضّله على الرّاحة والأنس، وهكذا العكس، فأبرز علامات المؤمن كثرة البلاء، فهو قرينه وديدنه الذي لا ينفكّ عنه بحال من الأحوال، بل يستفاد من الروايات أنّه:

لايكون المؤمن مؤمناً حتّى يبتلى فيصبر عليه، لأنّ حقيقة الإيمان هو إنتصار قوى الخير في داخله على قوى الشر، أي الوقوف بجانب العقل ضدّ الشهوة والهوى وهذا بحدّ ذاته، بلاء ومعاناة وأمر صعب محفوف بالمكاره.

قال الصّادق عليه السلام: «**إنّ أهل الحقّ لم يزالوا منذ كانوا في شدّة،**

١ـ سورة الفجر، الآيتان ١٥ و١٦.

أمّا إنّ ذلك إلى مدّه قليلة وعافية طويلة»[١].

وهذا مصداق كلمة الإمام على أنّه ما ترك له الحقّ من صديق، فالإيمان إذاً يعني البلاء.

قال الصّادق عليه السلام: «**المؤمن لا يمضي عليه أربعون ليلة إلّا عُرض له أمرٌ يحزنه يُذكّر به**».

وعنه عليه السلام: ما كان ولا يكون وليس بكائن مؤمن إلّا وله جارٌ يؤذيه، ولو أنّ مؤمناً في جزيرة من جزائر البحر لابتعث الله له من يؤذيه[٢].

إذن ـ البلاء يلزم المؤمن كلزوم اللّيل والنّهار، بل بعض الروايات كراهة انقطاعه عنه، بل فيه سخط الله عليها.

قال الصّادق عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنّي لأكره للرجل يعافى في الدنيا فلا يصيبه من المصائب.

عوامل النجاح في الإمتحان

هنا يتعرّض الإنسان لاستفهام آخر، وهو أنّه إذا كان القرار أن يتعرّض جميع أفراد البشر للامتحان الإلهي فما هو السبيل لإحراز النجاح والتوفيق

١ـ أُصول الكافي.

٢ـ أُصول الكافي.

في هذا الإمتحان؟ القرآن يعرض هذه السبل في القسم الأخير من آية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾[1] وفي آياتٍ أُخرى.

١ـ أهمّ عامل للإنتصار أشارت إليه الآية بعبارة: ﴿وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ﴾، فالآية تبشّر بالنجاح أولئك الصابرين المقاومين، ومؤكّدة أنّ الصبر رمز الإنتصار.

٢ـ الإلتفات إلى أنّ نكبات الحياة ومشاكلها مهما كانت شديدة وقاسية فهي مؤقّتة وعابرة وهذا الإدراك يجعل كلّ المشاكل والصعاب عرضاً عابراً وسحابة صيف، وهذا المعنى تضمّنته عبارة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

«كلمة الاسترجاع» هذه خلاصة كلّ دروس التوحيد، والإنقطاع إلى الله، والإعتماد على ذاته المقدّسة في كلّ شيء وفي كلّ زمان. وأولياء الله ينطلقون من هذا التعليم القرآني، فيسترجعون لدى المصائب كي لا تهزمهم

١ـ سورة البقرة، الآيات ١٥٥ـ ١٥٧.

الشدائد، وكي يجتازوا مرحلة الإختيار بسلام في ظلّ الإيمان بمالكيّة الله والرجوع إليه.

قال أمير المؤمنين عليعليه السلام في تفسير الإسترجاع: «**إنّ قولنا: إنّا لله إقرار على أنفسنا بالملك، وقولنا: إنّا إليه راجعون إقرارٌ على أنفسنا بالهُلك**»[1].

٣ـ الإستمداد من قوّة الإيمان والألطاف الإلهية عامل مهم آخر في اجتياز والإختيار دون اضطراب وقلق وفقدان للتوازن. فالسائرون على طريق الله يتقدمون بخطوات ثابتة وقلوب مطمئنّة لوضوح النهج والهدف لديهم. وترافقهم الهداية الإلهية في اختيار الطريق الصحيح، يقول سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[2].

٤ـ التدقيق في تأريخ الأسلاف، وإمعان النظر في مواقفهم من الإختبارات الإلهيّة، عامل مؤثّر في إعداد الإنسان لاجتياز الإمتحان الإلهي بنجاح.

لو عرف الإنسان بأنّ ما أُصيب به ليس حالة شاذّة، وإنّما هو قانون عام شامل لكلّ الأفراد والجماعات، لهان الخطب عليه، ولتفهم الحالة بوعي،

١ـ نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٩٩.

٢ـ سورة العنكبوت، آية٦٩.

ولاجتاز المرحلة بمقاومة وثبات. ولذلك يثبّت الله سبحانه على قلب نبيّه والمؤمنين باستعراض تأريخ الماضين، وما واجهه الأنبياء، والفئات المؤمنة من محن ومصائب خلال مراحل دعوتهم، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[2].

٥ـ الإلتفات إلى حقيقة علم الله سبحانه بكلّ مجريات الأمور، عامل آخر في التثبيت وزيادة المقاومة.

المتسابقون في ساحة اللعب يشعرون بالإرتياح حينما يعلمون أنّهم في معرض أنظار أصدقائهم من المتفرّجين، ويندفعون بقوّة أكثر في تحمّل الصعاب.

إذا كان تأثير وجود الأصدقاء كذلك، فما بالك بتأثير استشعار رؤية الله لما يجري على الإنسان وهو على ساحة الجهاد والمحنة؟! ما أعظم القوّة التي يمنحها هذا الاستشعار لمواصلة طريق الجهاد وتحمّل مشاقّ المحنة!

حين واجه نوح عليه السلام أعظم المصائب والضغوط من قومه وهو يصنع

١ـ سورة الأنعام، آية ١٠.

٢ـ سورة الأنعام، آية ٣٤.

الفلك، وجاءه نداء التثبيت الإلهي ليقول له: ﴿وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[1].

وعبارة «بأعيننا» كان لها ـ دون شك ـ وقع عظيم في نفس هذا النبي الكريم، فاستقام وواصل عمله حتّى المرحلة النهائية دون الإلتفات إلى تقريع الأعداء واستهزائهم.

وبين أتباع مدرسة الأنبياء نماذج رائعة للصابرين المحتسبين، كلّ واحد منهم قدوة على ساحة الإمتحان الإلهي.

فقد روي أنّ أُمّ عقيل كانت امرأة في البادية فنزل عليها ضيفان وكان ولدها عقيل مع الإبل، فأُخبرت بأنّه ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر فهلك. فقالت المرأة للنّاعي إنزل واقض ذِمام القوم ودفعت إليه كبشاً فذبحه وأصلحه وقرّب إلى القوم الطّعام فجعلوا يأكلون ويتعجّبون من صبرها.

قال الرّاوي: فلمّا فرغنا خرجت إلينا وقالت: يا قوم هل فيكم من يحسن من كتاب الله شيئاً؟

فقلت: نعم.

قالت: فاقرأ عليّ آياتٍ أتعزّى بها عن ولدي.

فقرأتُ: ﴿وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا

١ـ سورة هود، آية ٣٧.

﴿لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ـ إلى قوله ـ الْمُهْتَدُونَ﴾.

فقالت: السلام عليكم، ثمّ صفّت قدميها وصلّت ركعاتٍ ثمّ قالت: اللّهمّ إنّي فعلت ما أمرتني فأنجزلي ما وعدتني. ولو بقي أحدٌ لأحدٍ ـ قال: فقلتُ في نفسي: لبقي ابني لحاجتي إليه ـ فقالت: لبقي محمّدصلى الله عليه وآله لأمّته، فَخَرَجَتْ»[1].

الرضا بقضاء الله تعالى:

عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «**الصّبر والرّضا عن الله رأسُ طاعةِ الله، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحبّ أو كَرِهَ لم يَقضِ اللهُ عزّ وجلّ له فيما أحبّ أو كره إلّا ما هو خيرٌ له**»[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ: «**إنّ من عبادي المؤمنين عباداً لايصلح لهم أمر دينهم إلّا بالغنى**

١ـ تفسير الأمثل، ج١، ص٤٤٨.

٢ـ دلّ بحسب المفهوم على أنّ من لم يصبر ولم يرض قد يقضي الله عليه ما هو شرّ له فلابدّ من القول بأنّ المفهوم غير معتبر. أو القول بأنّ ما قضاه شرٌّ له لفقده أجر الصبر والرضا أو في نظره بخلاف الصابر والراضي فإنّه خيرٌ في نظرهما وفي الواقع. قال المجلسي رحمه الله: المراد أنّ الصبر والرضا وقعا موقعهما لأنّ المقضى عليه لا محالة خيرٌ له، اصول الكافي، ج ص٥٠.

والسّعة والصّحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن فيُصلح عليهم أمر دينهم.

وإنّ من عبادى المؤمنين لعباداً يصلح اهم أمرُ دينهم إلّا بالفاقة والمسكنة والسُّقم في أبدانِهم فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسُّقم فيُصلح عليهم أمر دينهم وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين.

وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رُقاده ولذيذ وساده فيتهجّد لي الليالي فتُتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنّعاس الليلة والليلتين نظراً منّي له وإبقاء عليه، فينام حتّى يُصبح فيقوم وهو ماقتٌ لنفسه زارئٌ عليها ولو أخلّي بينه وبين ما يُريد من عبادتي لدخله العجب من ذلك فيصيّره العجب إلى الفتنة بأعماله.

فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه حتّى يظنّ أنّه قدفاق العابدين وجاز في عبادته حدّ التقصير، فيتباعد منّى عند ذلك وهو يظنّ أنّه يتقرب إلىّ، فلا يتّكل

العاملون على أعمالهم الّتى يعملونها لثوابي فإنّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأفنوا أعمارهم في عبادتي.

كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنهَ عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتى والنّعيم في جنّاتي ورفيع درجاتي العُلى في جواري ولكن فبرحمتى فليثقوا وبفضلي فليفرحوا وإلى حُسن الظنّ بي فليطمئنّوا فإنّ رحمتي عند ذلك تُداركهم، ومنّي يُبلّغهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإنّى أنا الله الرّحمن الرّحيم وبذلك تسمّيتُ»[1].

وقال أبو عبدالله عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: «عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلّا جعلته خيراً له، فليرضَ بقضائى وليصبر على بلائى وليشكر نعمائي أكتبه يا محمّد من الصدّيقين عندى».

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى بن عمران! ما خلقتُ خلقاً أحبُّ إلىّ من عبدي المؤمن فإنّي إنّما أبتليه لما هو خيرٌ له وأُعافيه لما

١ـ اصول الكافي، ج٢، ص٥٠.

هو خيرٌ وأزوي عنه ما هو شرٌّ له هو خيرٌ له وأنا أعلم بما يصلحُ عليه عبدي فليصبر على بلائى وليشكر نعمائي وليرضِ بقضائى أكتبه في الصّدّيقين عندي إذا عمل برضائي أطاع أمرى».

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «عجبتُ للمرء المسلم لايقضي الله عزّ وجلّ له قضاءً إلّا كان خيراً له وإن قُرِضَ بالمقاريض كان خيراً له وإن مَلِكَ مشارقَ الأرضِ ومغاربها كان خيراً لهُ».

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «أحقُّ خلقِ الله أن يُسلّم لما قضى الله عزّ وجلّ من عرف الله عزّ وجلّ[1]، ومن رضى بالقضاء أتى عليه القضاءُ وعَظَّمَ أجرهُ، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجرهُ».

أُسلّمُ لو جعلني الله جسراً الى جهنم ثم أدخلني فيها

وقيل لبعض العارفين: نلت غاية الرضا عنه؟ فقال: أمّا الغاية فلا، ولكن مقام من الرضا قد نلته، لو جعلني الله جسراً على جهنم تعبر الخلائق عليّ

١ـ اين من عرف الله حق معرفته فهذا حق ان يسلم ما قضاه الله عليه لان التسليم له تابع للمعرفة وكلما كانت المعرفه اكمل كان التسليم اولى واجدر.

إلى الجنة، ثم ملأ بي جهنم، لأحببت ذلك من حكمه، ورضيت به من قسمته[١].

وهذا كلام من علم أنّ الحبّ به استغرق همّه حتى منعه الإحساس بألم النار، واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه، لكنّه بعيد من الأحوال[٢] الضعيفة في هذا الزمان، ولا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم حال الأقوياء، ويظنّ أنّ ما هو عاجز عنه يعجز عنه غيره من الأولياء[٣].

قال: نلت من كلّ مقام حالاً إلّا الرضا بالقضاء، فما لي منه إلّا مشام الريح، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلّهم الجنة، وأدخلني النار كنت بذلك راضياً[٤].

وروي ان يونس قال الجبرئيل عليه السلام: دلّني على اعبد اهل الارض، فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه، وذهب ببصره وسمعه وهو يقول:

١ـ إحياء علوم الدين للغزالي: ٣٩٤/٤.

٢ـ في نسخة: «عن الأخطار».

٣ـ إحياء علوم الدين للغزالي: ٣٩٤/٤.

٤ـ في الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام: ٢٣٢: ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهل النار بحبي لك.

وفي إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ٢٩٧/٣: لئن أدخلتني النار أعلمت أهلها أنّي أحبّك.

الهي متعتيني بهما ماشئت وسلبتين ما شئت، وابقيت لي فيك الامل يا برّيا الوصول وروي ان عيسىعليه السلام مرّ برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بالفالج.

فقال عيسىعليه السلام: «**يا هذا واي شيء من البلاء اراه معروفا عنك**» فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له: «**صدقت هات يدك فنا وله يده فاذا هو احسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئه قد ذهب الله عنه ماكان به فصحب عيسى وتعبد معه**»[1].

ومن خبر عمران بن حصين - • - استسقى بطنه، فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة، لا يقوم ولا يقعد، وقد ثقب له في سريره موضع لقضاء الحاجة.

فدخل عليه أخوه العلا، فجعل يبكي لما يرى من حاله.

فقال: لم تبكي.

قال: لاني اراك على هذه الحاله العظيمة.

قال: لاتبك فان ما احبه الله احبّه ثم قال: احدّثك ولعلّ الله ينفعك به

١ـ احياء علوم الدين، ٣٤٩/٤.

واكتم عليّ حتى اموت: ان الملائكه لتزورني فأنس بها وتسلم عليّ فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس عقوبه او هو سبب لهذه النعمه فمن شاهد هذا في بلائه كيف لايكون راضيا به[١].

وروي عن بعضهم، وكان قاسى المرض ستين سنه، فلمّا اشتدّ عليه حاله دخل عليه بنوه فقالوا: أتريد ان تموت حتى تستريح مما أنت فيه؟

قال: لا. قالوا: فما تريد؟ قال: مالي إرادة، انما انا عبد، وللسيد الارادة في عبده، والحكم في امره.

وقيل: اشتد المرض بفتح الموصلي، واصابه مع مرضه الفقر والجهد فقال: الهي وسيدي ابتليتني بالمرض والفقر[٢] فهذا فعالك بالانبياء والمرسلين، فكيف لي وأن اؤدي شكر ما انعمت به عليّ.

وفاة أم البنين عليها السلام او شهادتها ومحل قبرها

أمّا مدفنها، فلا شكّ أنّه بالبقيع، لأنّها لم تخرج إلى أيّ بلد آخر بعد مقتل الحسين عليه السلام، فمدفنها بالمدينة وطبعاً بالبقيع. هذا بالنّسبة إلى الاعتبار والمعهود، وهو المشهور الآن.

١ـ مسكن الفؤاد ص ١٦٣ عن احياء علوم الدين، ٣٤٩/٤.

٢ـ مسكن الفؤاد عن احياء علوم الدين، فضيلة الجوع، ٨٣/٣

وأمّا التّصريح بدفنها فيه، فيأتي الآن في ما ينقله السيد مهدي السّويج من العلّامة قره باغي فانتظر.

وأمّا تاريخ وفاتها:

فنقل الأنصاري تحت هذا العنوان عن الخطيب مهدي السّويج أنه قال: سألت عدّة مرّات في أماكن متعدّدة عن تاريخ وفاة أم البنين عدداً من أهل الخبرة في ذلك (فلم أحصل على جواب شافٍ)، وذات يوم تناولت كتاباً... وكان قد علق في ذهني أنّ في الكتاب المذكور قصيدة في حديث الكساء، فناولته على حساب القصيدة... وإذاً بخبر وفاة أم البنين يأتي في تعقيب صاحب الكتاب على القصيدة.

والكتاب المشار إليه خطّي على ورق ترمّه قديم، ويرجع تاريخ خطّه إلى عام (١٣٢١هـ) واسمه «كنز المطالب» للعلّامة السيّد محمد باقر القره باغي الهمداني رحمه الله قال المصنّف رفع الله شأنه: وكان مدار حديث الكساء المبارك بيت فاطمة الزهراء عليها السلام.

وكانت وفاتها في الثّالث من جمادى الآخرة، وقد خلفتها في تربية الحسنين عليهما السلام أمامة بنت أُختها، ثم فاطمة أم البنين الكلابيّة، وقد توفّيت بعد مقتل الحسين عليه السلام ودفنت بالبقيع بالقرب من فاطمة الزّهراء.

ففي «الإختيارات» عن الأعمش قال: دخلت على الإمام زين

العابدين عليه السلام في الثّالث عشر من جمادى الآخرة وكان يوم جمعة، فدخل الفضل بن العبّاس عليه السلام وهو باك حزين وهو يقول: لقد ماتت جدّتي أمّ البنين[1].

يقول السالكي: ويظهر من هذا أنّ المخبر الباكي هو الفضل مع أن الفضل مات صغيراً وأن أهل السّير يقولون: أنّ إرث العباس، أُمّه، صار إلى عبيدالله بن العبّاس وأنّ نسله منه فقط.

فالصّحيح أنّه كان عبيدالله.

إلّا أن يقال: إنّ الفضل مات بعد هذا الخبر فبالنّتيجة انتقل الإرث إلى عبيدالله وهم كانوا ينظرون إلى النّتيجة.

أعني أنّ ارث العبّاس وصل إلى أُمّه وإلى أبنائه وإرث إخوة العبّاس وصل إلى أُمّه ثم ماتت أُمّه وورثها أبناء العبّاس ثم لم يبق من الأبناء إلّا عبيدالله، فورث هو كلّ المال فهو الوارث بعدهم.

ثم إنّه يفهم من كلمة «بعد مقتل الحسين عليه السلام» أنّ أم البنين ماتت بعد المقتل بلا فصل أعني في عام (٦١) من الهجرة كما أرّخ بعضهم تاريخ وفاتها بهذا التّاريخ.

١ـ أم البنين رمز التضحية والفداء للأنصاري: ٤٢ـ ٤٣ عن السّويج في كتابه «أم البنين سيدة نساء العرب»: ٨٦

إلّا أنه يأتي الآن نقل بأنّ وفاتها كانت في عام (٦٤).

نقل الأنصاري أيضاً عن السّويج أنّه قال:

ثم عثرت بعد ذلك بمدّة على خبر آخر في هامش «وقايع الشّهور والأيام» للبيرجندي، ونصّه ما يلي: وفيه ـ يقصد الثّالث عشر من جمادى الآخرة ـ توفّيت أم البنين الكلابيّة سنة (٦٤هـ) عن الأعمش[1].

يقول السالكي: كتاب البيرجندي ـ المطبوع منه ـ موجود عندي وهو الآن مفتوح أمامي، وليس في هذا المطبوع شيء من ذلك. نعم يمكن أن نقول: إنّ أحداً من المطالعين للكتاب ـ ولا نعرفه ـ أخذ ذلك المذكور من مصدر آخر فكتبه بخطّه على حاشية الكتاب في نسخة كانت عنده، ورآه الخطيب السّويج وليس هذا في كلّ نسخ الكتاب، أو كتبه المؤلّف على حاشية الكتاب في إحدى طبعاته.

وهذا النّقل وما قبله متّحدان في اليوم والشّهر إلّا أنّ في الأوّل لم يذكر السّنة ولكنّا استظهرنا وفاتها في سنة (٦١)، وفي الثّاني ذكرها وهي سنة (٦٤) والله العالم.

وقد استظهر آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي قدس سره في كتابه السيدة أم البنين عليها السلام احتمال دس السم اليها كما احتمل ذلك للسيد

١ـ الأنصاري في كتابه، ٤٣ عن السّويج في كتابه، ٨٦

زينب عليها السلام قال قدس سره: «لانعلم شيئاً عن سبب وفاة السيدة أم البنين عليها السلام مع العلم بأنها كانت تفضح بني امّيه الذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام.

وقد اسس معاوية جُند العسل وقتل به مالك الأشتر رضوان الله عليه وكثير من الابرياء بالسم... حتى صار عادة فيهم وفي العباسيين والعثمانيين من بعدهم فقد ورد في التاريخ انا هارون قتل السيد الادريسي به وهكذا قتل المأمون السيدة فاطمة المعصومة سلام الله عليها كما رايتهُ في احد التواريخ.

بل اصبح ذلك مما تعارف واعتاد عليه الطغاة، ... وقد شاهدنا في زماننا امثال صدام وهدام يقتلون الناس بالسم!... كما قتل صدام المرحوم الخطيب المعروف الشيخ عبد الزهراء الكعبي والسيد محمد الحيدري وغيرهما من الخطباء والعلماء بقهوة مسمومة اولبن مسموم او حنطة مسمومة او ماشابه ذلك»[1].

١ـ السيدة أم البنين عليها السلام للمرجع الديني المرحوم آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي قدس سره ص ٤٩.

وعلى كلام السيد الشيرازي يحتمل انها دُسَّ اليها السم لانها كانت تؤلب الناس ببكائها في البقيع على اولادها ضد بني امّية والبلاط الاموي كما حصل ذلك للسيده زينب عليها السلام وتهجيزها وابعادها الى الشام وفارقت الحياة هناك.

وكما كان ذلك أيضاً للزهراء عليها السلام وبكائها على ابيها حتى كسروا ضلعها واسقطوا جنينها وقتلوها شهيدة عليها السلام فليس من المستبعد ان أم البنين عليها السلام والتي كان يجتمع الناس عليها في البقيع ويبكون لبكائها ان يدس الاعداء من بني امية اليها السم عليها السلام.

اللحظات الاخيرة عند احتضارها عليها السلام

وبقيت أم البنين لابسة السواد معصبة الراس ناحلة الجسم ظاهرة الحزن على ما جرى على الحسين عليه السلام، وتنعي أولادها وتتمنى حضور الزهراء عليها السلام في واقعة الطف ولسان الحال يقول:

وينج يزهرا ما حضرت يوم الطفوف يوم استدارت حول ابنج ذيج الصفوف

ويا ليت لمن خرمرمى عينج تشوف وجاه الشمر وعيونه إلى نسوته تدور

* * *

تسنم على صدره وكاس الذبح يسقيه كبه على الرمضى يزهرا وما حضرتيه

قالت حضرته لكن أنا شيدي عليه وانساني مصاب الولد ضلعي المكسور

أين المعزين لفقد أم البنين عليها السلام ينادون واسيدتاه نعم تدهورت حالة أم البنين عليها السلام وبقيت على فراش علتها وكن بنات أمير المؤمنين • يمرضنها إلى أن دنت منها المنيه وهي تنظر يميناً شمالاً كأنها تريد أن توصي أولادها ولكن أين أولادها يا شيعة كلهم مجزرين بلا غسل ولا كفن في أرض كربلا.

ولذلك عرق جبينها وسكن أنينها واستقبلت القبلة وأسبلت يديها ومدّت رجليها وغمضت عينيها ثم شهادت الشهادتين وهي تنادي وا حسينا وا حسينا إلى أن فارقت روحها الدنيا فرحم الله مَن قال وفاطمتاه واسيدتاه يا أم البنين فضجت أهل المدينة بالبكاء والنحيب وكل ينادي وا فاطماه واسيدتاه.

مدت نظرها للي يمها من النساوين وقالت وداع الله وماتت أم البنين

دارت على أم البنين الحرم بالنوح وبالمغتسل مدوا جسمها مهجة الروح

وقامت تغسلها الحرم والدمع مسفوح والجسد يتقلب بأيادي الحور العين

* * *

وتقدم السجاد والباقر إليها والكرام من آل انبي صلوا عليها

ولمسجد الهادي الجنازة وصلوا بيها يعزون فيها الطاهره خير النبيين

* * *

ولأرض البقيع حملوا نعش أم الأماجيد والنسا تتعاطى النعش من أيد لا أيد
والكل يجذب حسرته والدمع تبديد ومن الصوايح والبجا ارتجت الكونين

* * *

وللقبر لمن وصلوا تأخرت الرجال وشالت جنازتها الودايع من الشبال
وبالقبر حطوا أم البنين بدمع همال وقبل الدفن خرت تودعها النساوين

* * *

الى ان قضت بالسم صبراً وما قضى كريمٌ لهم الابسم وصارم
وبين سميم قد سرى في عضامه من السم قتالٌ بغير قتال

المجلس العاشر

حول موضوع أرض فدك

وأتَت فاطِمٌ تُطالب بالإر ... ثِ من المصطفى فما ورّثاها
ليتَ شعري لِم خُولفَت سننُ القرآن ... فيها واللهُ قد أبداها
نُسخت آية المواريثِ فيها ... أم هما بعدَ فَرضِها بدّلاها
أم تَرى آيةَ المودّةِ لَم تَأ ... تِ بوُدِّ الزهراءِ في قُرباها
سَل بِإبطالِ قولهم سورةَ النَّمـ ... ـلِ وَسَل مريمَ التي قبلَ طاها
فهما يُنبئانِ عن ارثِ يحيى ... وسليمانَ مَن أرادَ انتباها
فدعت واشتَكت إلى الله مِن ذا ... كَ وفاضت بدمعها مُقلتاها
جَرّعاها من بعدِ والدِها الغيـ ... ـضَ مراراً فبئسَ ما جرّعاها
بنتُ مَن أُمّ مَن حليلةُ مَن ... ويلَ لمَن سَنَّ ظُلمَها وأذاها
شيَّعت نعشَها ملائكةُ الرحمن ... رفقاً بها وما شيَّعاها
كان زُهداً في أجرِها أم عِناداً ... لأبيها النبيِّ فلَم يتبعاها

أم لأنَّ البتولَ أوصَت بِأن لا يَشهدا دفنها فما شهداها[1]

آمر على عبده ضربني ومن ضربته للگاع ذبني
لنكسر گلبه ولا رحمني ومن الناس ما واحد حشمني

١ـ القصيدة لأحد أشراف مكة: قتادة بن إدريس بن مطاعن الحَسني.

المجلس العاشر

حول موضوع أرض فدك

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه الذي كتبه إلى عثمانَ بن حنيف الأنصاري عامِله على البصرة متعرضاً فيها إلى مسئلة فدك:

«... بَلَى كَانَت فِي أَيدِينَا فَدَكُ مِن كُلِّ مَا أَظَلَّتهُ السَّمَاءُ فَشَحَّت عَلَيهَا نُفُوسُ قَومٍ وَسَخَت عَنهَا نُفُوسُ قَومٍ آخَرِينَ. وَنِعمَ الحَكَمُ اللهُ وَمَا أَصنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيرِ فَدَكٍ وَالنَّفسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنقَطِعُ فِي ظُلمَتِهِ آثَارُهَا وَتَغِيبُ أَخبَارُهَا وَحُفرَةٌ لَو زِيدَ فِي فُسحَتِهَا وَأَوسَعَت يَدَا حَافِرِهَا لَأَضغَطَهَا الحَجَرُ وَالمَدَرُ وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ المُتَرَاكِمُ وَإِنَّمَا هِيَ نَفسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقوَى لِتَأتِيَ

آمِنَةً يَومَ الخَوفِ الأَكبَرِ»[1].

في هذه الرسالة المفصلة إلى عثمان بن حُنيف يتطرّق الامام عليه السلام إلى مواضيع مختَلِفةٍ، فمنها أنه يُعاتب عثمان بن حنيف على مشاركته في مائدة دسمة دُعي إليها الأغنياء ومُنع عنها الفقراء، كما أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله: «وَمَا ظَنَنتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَومٍ عَائِلُهُم مَجفُوٌّ وَغَنِيُّهُم مَدعُوٌّ».

فالإمام عليه السلام يؤنّبه على تلبيته لتلك الدعوة، وذلك لأنه سفير الإمام عليه السلام، وممثله ووالِيه وعليه أن ينتهج سيرة الإمام عليه السلام.

ثم يتطرق الإمام عليه السلام إلى مسئله ارض فدك بقوله: «بَلَى كَانَت فِي أَيدِينَا فَدَكٌ...».

وحديثنا في هذا المجلس حول فدك وما يتعلق بها.

ماهي أرض فدك؟

عندما نراجع التاريخ نجد أن فدك كانت قرية زراعية تقع خارج المدينة.

وفي المصباح: فدك بلدة بينها وبين مدينة النبي صلى الله عليه وآله يومان وبينها وبين

١ـ نهج البلاغة (للشيخ محمد عبده) ٣: ٧٠.

خيبر دون مرحلة وهي مما افآء الله على رسولهﷺ. وقد صالح اليهود عليها رسول اللهﷺ بغير قتال فهي ممّا يعبّر عنها القرآن الكريم: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[1]. فالأراضي التي لم يُوجب عليها بخيل ولا ركاب أي لم يقاتل عليها المسلمون، تكون ملكاً طلقاً لرسول اللهﷺ لا يشترك بها أحد من المسلمين.

وفي معجم البلدان للحموي: هي مما أفاء الله على رسولهﷺ في سنة سبع صُلحاً وذلك أن النبيﷺ لمّا نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلّا ثلاثة، واشتدّ بهم الحصار ارسلوا إلى رسول اللهﷺ يسألونه أن ينزلهم على الجلاء[2].

فارسلوا إلى النبيﷺ أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك فهو مما لم يوجف عليه بِخَيل ولا ركاب فصارت خالصة لرسول اللهﷺ.

فصارت فدك ملكاً طلقاً لرسول اللهﷺ.

نعم دخل الخوف والرعب في قلوب اليهود فجاؤوا وقدموا هذه الأرض هدية للنبيﷺ، ولكن تعال وانظر اليوم إلى حال المسلمين حيث

١ـ الحشر، آية٦.

٢ـ الخروج من مكانهم.

تركوا ما أمرهم النبيﷺ من اتّباع اهل بيته واتّبعوا فلاناً وفلاناً نجد اليهود الذين خافوا من رسول الله آنذاك نجدهم اليوم يتلاعبون بمصير الأُمة ويسفكون دماءهم ويبتزّون أموالهم وذخائرهم ولا يتوانون عن الكيد بمقدرات المسلمين وبدمائهم واموالهم وكل شيء.

المسلمين الذين كانوا في عز وقوة وفي غرّة القافلة اليوم اصبحوا في ضعف وصاروا في ذيل القافلة والسبب هو عدم العمل بما أمرهم النبيﷺ حيث قال لهم:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهلَ بيتي ما ان تمسّكتم بهما لن تَضلوا بعدي أبدا». حيث انهم تركوا أهل البيت ذلو.

فعلى أي حال كانت فدك من مصاديق هذه الآية الكريمة: **﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾**[1].

١ـ الحشر، الآيات٦ـ ٧.

أرض فدك ملك للزهراء عليها السلام:

فانطلاقاً من الحكم الشرعي السماوي الذي مرّ اصبحت أرض فدك ملكاً للرسول صلى الله عليه وآله ثم وردت الروايات فيما ترويه الشيعة والسنة من انه لما نزلت آية: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ دعى النبي صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة ومنحها فدكاً نحلة يعني هِبة.

روي عن أبي سعيد الخدري وغيره انه لمّا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله اعطى فاطمة فدكاً وسلّمه إليها وهو المروي عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام وهو المشهور بين جميع علماء الشيعة. وقد ذكر علماء السنة ذلك بطرق متعددة منها:

عن كنز العمال عن سعيد الخُدري قال: لمّا نزلت ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله: «**يا فاطمة لك فدك**».

قال: رواه الحاكم في تاريخه وفي تفسير الدر المنثور للسيوطي[1] في تفسير الآية قال: اقطع رسول الله فاطمة فدكاً.

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج لمّا نزلت الآية، دعى

١ـ تفسير الدر المنثور، ٤:١٧٧.

النبي صلى الله عليه وآله فاطمة فاعطاها فدكاً[١].

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله أشهد على ذلك علياً والحسن والحسين وأم ايمن.

وممّا لاشك فيه ان السيدة فاطمة عليها السلام ليست من طلّاب الدنيا ولكن المسألة ترمز إلى امر مُهم، بالاضافة إلى أنه لون من الجزاء الماديّ والمقابلة لمواقف أُمها خديجة لما بذلته في سبيل الإسلام وفي سبيل الرسالة الإسلامية.

وقد روى العلامة المجلسي عن كتاب الخرائج:

لمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة وبعد استيلائه على فدك دخل على فاطمة عليها السلام فقال: «**يا بنية ان الله قد أفاء على أبيك بفدك، واختصّه بها فهي له خاصة دون المسلمين، افعل بها ما أشاء وانه قد كان لأمّك خديجة على أبيك مهر، وان أباك قد جعلها لك بذلك وأنحلها لك ولولدك بعدك**».

قال: فدعا باديم ودعا بعلي بن أبي طالب فقال: «**اكتب لفاطمة بفدك نحلة من رسول الله**» فشهد على ذلك علي بن أبي طالب ومولىً لرسول

١ـ فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد (للعلامة المرحوم السيد محمد كاظم القزويني قدس سره): ٢٧٧ بتصرف.

الله وأم ايمن.

ففدك منذ ذلك اليوم أصبحت بيد فاطمة عليها السلام وكان عُمّالها يشتغلون في فدك وقد كان لها واردات كثيرة جداً والبعض يقدرها بـ (٢٤) ألف دينار، وفي رواية أُخرى بسبعين ألف دينار، ولعلّ هذا الاختلاف في واردها بسبب اختلاف السنين[1]، كانت الصدّيقة فاطمة عليها السلام تصرفها على الفقراء والمساكين ولا يبقى له شيء.

تاريخ أرض فدك:

لقد ذكرنا آنفاً أنه في السنة السابعة صالح اليهود النبي صلى الله عليه وآله على أرض فدك، وبعد نزول الآية صارت ملكاً للزهراء عليها السلام واستمرَّ ذلك إلى وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فلما توفي النبي صلى الله عليه وآله تلاقفت الايدي هذه الأرض الزراعية واستولى ابو بكر على منصّة الحكم وبعد عشرة أيام بعث إلى فدك من اخرج وكيل فاطمة وعُمّالها.

وإلى هذا يشير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف حيث يقول: «**فَشَحَّت عَلَيهَا نُفُوسُ قَومٍ وَسَخَت عَنهَا نُفُوسُ**

١ـ فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد (للعلامة المرحوم السيد محمد كاظم القزويني قدس سره)، بتصرف.

قَومٍ آخَرِينَ وَنِعمَ الحَكَمُ اللهُ» يعني ان بعض الحكام بخلو بفدك علينا واخذوها وغصبوها عنّا.

واستمر التلاعب والتلاقف لانه بعد مضي أبي بكر أُرجعت ثم في حكومة عثمان غُصبت واعطيت لمروان بن الحكم ووُزّعت على الأمويين وفي خلافة الإمام رجعت إلى أهل البيت.

وهكذا استمرَّ الأمويُّون في غصبها، إلى أن جاء دور عمر بن عبدالعزيز فأرجعها إلى أهل البيت عليهم السلام ثم من بعده غصبوها، إلى أن وصل الدور إلى المأمون العباسي فأرجعها إلى أهل البيت عليهم السلام وإلى الهاشميين، وإلى هذا أشار دعبل الخزاعي فقال:

أصبح وجه الزمان قد ضحِكا بردّ مأمونَ هاشماً فدكا

وبعد المأمون أيضاً سلبوا فدك، إلى أيام المتوكل العباسي فكانت فدك في زمانه صغيرة فيها نخيلات وكان العلويّون يعيشون في ظروف اقتصادية صعبة جداً حتى ذُكر أن عدّة علويات لم يملكن سوى ثوب واحد وكنّ يتبادلن لأداء فريضة الصلاة.

وكان لبعض العلويين إشرافاً مؤقتاً على فدك يأخذ من ثمار هذه المزرعة من الرطب والتمر ويقدّمه كهدية للحجاج والحجاج جزاءاً على هذه الهدية كانوا يقدمون بعض الأموال وبعض الهدايا للعلويّين.

فعرف المتوكل العباسي أن العلويين يعيشون على فدك فأرسل رجلاً يدعى عبدالله بن البازيار وامره بان يقطع هذه النخيل، وقد نفذ ما أُمر من قطعها، ويقال ان عبدالله بن البازيار لمّا رجع إلى البصرة شُلّ ثم مات، عليه لعنة الله.

وآخر توثيق للتاريخ عن فدك وتاريخها هي زمن المتوكل العباسي.

مطالبة حقها عليها السلام من السلطة الغاصبة:

ما هو موقف الزهراء عليها السلام قُبال حقها وهو الحق الشرعي بنصّ القرآن الكريم كما مر؟ وماذا عملت تجاه السلطات الغاصبة؟

فمع غض النظر عن دوافع القوم في غصبهم فدك وله بحث في محلّه، فانّ الزهراء عليها السلام اكتسحت الميدان ونزلت إلى الساحة وطالبت بحقها لانه من الطبيعي لصاحب الحق الشرعي ان يطالب بحقه بأي طريق ممكن ومشروع، فأول خطوة خطتها في مطالبتها بفدك طالبت بها من باب النحلة.

قال الحلبي: ان فاطمة أتت أبابكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: «**إن فدكاً نحلة أبي، أعطانيها حال حياته**». وأنكر عليها أبوبكر وقال: أُريد بذلك شهوداً فشهد لها علي، فطلب شاهداً آخر فشهدت لها أُم أيمن فقال

لها: أبرجُل وامرأة تستحقّينها[1]؟

وذكر الطبرسي في الاحتجاج: فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر ثم قالت: «**لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله؟ وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى؟**».

فقال: هاتي على ذلك بشهود، فجاءت أُم أيمن فقالت: لا أشهد يا أبابكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنشدك بالله ألست تعلم أن رسول الله قال: أُم أيمن امرأة من أهل الجنة؟

فقال: بلى.

قالت: فاشهد أن الله ـ عزّ وجلّ ـ أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ فجعل فدك لها طعمة بأمر الله تعالى.

فجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتاباً ودفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟

فقال: ان فاطمة ادّعت في فدك وشهدت لها أُم أيمن وعلي، فكتبته لها.

فأخذ عمر الكتاب من فاطمة، فتفل فيه فمزّقه، فخرجت فاطمة عليها السلام تبكي.

وفي سيرة الحلبي[1] أن عمر أخذ الكتاب فشقّه.

١ـ السيرة (للحلبي) ٣: ٣٩.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام ان السيدة فاطمة عليها السلام جاءت إلى أبي بكر - بأمر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - وقالت له: «**ادّعيت مجلس أبي وانك خليفته، وجلست مجلسه، ولو كانت فدك لك واستوهبتها منك لوجب عليك ردّها عليّ**».

فقال: صدقت.

ودعا بكتاب فكتب فيه بارجاع فدك، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك؟

قالت: «**كتاب كتب لي أبوبكر بردّ فدك**».

فقال: هلمّيه إليّ.

فأبت ان تدفعه إليه، فرفسها برجله... ثم لطمها، ثم أخذ الكتاب فخرقه[٢].

فقالت: «**بقرتَ كتابي بَقر الله بطنك**»[٣].

١ـ السيرة (للحلبي) ٣:٣٩١.

٢ـ الاختصاص (للشيخ المفيد)، الشافي (للسيد المرتضى): ٢٣٦، تلخيص الشافي (للطوسي): ٤٨، وذكر ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ١:٢٦٨، والذهبي في ميزان الاعتدال ١:١٣٩: إن عمر رفس فاطمة...

٣ـ وفاة الصديقة الزهراء (للمقرّم): ٧٨.

حوار بين الإمام علي وأبي بكر:

نعود إلى ذكره الطبرسي قال: فلما كان بعد ذلك جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبابكر لِمَ منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ملكته في حياة رسول الله؟

فقال أبوبكر: هذا فيء للمسلمين، فان أقامت شهوداً أن رسول الله جعله لها، وإلّا فلا حقّ لها فيه!

فقال علي عليه السلام: «**يا أبابكر تحكم بيننا بخلاف حكم الله في المسلمين؟**».

قال: لا.

قال عليه السلام: «**فان كان في يد المسلمين شيء يملكونه فادّعيت أنا فيه من تسأل البينة؟**».

قال: إياك أسأل.

قال عليه السلام: «**فما بال فاطمة سألتها البيّنة على ما في يديها، وقد ملكته في حياة رسول الله وبعده، ولم تسأل المسلمين البيّنة على ما ادّعوها شهوداً كما سألتني على ما ادّعيت عليهم؟**».

فسكت أبوبكر فقال: يا علي دعنا من كلامك، فانّا لا نقوى على

حجتك، فان أتيت بشهود عدول، وإلّا فهي فيء للمسلمين، لا حقّ لك ولا لفاطمة فيه!

فقال علي عليه السلام: «يا أبابكر تقرأ كتاب الله؟».

قال: نعم.

قال: «اخبرني عن قول الله ـ عزّ وجل ـ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟».

قال: بل فيكم!

قال: «فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بفاحشة ماكنت صانعاً بها؟».

قال: كنت أُقيم عليها الحد كما أُقيم على نساء المسلمين!

قال علي عليه السلام: «كنت إذن عندالله من الكافرين».

قال: ولِمَ؟

قال: «لأنك رددت شهادة الله بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها».

١ـ سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

كما رددت حكم الله وحكم رسوله أن جعل لها فدك وزعمت انها فيء للمسلمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**البينة على المدعي، واليمين على مَن ادُّعي عليه او على مَن انكر**».

قال: فدمدم الناس، وانكر بعضهم بعضاً وقالوا: صدق ـ والله ـ علي عليه السلام.

ثم ما معنى مطالبة البيّنة والشهود من الزهراء عليها السلام؟

ترى هل يستطيع مسلم على وجه الأرض منذ أن جاء الإسلام وإلى هذا اليوم أن ينسب الكذب إلى فاطمة الزهراء والعياذ بالله؟! وهل يمكن أن تطالب ما ليس بحقها؟

هل يستطيع مسلم ويتجرأ بذلك في حين ان رسول الله قال: «**فاطمة عليها السلام يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها؟**» فمن العبث ان يطالبوا الزهراء عليها السلام بالبينة، ولكن الذي بيده القوّة ظلماً يصنع ما يشاء.

ذكر ابن أبي الحديد في شرحه قال: سألت علي بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبوبكر فدكاً وهي عنده صادقة؟ فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته قال: لو أعطاها اليوم فدكاً، بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخِلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار، والموافقة بشيء، لانه يكون قد سجل على نفسه بانها

صادقة فيما تدّعي، كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة وشهود.

لما رأت الصدّيقة فاطمة عليها السلام ان القوم ابطلوا شهودها الذي شهدوا لها بالنحلة ولم تنجح مساعيها سراً، سلكت طريقاً آخر للمطالبة بفدك، فجاءت تطالب بحقها علناً وعن طريق الإرث وهي تعلم ان السلطة لا تخضع للدليل الواضح والبرهان القاطع.

فإذا لم تكن فدك نحلة وكذبتم الدعوى، فإن هناك مسألة أُخرى وهي انكم تقولون ان فدك كانت بيد الرسول صلى الله عليه وآله والرسول ليس بدعاً عن بقية البشر، الرسول يورث اقاربه وانا وريثة الرسول، أنا بنت النبي صلى الله عليه وآله فجاءت بشكل علني وخطبت تلك الخطبة الخالدة التي هزت عرش أبي بكر.

وإليك خطبتها في المسجد.

روى عبدالله بن الحسن باسناده عن آبائه، أنه لما أجمع أبوبكر على منع فاطمة فدك، وبلغها ذلك. لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها[1]، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها مُلاءة[2].

١ـ كناية عن شدة التستر.

٢ـ نيطت: علّقت والملاءة: الإزار والثوب.

فجلست ثم أنّت أنّة أجهش القوم بالبكاء فارتجّ المجلس ثم أمهلت هُنَيْئَةً حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم. افتتحت الكلام بحمدالله والثناء عليه والصلاة على رسول الله.

ثمّ قالت:

«الحمدُ لله عَلَى مَا أَنعَم، وَلَهُ الشُكرُ عَلَى مَا أَلهَم، وَالثَّناء بِما قَدَّم مِن عُمومِ نِعَمٍ ابتَداها، وَسُبوغِ آلاء أَسداها، وَتَمامُ مِننٍ أَولاها.

جَمَّ عَنِ الإِحصاءِ عَدَدُها، وَنَأى عَنِ الجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَن الإِدراكِ أَبَدُها، وَنَدَبهم لاستزادَتها بِالشُكرِ لاتصالها، وَاستَحمَدَ إلى الخَلائقِ بِاجزالِها، وَثَنى بِالندبِ إلى أمثالها.

وَأَشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَه كَلِمةٌ جعلَ الإخلاصَ تأويلَها، وَضَمنَ القُلوبَ مَوصولَها، وَأَنارَ فِي التفكّر مَعقولها.

المُمتَنعُ مِنَ الأبصارِ رُؤيتُهُ، وَمِنَ الألسنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأوهامِ كَيفيَّتُهُ.

اِبتدعَ الأَشياء لا مِن شَيء كانَ قَبلَها، وَأَنشأها بلا اِحتذاء أَمثِلة امتثلَها، كَوَّنها بِقُدرَته، وَذرأها بِمشيئَته، مِن غَير حاجَةٍ مِنه إلى تَكوينَها، وَلا فائدةٍ لَهُ فِي تَصويرها، إلّا تَثبيتاً لِحكمَتِه، وَتنبيهاً عَلى طاعَته، وَإظهاراً لِقُدرَته، وَتَعبُّداً لِبريّته، وَإعزازاً لِدَعوَته.

ثُمَّ جَعلَ الثّوابَ عَلى طَاعَتِهِ، وَوَضعَ العِقابَ عَلى مَعصيتِه، ذَيادَةً لعبادِهِ مِن نِقمَته، وَحَياشَةً[1] لَهُم إلى جَنَّتِهِ.

وَأَشهَدُ أَنَّ أَبي مُحمداً عَبدُه وَرَسوله، اختارَه قَبلَ أَن أَرسَلَهُ وَسمّاه قَبلَ أَن اجتباهُ، وَاصطفاهُ قَبلَ اَن ابتعَثَه، إذ الخلائقُ بِالغَيبِ مَكنونة، وَبِسترِ الأَهاويلِ مَصونَة، وَبِنَهايَةِ العَدَمِ مَقرونة، عِلماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيلِ الأُمور، وَإحاطةِ بِحوادثِ الدُّهور، وَمَعرفةٍ مِنه بِمواقعِ المَقدور.

اِبتعَثَهُ اللهَ إتماماً لأَمره، وَعزيمةً عَلى إمضاءِ حُكمِه، وَإنفاذاً لمقاديرِ حَتمِه، فَرأى الأُممَ فرقاً فِي أَديانها. عُكفاً عَلى نيرانِها، عابدة لأوثانها، مُنكِرةً للهِ مَعَ عِرفانها.

١ـ حاش حياشة أي جمع وساق.

فأنارَ اللهُ بأبي محمدﷺ ظُلمَها، وكَشَفَ عَن القُلوبِ بُهَمَها، وَجلى عَن الأبصارِ غُمَمَها، وَقامَ فِي النّاس بالهدايَة، وَأنقَذَهُم مِنَ الغِواية، وَبَصَّرهُم مِنَ العَماية، وَهَداهُم إلى الدِّين القَويم، وَدَعاهُم إلى الطريقِ (السراط) المُستقيم.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إليهِ قَبضَ رَأفةٍ وَاختيار، وَرغبَةٍ وَإيثار، فَمُحمّد عَن (من) تَعبُ هذهِ الدَار فِي راحَة، قَد حَفَّ بالملائكةِ الأبرار، وَرضوانِ الربِّ الغفّار، وَمجاورَةِ المَلِكِ الجَبّار، صَلّى اللهُ عَلى أبي نبيّه، وَأمينه، وَخيرَته مِن الخَلقِ وَصفيّه، وَالسّلامُ عَليهِ وَرَحمتهُ وَبَركاتُه.

ثمّ التفتت إلى أهل المجلس وقالت:

أنتم عبادَ الله نَصبُ أمرهِ وَنَهيهِ، وَحَملَةُ دينهِ وَوَحيه، وَأُمناء الله عَلى أنفسِكُم، وَبُلغاؤهُ إلى الأُمَم، زَعيمُ حَقٌّ لَهُ فيكُم، وَعهدٌ قَدَّمَه إليكُم، وَبقيةٌ استخلَفَها عَليكُم، كتابَ اللهِ الناطِق، وَالقرآنِ الصادِق، وَالنّورِ الساطِع، وَالضياءِ اللامِع، بينةٍ بصائِرُه، مُنكشفةٍ سَرائرُه، مُتجلّيةٍ ظَواهره، مُغتبطةٌ بِهِ أشياعُه، قائدٌ إلى الرِّضوانِ

أتباعُه، مُؤدٍّ إلى النَجاةِ اِستماعُه.

بِهِ تَنال حُجج اللهِ المُنوَّرة، وَعَزائمُهُ المُفسّرَة، وَمَحارِمِهِ المُحذَّرَة، وَبيِّناتِهِ الجاليَة، وَبَراهينُهُ الكافِية، وَفَضائله المَندوبَة، وَرُخَصُه المَوهوبَة وَشرائعهُ المَكتوبَة، فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطهيراً لَكُم مِنَ الشِّرك، وَالصلاةَ تَنزيهاً لَكُم عَنِ الكِبر، وَالزَّكاةَ تَزكيةً للنَفس، وَنماءَ فِي الرِّزق، وَالصّيامَ تَثبيتاً للإخلاص، وَالحجَّ تَشييداً للدِّين، وَالعدلَ تَنسيقاً للقلوب، وَطاعتُنا نظاماً للملَّة، وَامامَتُنا أماناً مِنَ الفُرقَة.

وَالجهادِ عزٌّ للإسلام، وَالصّبرَ مَعونةً عَلى استيجابَ الأَجر، والأمرَ بِالمعروفِ وَالنَّهيَ عَنِ المُنكَرِ مَصلحةً للعامّة، وبِرِّ الوالدين وِقايةً مِنَ السَخط، وَصِلةَ الأرحامِ مَنسأةً فِي العُمر، وَمَنمَاة للعَدد، وَالقِصاصَ حَقنَاً للدِّماء، وَالوَفاءَ بِالنَّذرِ تَعريضاً للمَغفِرَة، وَتوفيةَ المكاييل وَالمَوازينَ تَغييراً للبَخس، وَالنهي عَن شُربِ الخَمرِ تَنزيهاً عَنِ الرِّجس، وَاجتنابَ القَذفِ حجاباً عَنِ اللَّعنة، وَتَركِ السَّرقَةِ ايجاباً للعِفَّة، وَحرَّم اللهُ الشِّركَ إخلاصاً لَهُ بِالربوبيَّة.

فَاتَّقوا اللهَ حقَّ تُقاتِه، ولَا تَمُوتُنَّ إلّا وَأَنتُم مُسلِمون، وأَطيعوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُم بِهَ ونَهاكُم عَنه، فإنّهُ إنّما يَخشى اللهُ مِن عبادِهِ العُلماءَ.

ثمّ قالت:

أيها الناسُ! إعلموا أَني فاطِمةُ! وَأَبي مُحَمَّد، أقول عَوداً وبَدواً (بدأ)، ولَا أقولُ مَا أقولُ غَلَطاً، ولَا أَفعلُ ما أفعَلُ شَطَطاً.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

فَإن تَعزُوه وتَعرفُوه تَجدوهُ أبي دُونَ نسائكم[2]، وَأخا ابنِ عَمّي دُونَ رِجالِكم، ولَنِعمَ المَعزيُّ إليهِ ﷺ[3]، فَبَلَّغَ الرِّسالةَ، صادِعاً بِالنَذارَة، مائلاً عَن مَدرَجَةِ المُشرِكين، ضَارِباً ثَبَجهم[4]،

١ـ سورة التوبة، الآية ١٢٨.

٢ـ تعزوه، تنسبوه.

٣ـ المعزي إليه: المنسوب إليه.

٤ـ الثبج ـ بفتح الثاء والباء ـ: الكاهل، ووسط الشيء.

آخِذاً بِأكظامِهِم[١]، داعِياً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكمَةِ وَالموعِظَةِ الحَسَنَةِ، يُكسِّرُ الأَصنامِ، وَيَنكتُ الهامِ[٢].

حتّى انهَزَمَ الجَمعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ، وَحَتّى تَفَرّى اللَّيلُ عَن صُبحِهِ[٣]، وَأَسفَرَ الحَقُّ عَن مَحضِهِ، وَنَطَقَ زَعيمُ الدِّين، وَخَرُسَت شَقاشِقِ الشَّياطين[٤]، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاق[٥]، وَانحلَّت عُقَد الكُفرِ وَالشِقاقِ، وَفُهتُم بِكَلِمَةِ الإخلاصِ، فِي نَفَرٍ مِنَ البِيضِ الخِماص[٦] الَّذينَ أَذهَبَ اللهُ عَنهُمُ الرِّجسَ وَطَهَّرَهُم تَطهيراً.

وَكُنتُم عَلَى شَفا حُفرَةٍ مِنَ النّارِ، مَذقَةَ الشارِبِ[٧]، وَنَهزَةَ الطامِعِ[٨]، وَقَبسَةَ العَجلانِ[٩]، وَمَوطِئَ الأَقدامِ، تَشرَبونَ الطَرَقَ[١]،

١ـ الكظم ـ بفتح الكاف والظاء ـ: الفم أو الحلق أو مخرج النفس.

٢ـ نكته على هامته: إذا ألقاه على رأسه.

٣ـ تفرّى: انشقّ.

٤ـ شقاشق ـ جمع شقشقة ـ وهي شيء يشبه الرئة يخرج من فم البعير إذا هاج.

٥ـ الوشيظ: الأتباع والخدم.

٦ـ الخماص ـ جمع خميص ـ: وهو الجائع.

٧ـ المذقة ـ بضم الميم ـ شرة من اللبن الممزوج بالماء.

٨ـ النهزة ـ بضم النون ـ: الفرصة.

٩ـ قبسة العجلان: الشعة من النار التي يأخذها الرجل العاجل.

وَتَقتاتونَ القِدّ والورق[٢]، أَذِلَّةً خاسئين، تَخافُونَ أن يَتَخَطَّفكُمُ النّاسُ مِن حَولِكُم، فَأَنقَذَكُمُ اللهُ تَعالى بِمُحَمَّدﷺ، بَعدَ اللَتيّا وَالَّتي، وَبَعدَ أن مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجال[٣]، وَذُؤبانِ العَرَب، وَمَرَدةِ أهلِ الكِتاب.

كُلَّما أَوقَدوا ناراً لِلحَربِ أَطفأهَا اللهُ، أَو نَجَم[٤] قرنُ لِلشَيطانِ، أَو فَغَرت[٥] فاغِرَةٌ مِنَ المُشرِكين، قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِها، فَلا يَنكَفِئ حَتّى يَطأ صماخَها بِأَخمُصِهِ[٦]، وَيَخمد لَهبُها بِسَيفِهِ.

مَكدُوداً فِي ذاتِ اللهِ، مُجتَهِداً فِي أَمرِ اللهِ، قَريباً مِن رَسولِ اللهِ، سَيِّداً فِي أَولياءِ اللهِ، مُشمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً لا تأخذهُ في اللهِ

١ـ الطرق ـ بفتح الطاء وسكون الراء ـ: الماء الذي خوضته الإبل، وبوّلت فيه.

٢ـ تقتاتون: تجعلون قوتكم. القد ـ بكسر القاف ـ: قطعة جلد غير مدبوغ، ويحتمل أن يكون بمعنى القديد وهو اللحم المجفف في الشمس.

٣ـ مني ـ فعل ماضي مجهول ـ: ابتلي. والبهم ـ على وزن الغرف ـ جمع بهمة، وهو الشجاع الذي لا يهتدى من أين يؤتى.

٤ـ نجم ـ فعل ماضي ـ: طلع. وقرن الشيطان: اتباعه.

٥ـ فغر: فتح. فاغرة فاها: أي فاتحة فمها.

٦ـ ينكفئ: يرجع، يطأ: يدوس. صماخها: أذنها. بأخمصه: بباطن قدمه.

لَومَة لائم.

وَأَنتُم فِي رَفاهيّةٍ مِنَ العَيش، وَادِعون فَاكِهون آمِنون، تَتَربَّصون بِنَا الدَوائِر[١]، وَتَتوَكَفونَ الأَخبار[٢]، وَتَنكِصونَ عِندَ النِزالِ[٣]، وَتَفرُّونَ مِنَ القِتال.

فَلَمّا اختارَ اللهُ لِنبيّهِ دارَ أَنبيائِه، وَمأوى أَصفيائِه، ظَهَرَت فِيكُم حَسكَةُ (حَسِيكةُ) النِّفاق، وَسَمُل جِلبابُ الدِّين، وَنَطَقَ كاظِمُ الغاوين، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقلّين، وَهَدَرَ فَنيقُ المُبطلين فَخَطرَ فِي عَرصاتِكُم، وَأَطلَعَ الشيطانُ رأسَهُ مِن مُغرزِهِ هَاتفاً بِكُم، فَأَلفاكُم لِدعوَتِهِ مُستجيبينَ، وَللغِرَّةِ فيهِ مُلاحِظين، ثُمَّ استنهَضَكُم فَوَجَدَكُم خِفافاً، وَأَحمَشَكُم فَأَلفاكُم غِضاباً، فَوَسمتُم غَيرَ إِبلكُم، وَوَرَدتُم غَيرَ مَشرَبِكُم.

هذا وَالعَهدُ قَريب، وَالكَلمُ رَحيب، وَالجَرحُ لَمّا يَندمِلُ، وَالرَّسولُ لمّا يُقبَر، اِبتداراً زَعمتُم خَوفَ الفِتنَةِ، أَلا فِي الفِتنَةِ

١ـ الدوائر: العواقب المذمومة وحوادث الأيام.

٢ـ تتوكفون: تتوقعون بلوغ الأخبار.

٣ـ تنكصون: ترجعون وتتأخرون. والنزال: القتال.

سَقَطوا وَإنَّ جَهنَّمَ لَمُحيطَةٌ بِالكافرين.

فَهيهَات مِنكُم، وَكَيفَ بِكُم، وَأَنّى تُؤفَكون، وَكتابَ الله بينَ أَظهُركُم، أُمورُه ظاهرَةٌ، وَأَحكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأعلامُهُ باهِرَة، وَزَواجِرُه لائِحَةٌ، وَأَوامِرُه واضحةٌ، وَقَد خَلفتُموه وَراء ظُهورِكُم، أَرغبةً عَنه تُريدون، أَم بِغيرِهِ تَحكُمون، بِئس للظالمينَ بَدَلاً، وَمَن يَبتغِ غَير الإسلامِ ديناً فَلَن يُقبَل مِنهُ وَهوَ فِي الآخرَةِ مِنَ الخاسرين.

ثُمَّ لَم تَلبَثوا إلّا رَيثَ أَن تَسكُنَ نَفرَتَها، وَيسلسَ قيادها، ثُمّ أَخذتُم تورونَ وَقدَتها وَتهيجونَ جَمرَتها، وَتستَجيبونَ لِهتافِ الشيطان الغوى، وَإطفاءَ أَنوارِ الدِّين الجَلي، وَإهمالَ سُننِ النَّبي الصَّفى، وَتشرَبون حَسوا فِي ارتغاء، وَتمشونَ لأَهلِهِ وَولده فِي الخَمرةِ الضَّراء، وَتصبِر مِنكُم عَلى مِثلِ حَدِّ المدَى، وَوَخزِ السِّنانِ فِي الحَشى.

إلى أن وصلت إلى موضوع الإرث فقالت:

«وَأَنتُم الآنَ تَزعُمُون أَنَّ لا إرثَ لَي مِن أبي ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

أفَلا تعلَمون بَلَى تَجلّى لَكُم كَالشَمسِ الضَاحِيَة أنّي اِبنَتُهُ.

أيّها المُسلِمون أأُغلَبُ عَلَى إرثي!

يَابنَ أبي قُحَافة، أفِي كِتابِ الله أن تَرِثَ أباكَ وَلا أرِثُ أبي؟ لَقَد جِئتَ شَيئاً فريّاً[١]، أفَعَلى عَمدٍ تَركتُم كِتابَ الله ونَبذتُموهُ وَرآءَ ظُهورِكُم؟ إذ يَقولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[٢].

وَقالَ ـ فِيما اِقتصَّ مِن خَبَرِ زَكَريّا ـ إذ قَال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[٣].

وَقالَ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[٤].

وَقالَ: ﴿يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[١].

١ـ فريّا: أمراً عظيماً أو منكراً قبيحاً.

٢ـ سورة النمل، آية١٦.

٣ـ سورة مريم، الآيات٥ و٦.

٤ـ سورة الأنفال، آية٧٥.

١ـ سورة النساء، آية١١.

وَقالَ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[1].

وَزَعمتُم أَن لا حُظوَةَ لِي؟ وَلا إرثَ مِن أَبي، أَفخَضَّكُم اللهُ بِآيةٍ اَخرَجَ أَبي مِنهَا؟ أَم تَقولونَ: إنَّ أَهل مِلَّتَين لا يَتوارَثان؟ ـ يعني إذا كان الأب مسلماً والابن كافراً فالكافر لا يرث المسلم فالزهراء قالت له: ـ أَوَلَستُ أَنا وَأَبي مِن أَهلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟ أَم أَنتُم أَعلَمُ بِخُصوصِ القُرآنِ وَعُمومِهِ مِن أَبي وَابنُ عَمِّي؟

ـ فهنا الزهراء عليها السلام هددتهم قائلة: ـ فَدُونَكَها مَخطومَةً مَرحولَةً[2]، تَلقاكَ يَومَ حَشرِكَ، فَنِعمَ الحَكَم اللهُ، وَالزَّعيمُ مُحَمَّد، وَالمَوعِدِ القيامَةِ، وَعِندَ السَّاعَةِ يَخسِرُ المُبطِلونَ، وَلا يَنفَعُكُم إذ تَندَمون، وَلِكُلِّ نَبَإٍ مُستَقَرٌّ فَسَوفَ تَعلَمُونَ مَن يَأتِيهِ عَذَابٌ يُخزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ».

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت:

١ـ سورة البقرة، آية ١٨٠.

٢ـ ناقة مخطومة ومرحولة، الخطام ـ بكسر الخاء ـ: الزمام ومرحولة من الرحل وهو للناقة كالسرج للفرس.

«يَا مَعشَرَ الفِتيَةِ (النقيبةِ)، وأعضاءِ المِلَّة، وَحَضَنَةَ[1] الإسلام، مَا هذِهِ الغَميزَةُ فِي حَقِّي وَالسِنَةُ عَن ظُلامَتي، أما كَانَ رَسُول اللهﷺ أَبِي يَقول: المَرءُ يُحفَظُ فِي وُلدِه سَرعانَ مَا أَحدَثتُم وَعَجلانَ ذا إهالَة وَلَكُم طاقَةٌ بِما أُحاوِلُ وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أطلُبُ وأُزاوِلُ.

أتقولونَ ماتَ محمدٌ، فخطبٌ جليلٌ، استوسَع وَهنُهُ، واستَنهَرَ فَتقُهُ، وَانفَتَقَ رَتقُهُ، واظلمتِ الأرضُ لغيبتِهِ. وكُسِفَتِ الشَّمسُ وَالقَمرُ وَانتَثَرَت النجومُ لِمصيبتِهِ، واكدَتِ الآمال، وخَشَعتِ الجبال، وَأُضيعَ الحريمُ، وأُزيلتِ الحُرمةُ عند مَمَاتِهِ.

فتلكَ وَاللهِ النازلةُ الكُبرى، وَالمصيبةُ العظمى الَّتي لا مثلَها نازلةٌ، وَلا بائقَةٌ عاجلَةٌ، أعلَنَ بها كتابُ الله جل ثناؤُه في أفنيتِكم، وفي مَمساكُم ومصبحِكُم، هِتَافاً وصُراخاً، وتِلاوة وألحاناً، وَلَقبلَهُ ما حَلَّ بأنبياءِ اللهِ ورُسُلِه، حكمٌ فصلٌ، وقضاءٌ حتمٌ.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ

١ـ حضنة: جمع حاضن بمعنى الحافظ.

أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

ايهاً بني قَيلة:

أَأُهضَمُ تُراث أَبي، وأنتُم بِمَرأىً منّي وَمَسمَع، وَمُنتدى وَمَجمع، تَلبسُكُم الدَعوةَ، وَتَشمُلُكُم الخبرة، وَأنتُم ذَوُو العَدَد وَالعُدَّةِ، والأداةِ والقُوّةِ، وعِندَكُم السِلاحُ وَالجُنة، تُوافِيكُم الدَعوةُ فلا تُجيبُون، وتأتيكُم الصَرخَةُ فلا تُغيثُون.

وَأنتمُ موصوفون بالكِفاح، مَعرفونَ بالخَيرِ وَالصَّلاح، وَالنُخبةُ التي انتُخِبَت، وَالخِيَرةُ الَّتي اُختِيرَت لَنا أهلَ البَيت، قاتَلتُم العَرَبَ، وَتحملتُم الكَدَّ وَالتَعَبَ، وَناطَحتُم الأُمَمَ، وَكَافحتُم البُهمَ، لا نَبرَحُ أو تَبرَحونَ نأمُرَكم فَتأتَمِرون.

حتّى إذا دارَت بِنا رحى الإسلام، وَدرَّ حَلَبُ الأيام، وَخَضَعَت نَعرَةُ الشِركِ، وَسَكَنَت فَورَةُ الإفكِ، وَخَمدَت نيرانُ الكُفر، وَهَدأت دَعوةُ الهَرَج، وَاستَوسَقَ نظامُ الدِّين، فأنّى حِرتُم بعدَ البيان، وَأسرَرتُم بعدَ الإعلان، ونكصتُم بعدَ الإقدامِ وَأشرَكتُم بعدَ

الإيمان.

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

ألا وَقد أرى أن قد أخلدتُم إلى الخَفض، وَأبعدتُم مَن هو أحقُ بالبَسطِ وَالقَبضِ، وَركنتُم إلى الدَعةِ، وَنَجوتُم مِن الضيقِ بالسِعةِ، فمَجَجتُم ما وعَيتُم، وَدَسعتُم الذي تسوَّغتُم، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

ألا وَقَد قلتُ ما قلتُ على مَعرفةٍ منّي بالخذَالةِ الّتي خَامرتُكم، وَالغَدرةِ الّتي استشعَرتها قلوبُكم ولكنّها فَيضةُ النفسِ، وَنَفثةُ الغَيظِ، وَخَورُ القناةِ، وَبَثةُ الصدرِ وَتَقدِمَةُ الحُجةِ.

فَدُونَكُمُوها فاحتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهر، نَقِبَة الخُفِ، باقيَةَ العارِ موسومةٌ بغضبِ الجَبارِ وَشَنارِ الأبدِ، مَوصُولةٌ بنارِ الله الموقَدةِ الّتي تَطَّلِعُ على الأفئدةِ، فَبِعَينِ الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، وَأنا ابنةُ نَذيرٍ لكُم بين يَدي عذابٍ

شَديدٍ، فاعملوا ﴿إِنَّا عَامِلُونَ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾».

ماذا كان رد القوم على الصدّيقة عليها السلام؟!

وماذا كان جوابهم؟!

لقد وضعوا حديثاً ونسبوه إلى الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً وإنما نورّث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة.

من روى هذا الحديث؟

عائشة ومالك بن اوس النضري البوال على عقبيه.

هنا تقبل شهادة عائشة ولا تقبل شهادة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، تقبل شهادة مالك بن اوس ولا تقبل شهادة أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو نفس رسول الله وأعز الخلق عليه.

اقرأ ثم احكم، ان هذه الدعوى تتناقض مع القرآن الذي يصرح وورث سليمان داود وغيرها من الآيات التي مرّت.

في كتاب كشف الغمة: انه لما ولي عثمان قالت عائشة: اعطني ماكان يعطيني أبي وعمر.

فقال عثمان: لا اجد له موضعاً في الكتاب ولا في السنّة، ولكن كان أبو بكر وعمر يعطيانك من طيبة أنفسهما، وأنا لا أفعل.

فقالت: فاعطني ميراثي من النبي صلى الله عليه وآله.

قال: أليس جئت وشهدت أنتِ ومالك بن أوس النضري أن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: لا نورّث؟ فأبطلتِ حق فاطمة، وجئت تطلبينه؟! إلى آخره[1].

وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله لا يورِّث لماذا تمنع عائشة من دفن الإمام الحسن في حجرة النبي حتى قال الشاعر الصقري البصري في حقها:

ويوم الحسن الهادي على بغلكِ اسرعتِ ... وبايعتِ ومانعتِ وخاصمتِ وقاتلتِ

وفي بيت رسولِ الله بالظلمِ تحكمت ... هل الزوجة اولى بالمواريث من البنتِ

لكِ التسع من الثمن وبالكلِ تصرّفتِ ... تجمّلتِ تبغلتِ وان عشتِ تفيّلتِ

فجاءت إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فرمت بنفسها عن البغلة وقالت: والله لا يدفن الحسن هاهنا ابداً او تُجزّ هذه واومأت بيدها إلى شعرها.

فالزهراء عليها السلام فندت هذه الحجة الواهية من أبي بكر وبيّنت زيف الحديث المنسوب إلى أبيها قائلةً:

سُبحانَ الله! مَا كانَ أَبي رَسولُ الله صلى الله عليه وآله عَن كِتابِ الله صادقاً ولا لأحكامِهِ مُخالِفاً بَل كانَ يَتبَعُ اَثَره وَيَقفوا سُوَرَه.

١ـ فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد (للعلّامة المرحوم السيد محمد كاظم القزويني قدس سره): ٤٠٢ عن كشف الغمة ١:٤٧٨.

أَفَتَجمَعونَ إلى الغَدرِ اِعتلالاً عَلَيه بالزُّورِ وَهذا بَعدَ وَفاتِهِ شَبيه بِما بَغيَ لَهُ مِنَ الغَوائلِ فِي حَياتِهِ هذا كتابِ اللهِ حَكَماً عَدلاً وَناطِقاً فَصلاً يقول:

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، فَبَيَّنَ عَزَّ وَجل فيما وَزَّع مِنَ الأَقساطِ، وَشَرَعَ مِنَ الفَرائِضِ وَالمِيراث. وَأباحَ مِن حَظِّ الذُّكَرانِ وَالأناث، مَا أَزاحَ بِهِ عِلّة المُبطلين، وَأَزالَ التَظنّي وَالشُبَهاتِ فِي الغَابرين، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1].

شكوى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله:

لقد اتمَّت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الحجة على الجميع وادّت ما عليها من الواجبات وسجلت آلامها في سجلّ التاريخ ثمّ توجّهت إلى قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله قائلة:

قد كان بعدك انباءٌ وهنبتةٌ ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ

انا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم وقد نكبوا

١ـ سورة يوسف، الآية١٨.

ابدت رجال لنا نجوى صدورهم لما مضيت وحالت دونك التّرب

تجهمتنا رجال واستخف بنا لما فقدت، وكل الارث مغتصب

نعم غصبوا حقها ورجعت إلى الدار غاضبة ولكن استطاعت ان تنتصر عليهم على المدى الطويل ولذا استمرت على موقفها الرافض لم تتنازل قيد انملة.

ولذلك رفعت يدها إلى السماء وقالت عليها السلام: **اللّهم أشهَد عَلَيهِم فإنَّهُم آذوني وَاغضبوني.**

واستمرت على موقفها حتى اللحظات الأخيرة من حياتها، فمن جملة ما اوصت إلى أمير المؤمنين أنها قالت:

«أن لا يَشهَد أحَد جِنازَتي مِمَّن ظَلَمَني وَمَنَعَني مِيراثي، وَلا يُصَلّوا عَلَيَّ وَإذا قَضَيتَ نَحبي فَغَسِّلني وَحَنِّطني مِن فاضِلِ حُنُوطِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وَكَفِّني وَصَلِّ عَلَيَّ وَادفِنّي باللَّيل.

إذا هَدَتِ الأَصواتُ وَنامَتِ الأَبصارُ وَلا تَقطَعني مِن زيارَتِك لأنَّ لِي بِكَ أُنسَاً عَظيماً»[1].

١ـ وفاة الصديقة (للشيخ عباس المي رحمه الله)، ووفاة فاطمة (للبلادي رحمه الله).

وصايا فاطمة الزهراء عليها السلام:

إذن: فالسيدة فاطمة في أواخر ساعات الحياة، وقد حان لها أن تكاشف زوجها بما أضمرته في صدرها (طيلة هذه المدة) من الوصايا التي يجب تنفيذها ولو بأغلى الأثمان ولا يمكن التسامح فيها أبداً، لأنّ لها غاية الأهمية.

كأنّي بها وقد فرغت من أعمالها المنزلية وعادت إلى فراشها وقالت:

يا ابن عم! إنه قد نعيت إليّ نفسي، وإنني لا أرى ما بي إلّا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي.

قال لها علي عليه السلام: **اوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله، فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت، ثم قالت:**

يا ابن عم! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة.

ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال علي عليه السلام: **معاذ الله! أنتِ أعلم بالله، وأبرُّ وأتقى وأكرم، وأدشُّ خوفاً من الله من أن أُوبّخك بمخالفتي.**

وقد عزّ عليَّ مفارقتك وفقدك.

إلّا أنه أمر لابدّ منه.

والله لقد جددتِ عليَّ مصيبة رسول الله، وقد عظمت وفاتك وفقدك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

من مصيبة ما أفجعها وآلمها، وأمضّها وأحزنها.

هذه مصيبة لا عزاء منها، ورزية لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ الإمام رأسها وضمّه إلى صدره ثم قال:

أُوصيني بما شئت، فإنك تجدينني وفياً أُمضي كلما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري.

فقالت: جزاك الله عني خير الجزاء.

يا ابن عم! أُوصيك أولاً:

أن تتزوج بعدي بابنة أُختي أُمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لابدّ لهم من النساء.

ثم قالت: **أُوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، فإنهم عدوي وعدو رسول الله، ولا تترك أن يصلّي عليَّ أحد منهم ولا من أتباعهم، وادفني في الليل إذ هدأت العيون**

ونامت الأبصار[1].

الوصية بصورة أُخرى:

قالت: يابن العم! إذا قضيت نحبي فغسّلني ولا تكشف عني، فإني طاهرة مطهّرة، وحنّطني بفاضل حنوط أبي رسول الله صلى الله عليه وآله.

وصلِّ عليَّ، وليصلِّ معك الأدنى فالأدنى من أهل البيتي، وادفني ليلاً لا نهاراً، وسراً لا جهاراً، وعفِّ موضع قبري، ولا تُشهد جنازتي أحداً ممن ظلمني.

يا ابن العم! أنا أعلم أنك لا تقدر على عدم التزويج من بعدي فإن أنت تزوّجت إمرأة إجعل لها يوماً وليلة، واجعل لأولادي يوماً وليلة.

يا أبا الحسن! ولا تصح في وجهَيهما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنهما بالأمس جدَّهما واليوم يفقِدان أُمّهما، فالويل لأُمَّة تقتلهما وتُبغضهما.

اويلي وحين حضرتها المنيه حضر عدها الوصي بوكت الوصيه

١ـ روضة الواعظين / بحار الأنوار، ج٤٣.

تگله اگرب يبعد الروح ليّه گرب ليها او من عينه الدمع خر
يگلّلها دگليلي اشتهيسين مردتي چبدتي يم حسن وحسين
تگله ابوكت غسلي يبو الحسنين اريد الّي تشوفه اعليه تصبر
تراني طاهره ولو غسلتني اريدك لا تمس ضلعي او متني
اخاف يذوب گلبك لو جستني او خل ثوبي عليّ ليتوخر

ولما فارقت الحياة قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

والله لقد أخذتُ في امرها وغسّلتها في قميصها ولم اكشفه عنها، فو الله لقد كانت ميمونة طاهره مطهرة، ثم حنّطتها من فاضل حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله وكفّنتُها، فلمّا هممت ان اعقِدَ الرداء ناديت: يا أُمَّ كلثوم، يا زينب، يا حسن، يا حسين، هلمّوا وتزوّدوا من أُمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة.

فاقبل الحسن والحسين وهما يناديان: وا حسرتاه لا تنطفي ابداً من فقد جدنا محمد المصطفى وأُمنا فاطمة الزهراء، يا أُمَّ الحسن يا أُمَّ الحسين، إذا لقيت جدَّنا محمّداً المصطفى فاقرأيه منّا السلام وقولي له: إنّا بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إني أُشهد الله انها قد حنّت وانّت

ومدّت يديها وضمتهما إلى صدرها مليّا، وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا ابا الحسن ارفعهما عنها فلقد ابكيا والله ملائكة السماوات فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه.

گضت وامصابها ما مر شبيه بچو سبطينها او شبگو عليها
حنت آه شبگتهم بديها اوهتف بالعرش نحّيهم يبو حسين
يحيدر شيل سبطين الزچيّه شيل الحسن يا حيدر وخيّه
ارضها والسما حنّت سويّه الفگد بضعة الهدى او ينحب الدين

* * *

ايها الناس أي بنت نبي عن مواريث ابوها زواها؟
كيف يزوي عني تراثي عتيق باحاديث من لدنه افتراها

المجلس الحادي عشر

مسك الختام عن الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام

إمامَ العصرِ يا ابنَ الاكرَمينا ... ومَهدِيَّ الخلايق اجمعينا
غيابُكَ هدَّ مِنّا كُلَّ رُكنٍ ... عماد الكون يا رُكناً رَكينا
تواطئتِ العدا طُرّاً علينا ... بعَينك يا مُنانا مامُنينا
فها هو دهرُنا مُرٌّ ويحلُوا ... يقينا ان حللتَ وكنت فينا
إمامَ العَصرِ عزّ عليك ماقد ... رُزيت به ونحن به رُزينا
واعظَمُها رزاً يا الطف شجواً ... غداةَ السِّبطُ قد أمسى رَهينا
وفتيتهُ حوالَيه ضحاياً ... على وجهِ الصعيد مُجزَّرينا
ويا لهفي لِزينبَ يومَ عادت ... لِطيبةَ ابدتِ الصوتَ الحَزينا
(مدينةَ جدِّنا لا تقبلينا ... فبالحسرات والاحزانِ جينا)
(خرجنا عنك بالاهلين جمعاً ... رجعنا لارجالَ ولا بنينا)
وزينُ العابدينَ يقولُ للنا ... عِي انعَ السِّبطَ فَخرَ العالَمِينا
فنفَّذَ أمرهُ فاتته ثكلاً ... تَبَيَّنَ أنَّها امُّ البنينا[1]

١ـ للخطيب والاديب الشيخ محمد محسن الفاضلي النجفي حفظه الله تعالى.

المجلس الحادي عشر

مسك الختام عن الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام

قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَ نُريدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثينَ﴾[1]

(صدق الله العلي العظيم)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو لم يبقى من الدّنيا (الدهر) إلاّ يوم واحد لطوّل الله (عزّ وجل) ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً من أُمتي ومن أهل بيتي يواطي إسمه إسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**».

رأينا من المناسب أن نجعل مسك الختام، الحديث عن خاتم الأوصياء

١ـ سورة القصص، الآية ٥.

المعصومين المهديين الإمام الثاني عشر الذي بشّر به رسول الله صلى الله عليه وآله وكل المعصومين المهديين الإمام الثاني عشر الذي بشّر به رسول الله صلى الله عليه وآله وكل الأئمة الأطهار عليهم السلام.

ونرجوا بذلك ان ننعم بنفحاته الطاهرة ودعواته العاطرة وأن نكون له جنوداً أوفياء عند ظهوره المبارك انشاء الله تعالى، فنقول:

الحديث حول مسئلة وموضوع الإمام المهدي عجل الله فرجه هو حديث عن مسئلة عقائديّة مهمّة ولذيذة في نفس الوقت، امّا كون مسئلة الحديث حول الإمام عقائدية مهمّة فبإعتبار إنّها ترتبطّ بالإمامة وبالموجود الكامل لهذه الحياة لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها.

وفي حديث آخر: «**بيُمنه رُزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسماء**»، لأنّه ربّما يسئل: هل أنّ الله تعالى ترك البشريّة طيلة هذه الاماد الطويلة دون قائد وإمام؟ وهل انّه أغفل البشريّة في هذه الأزمنة منذ الأئمة المعصومين إلى هذا اليوم؟

وثانياً: هل انّ إختيار الإمام يرجع إلى البشر أو إلى الله تعالى؟ لأنّه من المتّفق عليه أنّ مسئلة القانون الصّالح يجب أن تُحل عن طريق السّماء فإنّ الإنسان لا يتمكّن أن يشرع ويبتدع القانون الصالح لنفسه من دون أن يرجع إلى السماء وإلى الله تعالى.

وعليه تكون مسئلة الحاكم والقائد الذي ينفذ قانون الله تعالى في الحياة لابدّ أيضاً أن يكون وأن يعيّن من قبل الله ومن السماء لا من النّاس، إذن مسئلة الإمام المهدي عجل الله فرجه مسئلة ترتبط بالإمامة من جهة، ولهذا فهي مهمّة.

الإمام المهدي عليه السلام والمستقبل السّعيد:

ذكرنا مسئلة الحديث عن حكومة الإمام المهدي عليه السلام من جهة أنها لذيذة، وذلك باعتبار انّها تتحدّث عن المستقل المشرق والغد السعيد للبشريّة، وأيٌّ منّا لا يحب أن يسمع عن غدة المشرق وعن مستقبله السّعيد.

ولذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله رواية يرويها إبن حجر في الصّواعق المحرقة ومسند أحمد ج ٣، ص ٣٧ عن سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ابشركم بالمهدي [وفي مصدر آخر اوله ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي][1] يبعث في امتي على اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحا».

١ـ منتخب كنز العمال ج ٦، ص ٢٩.

فقال له رجل: ما صحاحا، فقال صلى الله عليه وآله: **بالسّوية بين الناس، قال: ويملأ الله قلوب أُمة محمد صلى الله عليه وآله غنى ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً فينادي.**

فيقول: من له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلاّ رجل فيقول ائت السدّان يعني الخازن لبيت مال المسلمين فقل له انّ المهدي يامر: ان تعطيني مالاً فيأتيه فيقول له: السادن إحثُ من المال، حتى إذا جعله في حجره وابرزه ندم.

فيقول: كنت اشجع أُمة محمّد نفساً او عجز عني ما وسعهم قال: فيردّه فلا يقبل منه. فيقال له: انا لا نأخذ شيئاً أعطيناه فيكون كذلك سبع سنين او ثمان سنين او تسع ثم لا خير في العيش بعده». فالإنسان الذي يسمع هذه الأوصاف يهيم شوقاً للتطلع والبحث عن هذا الغد المشرق السّعيد واللذيذ.

ضرورة الاعتقاد بالمهدي عليه السلام :

انّ الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام يعتبر ضرورة عمليّة، لأن الإيمان بيوم مرتقب للدين يشكل ضرورة عقلائية عند الإنسان المتديّن، لأن أنبياء الله

جاؤوا ودعوا إلى عبادة الله ودعوا إلى إقامة العدل الإجتماعي، لإنّ الله خلق الكون كلّه والبشر للعبادة، قال تعالى: ﴿وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

فكلّ الجهود الّتي بذلها الأنبياء، بل كلّ قوافل الشّهداء وكلّ الدّماء الّتي سفكت كانت في سبيل هدف واحد وهو أن يكون الإنسان صالحاً يعبد الله تعالى، ولذلك نجد انّ ما حقّقه الأنبياء في الحياة لا يناسب مع درجة الجهد التي بذلوها في هذا السّبيل، فكم من شهداء ذهبوا؟ كم من دماء أُريقت، كم تحملّ الأنبياء من المصائب؟ ولكن ما تحقّق الشيء المطلوب كما يريده الله تعالى والأنبياء.

وعلى ذلك فالعقل يحكم في إطار الدّين انه لابدّ من يوم مرتقب تتحقّق فيه حكمة الله تعالى من إرسال أنبيائه وإلاّ إستلزم إرسال الأنبياء لغواً وخلق البشر عبثاً، فلابدّ من يوم تكلّل فيه جهود كلّ الأنبياء وعباد الله الصالحين وكلّ الّذين جاهدوا في سبيل الله لابد أن تُكلّل بالنصر والظفر، وإلاّ فنصرة موقّتة للدّين في بقعة من البقاع، هذا لا يشكل هدفاً لكلّ تلك الجهود الضّخمة.

فلابدّ من يوم ينتصر فيه الدّين، القرآن الكريم يدعم هذه الحقيقة

١ـ سورة الذاريات، الآية ٥٦.

العقلائية، قال تعالى: ﴿وَ نُريدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلي﴾[2]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[5].

فإنّ الآية تبشّر بأنّ الإسلام سوف يظهر على بقيّة الأديان والمذاهب والعقائد ومعنى الظهور باللّغة هو: الغلبة والإنتصار، البعض يحاول أن يؤوّل الآية يقول: الظّهور هنا يعني الحجة والدليل، ولكن هذا خلاف انصراف الآية لأنه في آية أُخرى يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ

١ـ سورة القصص، الآية ٥.

٢ـ سورة المجادلة، الآية ٢١.

٣ـ سورة النور، الآية ٥٦.

٤ـ سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٥ـ سورة التوبة، الآية ٣٣.

﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾[1]. ومعنى ﴿يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يعني أن ينتصروا عليكم، فالظهور بمعنى الإنتصار المادي، لا بمعنى الإنتصار في الحجة والدّليل.

ثمّ انّ الآية بشّرت بأنّ الإسلام سينتصر في المستقبل على كافة العقائد والأديان لأنّ هذا الظهور والإنتصار على كل المذاهب لم يتحقّق لا على يد النّبي ولا بعد النّبي، لأنّ الضروف ما ساعدته على ذلك.

وعليه فلابدّ لهذا الوعد الإلهي من الله أن يتحقّق في المستقبل وترتفع راية الإسلام وشهادة أن لا إله إلاّ الله ومحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ مكان في العالم إنشاء الله تعالى.

هذا هو الوعد القرآني حيث قال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

وهناك روايات ونصوص بلغت حدّ التواتر، تقول بأنّ هناك رجلاً من أولاد علي وفاطمة • ومن ولد الحسين عليه السلام بالذات، إسمه محمّد المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فالبشارة القرآنية للإنتصار بالإسلام لا يتحقّق إلاّ على يد المهدي عليه السلام.

١ـ سورة الكهف، الآية ٢٠.

حكومة المستضعفين العالمية

إنّ الآيات المتقدمة على اية ﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ لا تتحدث عن فترة خاصة أو معينة، ولا تختص ببني إسرائيل فحسب، بل توضح قانوناً كلياً لجميع العصور والقرون ولجميع الأُمم والأقوام، فان اية: ﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾.

فهي بشارةٌ في صدد انتصار الحق على الباطل والإيمان على الكفر.

وهي بشارةٌ لجميع الأحرار الذين يريدون العدالة وحكومة العدل وانطواء بساط الظلم والجور.

وحكومة بني إسرائيل وزوال حكومة الفراعنة ما هي إلاّ نموذج لتحقق هذه المشيئة الإلهية والمثل الأكمل هو حكومة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وأصحابه بعد ظهور الاسلام... حكومة الحفاة العفاة والمؤمنين المظلومين الذين كانوا موضع تحقير فراعنة زمانهم واستهزائهم ويرزخون تحت تأثير الضغوط «الظالمة» لائمّة الكفر والشرك.

وكانت العاقبة أن الله فتح على أيدي هؤلاء المستضعفين أبواب قصور الأكاسرة والقياصرة، وأنزل أولئك من أسرّةِ الحكم والقدرة وأرغم أنوفهم

بالتراب.

والمثل الأكبر والأوسع هو ظهور حكومة الحق والعدالة على جميع وجه البسيطة ـ والكرة الأرضية ـ على يد «المهديّ» أرواحنا له الفداء.

فهذه الآيات هي من جملة الآيات التي تبشّر ـ بجلاء ـ بظهور مثل هذه الحكومة، ونقرأ عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه الآية أنّها إشارة إلى هذا الظهور العظيم.

فقد ورد في نهج البلاغة عن علي عليه السلام قوله: «**لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، وتلا عقيب ذلك: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾**»[1].

وفي حديث آخر نقرأ عنه عليه السلام في تفسير الآية المتقدمة قوله: «**هم آل محمّد صلى الله عليه وآله يبعث الله مهديّهم بعد جهدهم فيعزّهم ويذل عدوّهم**»[2].

ونقرأ في حديث آخر عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قوله: «**والذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً، إنّ الأبرياء منّا أهل**

١ـ نهج البلاغة ـ الكلمات القصار رقم ٢٠٩.

٢ـ الغيبة للشيخ الطوسي حسب نقل تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ١١٠.

البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وإن عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه»[1] (أي سننتصر أخيراً وينهزم أعداؤنا وتعود حكومة العدل والحق لنا).

ومن الطبيعي أن حكومة المهدي عليه السلام العالميّة في آخر الأمر لا تمنع من وجود حكومات إسلامية في معايير محدودة قبلها من قبل المستضعفين ضد المستكبرين، ومتى ما تمّت الظروف والشروط لمثل هذه المحكومات الإسلامية فإنّ وعد الله المحتوم والمشيئة الإلهية سيتحققان في شأنها، ولابدّ أن يكون النصر حليفها بإذن الله.

فارق اعتقاد أهل العامة مع الشيعة في المهدي عليه السلام

بقيت هناك مسئلة أُخرى وهو: هناك فرق بين العامّة والشيعة في مسئلة الإمام عليه السلام فإنّ العامّة يقولون: إنّ الإمام ليس موجوداً الآن وانّما يظهر يوجد في المستقبل، بينما الشّيعة تعتقد بأنّ الإمام المهدي عليه السلام مولود سنة ٢٥٥ هجري، وهو الآن موجود يعيش بين ظهرانينا لكنّه غائب عن أعيننا لحكمة ومصلحة من الله تعالى ولقصور عقولنا عن ادراكها وكما قال الشاعر:

العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلاته يتغمغم

١ـ سورة الكهف، الآية ٢٠.

ما للتراب وللعلوم وانما يسعى ليعلم انه لا يعلم

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام كما في اكمال الدين وفي علل الشرايع عن عبدالله بن الفضل الهاشمي، قال سمعت الصادق عليه السلام يقول: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها، يرتاب فيها كل مبطل فقلت: ولِمَ جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، انّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السّفينة وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلاّ وقد إفتراقهما، يا ابن الفضل انّ هذا الأمر من أمر الله تعالى، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله ومتى علمنا انّه عزّ وجل حكيم صدّقنا بأنّ افعاله واقواله كلها حكمة وإن كان وجهه غير منكشف لنا».

وقال الصادق عليه السلام: «يا ابن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه وبصرك لو وضع عليه خرت ابرة لغطاه تريد ان تعرف بها

ملكوت السماوات والأرض»[١].

وأمّا الدّليل على ذلك هناك مجموعة من الأدلة على ذلك منها قول رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثّقلين: «**إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**»[٢].

وهذا الحديث متواتر بين المسلمين، ومعناه انّ النبي صلى الله عليه وآله يقول: «**انّ القرآن مع أحد من العترة موجودان إلى يوم القيامة لا يفترقان، وعليه لابدّ ان نعتقد بوجود المهدي عليه السلام حتّى يكون قريناً مع القرآن وإلاّ لزم الإفتراق بينهما وهذا خلاف قول النبي صلى الله عليه وآله بأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**».

والدّليل الثاني على ذلك هو قول النّبي صلى الله عليه وآله في حديث متواتر بين

١ـ منتخب الأثر: ٣٣٠.

٢ـ اخرجه الحاكم في ١٤٨ من الجزء الثالث من المستدرك ثم قال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وأخرجه الذهبي في تلخيص المستدرك معترفاً بصحته على شرط الشيخين وهناك مصادر أُخر على اختلاف المستدرك معترفاً بصحته على شرط الشيخين وهناك مصادر أُخر على اختلاف الفاظ الحديث، راجع المراجعات: ١٩.

المسلمين: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**»[١]، فإنّ هذا الحديث يدلّ بأن لكلّ زمان إمام معيّن من قبل الله تعالى وانّه قد بلغ إلى درجة من العرفان والإتّصال مع الله تعالى بحيث انّ الّذي لم يعرفه يموت على الجاهليّة، وهذا لا يتحقّق إلاّ بوجد الإمام المهدي عليه السلام وانّه حيّ يرزق.

والدّليل الثالث هو النّصوص المتواترة في صحيح مسلم وصحيح البخاري على ذلك منها:

صحيح مسلم ـ كتاب الأمارة في الباب المذكور ـ عن جابر انب سمّرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «**لا يزال امر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً ثم تكلم النبي صلى الله عليه وآله بكلمة خفيت عليّ فسئلت أبي فاذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: كلهم من قريش**»[٢].

في مسند أحمد عن مسروق ج ١، ص ٣٩٨ قال: كنّا جلوساً عند ابن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن: هل سئلتم رسول الله صلى الله عليه وآله كم يملك هذه الأُمّة من خليفة، فقال ابن مسعود، ما سئلني

١ـ عن الحميدي انه اخرج في الجمع بين الصحيحين وعن الحاكم اخرجه عن ابن عمر.

٢ـ منتخب الاثر للصافي ص ٤٦.

عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثمّ قال: نعم ولقد سئلنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إثني عشر كعدد نقباء بني اسرائيل.

فهذه الأحاديث كلّها لا تنطبق إلاّ على مذهب الشّيعة الإمامية الاثنى عشرية فقط، لأنّه لا يوجد مذهب يعتقد باثني عشر خليفة غير الشيعة وان وجود الأئمة مستمر إلى آخر الدهر.

نعم السّيوطي أراد أن يثبت اثنا عشر خليفة غير أئمة الهدى عليهم السلام فقال: نحن أيضاً نعتقد بإثنى عشر خليفة ثمّ يعدّدهم يقول: أربعة منهم هم الخلفاء الرّاشدون الأربعة، ثمّ الخامس معاوية، ثمّ يختار مجموعة من العباسيين فيصيروا عشرة، ثم يقول: وامّا الحادي عشر فهو المهدي المنتظر، وامّا الثاني عشر فلا أكاد أعرفه[1].

فوقفت عنده سفينة المساكين بالنّسبة للثاني عشر في حين انّ النّبي يقول: إثنى عشر خليفة متوالين إلى يوم القيامة، فهذه الأحاديث لا تنطبق إلاّ على مذهب الإمامية الإثنى عشرية وكلهم من قريش ومن عترته، إذن لا يمكن ان يُحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من الصحابة لقلتهم عن اثنى عشر ولا يمكن ان نحمله على الملوك الاموية لزيادتهم على الاثنى عشر ولظلمهم الفاحش إلاّ عمر ابن عبد العزيز ولكونهم غير بني هاشم لأنّ

١ـ الأُصول العامة (للسيد محمد تقي الحكيم)، ومنتخب الأثر: ٥١.

النبي صلى الله عليه وآله قال كلهم من بني هاشم ولا يمكن ان نحمله أيضاً على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور ولقلة رعايتهم الآية: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ فلابد ان يحمل هذا الحديث على الأئمة الإثنى عشر من أهل بيته وعترته صلى الله عليه وآله، وكفى بذلك فخراً وإعجازاً لرسول الله صلى الله عليه وآله.

الدّليل الرابع هو إجماع الشيعة وبالإضافة إلى ذلك ذكر شيخ لطف الله الصّافي في كتابه منتخب الأثر ذكر سبعين عالماً من علماء السنّة كلّهم يعترفون بأنّ الأئمة الإثنى عشر من بعد النّبي، أوّلهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم محمّد المهدي عليه السلام[1].

والدّليل الخامس: الدليل العقلي وهو نحن نعتقد بأن المهدي عليه السلام حين يظهر يأتي بالإسلام الواقعي لا الظّاهري، فإذا لم يكن الإمام عليه السلام مرتبطاً بالمعصومين وبالنبي فكيف يأتي بالإسلام الواقعي.

فلابدّ للشخص الّذي يأتي بالإسلام الواقعي يجب أن يكون من سلسلة مرتبطة بالنّبي صلى الله عليه وآله فليس من الممكن أن يكون هذا الشخص منفصلاً عن هذه السلسلة وغير مولود.

١ـ فرائد السمطين (للجويني الشافعي) ٣١٣/٢، ط. لبنان، وينابيع المودة (للقندوزي): ٤٤٥.

قصة الرمانة:

وأيضاً من الأدلة على وجوده عليه السلام ان كثيراً من الذين ساعدهم التوفيق ففازوا بهذا الشرف العظيم وهو التشرف بلقاء الإمام عليه السلام ـ ممن وصلتنا أخبارهم ـ فمنهم محمد بن عيسى الدمستاني كما ورد في البحار ج ٥٢ انه كانت بلاد البحرين ـ ولا تزال آهِلَة بشيعة أهل البيت عليهم السلام ـ ، وفي القرن السابع الهجري كان والي البحرين من النّواصب والأعداء الألدّاء للشيعة، وكان وزيره أخبث منه، وأكثر بغضاً للشّيعة.

وفي يوم من الأيام جاء الوزير للوالي برمّانة مكتوب عليها: (لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خلفاء رسول الله) فنظر الوالي إلى كتابة الرمانة، فظنّ أنّ تلك الخطوط كتبت بقلم القدرة، وليس من صنع البشر.

فقال الوزير: هذه آية بينة، وحجّة قوية على إبطال مذهب الرّافضة، ـ يقصد الشّيعة ـ.

فاقترح الوزير أن يجمع علماء الشّيعة وشخصيّاتهم، ويريهم الرمانة فإن تخلّوا عن مذهب التشيّع واعتنقوا مذهب أهل السنّة، تركهم بحالهم، وإن أبوا إلاّ التمسّك بمذهبهم، خيّرهم بين ثلاثة أُمور:

الأوّل: ان يدفعوا الجزية، كما يدفعها غير المسلمين من اليهود

والنّصارى والجوس.

الثاني: ان يأتوا بجواب لردّ وتفنيد الكتابة الموجودة على الرمانة.

الثالث: أن يقتل الوالي رجالهم، ويسبى نساءهم وأولادهم، ويأخذ أموالهم بالغنيمة؟

فأرسل الوالي إلى شخصيّات الشيعة وأحضرهم، وأراهم الرّمانة، وخيّرهم بين الأُمور الثلاثة المذكورة، فطلبوا منه المهلة ثلاثة أيام.

فاجتمع رجالات الشّيعة وأهل الحلّ والعقد، يتذاكران فيما بينهم حول كيفيّة التخلّص من هذه المشكلة، وبعد مذاكرات طويلة اختاروا من صلحائهم عشرة رجال، واختاروا من العشرة ثلاثة، وتقرّر أن يخرج في كلّ ليلة واحد من الثلاثة إلى الصّحراء ويستغيث بالإمام المهدي عليه السلام للتخلّص من هذه المحنة.

فخرج أحدهم في اللّيلة الأُولى، فلم يتشرف بلقاء الإمام ولم تنحل المشكلة، وهكذا حدث للثاني أيضاً، وفي اللّيلة الثالثة خرج الشيخ محمد بن عيسى الدمستاني[1] ـ وكان فاضلاً تقيّاً ـ فخرج إلى الصحراء حافياً حاسراً الرأس، وقضى ساعات من اللّيل بالبكاء والتوسل والإستغاثة بالإمام المهدي عليه السلام.

١ـ دمستان: قرية في البحرين.

لكي ينقذهم من هذه الورطة والبلاء وفي السّاعات الأخيرة من اللّيل، حضر الإمام المهدي عليه السلام وخاطبه: يا محمّد بن عيسى مالي أراك على هذه الحالة؟ ولماذا خرجت إلى هذه البريّة[1]؟ فامتنع الرجل ان يذكر حاجته إلاّ للإمام المهدي عليه السلام.

فقال له الإمام: أنا صاحب الأمر فاذكر حاجتك.

قال محمّد بن عيسى: إن كنت صاحب الأمر فانت تعلم قصّتي، ولا حاجة إلى البيان والشّرح.

فقال له الإمام: نعم، خرجت لما دَهَمكم من امر الرّمانة، وما كُتِبَ عليها.

فلمّا سمع محمّد بن عيسى ذلك! أقبل إلى الإمام وقع على قدم الإمام ويده وهو يقبلهما، وقال: نعم يا مولاي، تعلم ما اصابنا، وأنت إمامنا وملاذنا، والقادر على كشفه عنّا.

فقال الإمام: إنّ الوزير ـ لعنه الله ـ في داره شجرة رمّان، فلمّا حملت تلك الشّجرة، صنع الوزير شيئاً (أي: قالباً) من الطين على شكل الرمّانة، وجعله نصفين، ونحت في داخله تلك الكلمات المذكورة، ثمّ جعل رمّانة من الشجّرة في ذلك القالب، وشدّ القالب على الرّمانة، فلمّا نبتت الرّمانة

١ـ البريّة: الصحراء.

وكبرت، دخل قشرها في تلك الكتابة المنحوتة.

فإذا مضيتم غداً إلى الوالي فقل له: جئتك بالجواب، ولكنّني لا أُبديه إلاّ في دار الوزير، فإذا مضيتم إلى داره، فانظر عن يمينك ترى غرفة، فقل للوالي: لا أُجيبك إلاّ في تلك الغرفة، وسيمتنع الوزير عن ذلك، ولكن عليك بالإلحاح، وحاول أن لا يدخل الوزير تلك الغرفة قبلك، بل ادخل معه.

فإذا ادخلت الغرفة رأيت كوّة[1] فيها كيس أبيض، فانهض إليه وخذه فترى فيه تلك الطّينة (القالب) الّتي عملها لهذه الحيلة، ثمّ ضعها أمام الوزير، ثمّ ضع الرّمانة فيها حتى ينكشف أنّ الرمّانة على حجم القالب.

ثمّ قال الإمام المهدي عليه السلام يا محمد بن عيسى: قال للوالي: إنّ لنا معجزة أُخرى، وهي أنّ هذه الرمانة ليس فيها إلاّ الرماد والدخان[2] فإن أردت صحّة هذا الخبر فأمُر الوزير بكسرها، فإذا كسرها طار الرماد والدخان على وجهه ولحيته!

إنتهى اللّقاء وغاب الإمام عليه السلام عنه، ورجع محمد بن عيسى وقد غمره الفرح والسّرور، وانصرف إلى الشيعة يبشّرهم بحلّ المشكلة.

وأصبح الصباح ومضوا إلى الوالي، ونفّذ محمّد بن عيسى كلّ ما امره

١ـ الكوّة: ثقب في الحاطة توضع فيها الأشياء، وربّما نفذ الهوا والضوء.

٢ـ وذلك لعدم وصول الهواء وأشعّة الشمس إليها، بسبب كونها في القلب.

الإمام عليه السلام فسأله الوالي: من أخبرك بهذا؟

قال: إمام زماننا، وحجة الله علينا.

فقال: ومن إمامكم؟

فأخبره بالأئمة الاثنى عشر واحداً بعد واحد، حتّى إنتهى إلى الإمام المهدي صاحب الزّمان عليه السلام.

فقال الوالي: مدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الخليفة بعده بلا فصل: أمير المؤمنين علي عليه السلام ثمّ أقرّ بالأئمة الطاهرين عليهم السلام وأمر بتقل الوزير، واعتذر إلر أهل البحرين[1].

أيّها القارىء الكريم: هذه القصّة مشهورة عند المؤمنين وخاصّة عند أهل البحرين، وقبرُ محمّد بن عيسى في البحرين معروف يزوره الناس.

وإلى هنا نختم البحث عنه عليه السلام لأن الكلام عن الإمام المهدي عليه السلام لا يتمّ في مجلس ولا أكثر.فعلى كل حال ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام انّ من صفاته عليه السلام «**انّه يقوم القائم وليس لاحد في عنقه عهد ولا ميثاق ولا بيعة**»[2]، يعني ما بايع ظالماً ولم يبايع ظالم، فهذه

١ـ بحار الأنوار (للشيخ المجلسي) ٥٢/١٧٨ـ ١٨٠، والإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظهور (لآية الله السيد كاظم القزويني قدس سره): ٣٠٥ ـ ٣٠٩.

٢ـ اثبات الهداة ٣/٤٤٦.

الصّفة تشبه صفة جده أبي عبدالله الحسين عليه السلام لأنّ الحسين عليه السلام هو الآخر لم يبايع ظالم كما قال لمحمّد بن الحنفيّة، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية.

الإمام الحجة عليه السلام يحامي عن زوار الحسين عليه السلام

وهذه قِصَّة أُخرى لآية الله السيِّد القزويني، يَذكُرها الشيخ النوري عن نجل السيِّد أنَّه سمع أباه يقول:

خرجتُ يوم الرابع عشر مِن شهر شعبان، مِن مدينة الحلَّة قاصِداً كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان[1] فلما وصلتُ إلى نهر الهندية (أي: طُويريج) وجدتُ الزوّار مُتجمهرين هناك، وقد وَصَلَهُم الخبر أنَّ عشيرة عُنيزة (عشية بَدَويّة) قد نزلت على طريق كربلاء لِسَلب الزُوّار ونَهب أموالهم!.

فبينما الناس حيارى، وقد أمطَرَت السماء، توسَّلتُ إلى الله تعالى بالنبي وآله الأطهار، لإغاثة الزوّار ونجاتهم، فبينما أنا كذلك، وإذا بفارِس بيده

١ـ زيارة الإمام الحسين عليه السلام من المستحبّات الشَرعيَّة المؤكدَّة، وقد وردت في فَضلها وثوابها أحاديث كثيرة، وهي مستحبَّة في كلِّ الأيام والساعات، إلاَّ أن الإستحباب يتأكد والثواب يَتضاعف في بعض المناسبات، كيوم عاشوراء، وليلة النِصف من شعبان، وليالي القَدر، وليالي الجمعة وغيرها.

رُمح طويل، وقف عندي وسلَّم، فرَددنا عليه السلام، فسمّاني باسمي وقال: ليأتِ الزُوّار، فإنَّ عشيرة عُنَيزة، قد رَحَلوا عن الطريق، وصار الطريق مأموناً.

فخرجتُ مع الزُوّار وهو يُرافقنا في الطريق ويمشي أمامَنا، وكأنَّه الأسَد. وفي أثناء الطريق غاب عنّا فجأة وبَغتةً، فقلت لمن معي: أبَقيَ شَكٌّ في أنّه صاحب الزمان؟! فقالوا: لا والله.

يقول السيِّد: إنَّني كنت أُطيل النَظَر إليه، كأنّي رأيتُه قبل هذا، فلما غاب عنّا تذكّرت أنَّه هو الشخص الذي زارَني في الحِلَّة.

أمّا عشيرة عُنَيزة فلم نَر أحداً منهم، ورأينا غُبرة شديدة مرتفعةً في البَر، فوصَلنا كربلا خلال ساعة ـ وكانت المسافة ثلاث ساعات ـ فوجدنا الحُرّاس على باب البَلَد، فسألونا: مِن أين جئتم؟ وكيف وَصلتم؟ وأين صارت عشيرة عنيزة؟!.

فقال أحدُ الفلاّحين ـ المتواجدين هناك ـ: بينما عشيرة عُنيزة جلوس في خيامهم، وإذا بفارس بيده رمح طويل، فصاح في عشيرة عنيزة وأنذَرهم بالدمار والهلاك، فألقى الله الخوف في قلوبهم، وتركوا المنطقة فوراً.

يقول السيِّد: فسألت ذلك الفَلاّح عن وَصف ذلك الفارس؟ فَوصَفَه لي،

فإذا هو نفسُه الذي رأيتُه عند نهر الهنديَّة[1].

الإمام الحجة ومصائب كربلاء:

رأى أحد المؤمنين الإمام المنتظر عليه السلام في الرؤيا فسأله عن قوله في زيارة الناحية: «**فلئن أخرتني الدهور وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً فلأندبنك صباحاً ومساءاً ولأبكين لك بدل الدموع دما**».

قال سيدي تبكي على أي مصيبة؟ على مصيبة الحسين عليه السلام؟

قال: «**لا لو كان الحسين حاضراً لبكى، سيدي أتبكي على مصيبة أبي الفضل العباس لأنه قطيع اليدين**»؟

قال: «**كلا، لو كان العباس حاضراً لبكى**»، قال: سيدي أتبكي على مصيبة علي الأكبر؟

قال: «**كلا لو كان علي الأكبر حاضراً لبكى**»، سيدي أتبكي على مصيبة القاسم؟

قال: «**كلا، لو كان القاسم حاضراً لبكى**»، إذن سيدي لاي مصيبة

١ـ الإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظُّهور للسيّد كاظم القزويني ص ٣٢٥ ـ ٣٢٧. عن جنّة المأوى للشيخ النوري، الحكاية السادسة والأربعون.

تبكي دما؟

قال: «أبكي لسبي عمتي زينب عليها السلام»[٢].

راعي الثار ما يظهر علامه ... ينشر لليتانونه علامه
نسه بمتون عماته علامه ... ابضرب اسياط زجر وجور اميه
وغدت اسيرة خدرها ابنة فاطم ... لم تلق غير أسيرها مصفودا
تخفي الشجا جلداً فان غلب الأسى ... ضعفت فابدت شجوها المكمودا
نادت فقطعت القلوب لشجوها ... لكنما انتظم البيان فريدا
انسان عيني يا حسين أخيّ يا ... املي وعقد جماني المنضودا
مالي دعوتك لا تجيب ولم تكن ... عوّدتني من قبل ذلك صدودا

أقول: سيدي يا حجة بن الحسن كأنك أيضاً تسمع نداء عمتك زينب فمتي النهوض وتأخذ ثارها وثأر جدك الحسين عليه السلام:

ماذا يُهيجك ان صبر ... ت لوقعة الطف الفضيعه
اترى تجيء فيجعة ... بامضّ من تلك الفجيعه
حيث الحسين على الثرى ... خيل العدى طحنت ظلوعه
ورضيعه بدم الوريـ ... ـد مخضّب فاطلب رضيعه

وهذا شيء ذكرناه استعجالاً تيمناً وتبركاً به وان يكون الختام مسكاً

٢ـ زيارة الناحية ومجمع المصائب: ٢٤.

فعجل الله تعالى فرجه الشريف وسهل مخرجه واجعلنا من انصاره وأعوانه والآخذين بثاره وممن يكر في رجعته ويملك في دولته وتقر عيوننا برؤيته.

«اَللّهُمَّ إنّا نَرْغَبُ اِلَيْكَ في دَوْلَةٍ كَريمَةٍ، تُعِزُّ بِهَا الأسْلامَ وَاَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفاقَ وَاَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنا فيها مِنَ الدُّعاةِ اِلى طاعَتِكَ، وَالْقادَةِ اِلى سَبيلِكَ، وَتَرْزُقُنا بِها كَرامَةَ الدُّنْيا وَالاخِرَةِ».

ونستغفر الله تعالى من الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان انه غفور منان والله عالم بعواقب الامور ومصالح العباد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بعون الله تعالى

١١ ذي القعده/المحرم/١٤٣١

قم المقدسة

الفهرس

المقدمة ٥

زيارة السيّدة أمّ البنين عليها السلام ١١

المجلس الأوّل

حول نسب ام البنين عليها السلام وولادتها

من هي أم البنين عليها السلام ١٧

بشائر ولادتها عليها السلام ١٩

تاريخ ولادتها عليها السلام ٢١

منزلتها ونشأتها عليها السلام ٢٥

أولادها الاربعة عليهم السلام ٢٦

مدائحٌ في ولادتها عليها السلام واولادها عليهم السلام ٣٢

المجلس الثّاني

حول زواج أم البنين عليها السلام

زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام: ٣٧

مهمة عقيل عليه السلام: ٣٩

لماذا التشاور مع عقيل؟ ٤٠

تاريخ الزواج المبارك ٤٢

عقيل بخطبها لعلي عليه السلام: ٤٦
الرؤية الصادقة العجيبة: ٤٨
مَهرها عليها السلام ومَهر السنّة ٥٢
من مثلها عليها السلام ولها زوج كعلي عليه السلام: ٥٤
حديث الزواج يصل الى كربلاء ٥٦

المجلس الثّالث

حول أم البنين عليها السلام وماجرى من الصائب على أهل البيت عليهم السلام

ايمانها الراسخ في اهل البيت عليهم السلام ٦٥
أم البنين عليها السلام ومصاب أمير المؤمنين عليه السلام: ٦٧
أم البنين عليها السلام... عند جثمان الامام الحسن عليه السلام ٧٤
وداعها عليها السلام للإمام الحسين عليه السلام واولادها ٧٧
أم البنين عليها السلام تودع زينب وأم كلثوم والاطفال ٨٢
سؤالها من بشر عن الامام الحسين عليه السلام ٨٣
بكائها عليها السلام وزينب عليها السلام على الامام الحسين عليه السلام ٨٥

المجلس الرابع

حول مقام المراة في الإسلام ومنزله أم البنين عليها السلام

المرأة والرجل في مضمار السباق ٨٩
اشتراك الرجل والمرأة في الخطابات الاهيه ٩٢
معايير التفاضل بينهما ٩٥
أم البنين عليها السلام والحياة الزوجية الناجحة ١٠١

أم البنين عليها السلام وذكريات اليمة مع أم كلثوم عليها السلام ١٠٤
وفاء الزهراء عليها السلام لأم البنين عليها السلام في يوم القيامة ١٠٧

المجلس الخامس

إيثار أم البنين عليها السلام على الدنيا وزينتها

زهد أم البنين عليها السلام في بيت أمير المؤمنين عليه السلام: ١١٥
وفائها في بيت الزهراء عليها السلام ١٢١
تمريضها عليها السلام للحسنين عليهما السلام ١٢٣
حرصها عليها السلام على مشاعر ابناء الزهراء عليها السلام ١٢٥
خروجها عليها السلام الى البقيع للنياحه ١٢٨

المجلس السادس

حول التوسل بأولياء الله تعالى

حقيقة التوسل إلى الله وأوليائه ١٣٢
التوسل في القرآن الكريم: ١٣٦
التّوسل في الروايات الإسلامية: ١٣٨
ملاحظات ضرورية في التوسل ١٤٢
مجربات التوسل بأم البنين عليها السلام ١٤٤
إهداء زيارة عاشوراء واطعام الطعام لأم البنين عليها السلام ١٤٦
زينب عليها السلام عند احتظار أم البنين عليها السلام ١٤٩

المجلس السابع

حول كرامات أم البنين عليها السلام

حول كرامات أم البنين عليها السلام ١٥٢
حقائق حول كرامات أهل البيت عليهم السلام ١٥٥
شرائط نيل عناية أهل البيت عليهم السلام ١٥٦
اعتراف المخالفين كرامات أهل البيت عليهم السلام: ١٥٩
أم البنين عليها السلام والكرامات الباهرة ١٦٣
أهديتُ صلواتٌ لها عليها السلام فشفي ولدي ١٦٦
تزوجتُ بفضلها عليها السلام ١٦٨
حملتُ ببركت سفرتها عليها السلام ١٦٩
الإمام الحسين عليه السلام عند مصرع أخيه العباس عليه السلام: ١٧٢

المجلس الثّامن

حول الصبر أم البنين عليها السلام

انواع الصبر ١٧٨
الصبر عن فقد الولد ١٨١
ماتا وأحياهما الله لصبر الأم ١٨٣
اجر الصبر وما يحبطه من الجزع في الرويات ١٨٥
الولد لا يدخل الجنة إلّا مع الأبوين: ١٨٨
اشتهى موت ولده لرؤيا رأها! ١٩٠
تزوّج رجاء أن يرزق ولداً فيموت! ١٩١
دعا الله فرزقه ولداً ثم دعا ليموت ١٩٧
أم البنين عليها السلام وصبرها على فراق اولادها ١٩٨
سؤالها عليها السلام عن وفاء اولادها ٢٠٠

إعلانها عليها السلام مظلومية الحسين عليه السلام على الملأ..... ٢٠١

المجلس التاسع

وفات أم البنين عليها السلام وفلسفة الإبتلاء

البلاء سنّة الحياة..... ٢٠٨
لماذا الإختبار الإلهي؟..... ٢٠٩
الإختبار الإلهي عام..... ٢١١
موقف النّاس من الإبتلاء..... ٢١٣
عوامل النجاح في الإمتحان..... ٢١٥
الرضا بقضاء الله تعالى:..... ٢٢٠
أُسلّمُ لو جعلني الله جسراً الى جهنم ثم أدخلني فيها..... ٢٢٣
وفاة أم البنين عليها السلام او شهادتها ومحل قبرها..... ٢٢٦
اللحظات الاخيرة عند احتضارها عليها السلام..... ٢٣١

المجلس العاشر

حول الموضوع أرض فدك

أرض فدك مِلك للزهراء عليها السلام:..... ٢٤٠
تاريخ أرض فدك:..... ٢٤٢
مطالبة حقها عليها السلام من السلطة الغاصبة:..... ٢٤٤
حواربين الإمام علي عليه السلام وأبي بكر:..... ٢٤٧
شكوى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله:..... ٢٦٧
وصايا فاطمة الزهراء عليها السلام:..... ٢٦٩

المجلس الحادي عشر

مسك الختام عن الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام

الإمام المهدي عليه السلام والمستقبل السّعيد:..... ٢٧٧

ضرورة الاعتقاد بالمهدي عليه السلام : ٢٧٨

حكومة المستضعفين العالمية..... ٢٨٢

فارق اعتقاد أهل العامة مع الشيعة في المهدي عليه السلام..... ٢٨٤

قصة الرمانة:..... ٢٩٠

الإمام الحجة عليه السلام يحامي عن زوار الحسين عليه السلام ٢٩٥

الإمام الحجة عليه السلام ومصائب كربلاء:..... ٢٩٧

الكتاب / المجالس الشجيّة
المؤلف / الشيخ مهدى تاج‌الدين
الناشر / انتشارات المكتبة الحيدريّة ـ قم
الطبعة / الاول
عدد الصفحات : (٣٠٠صفحه)وزيرى
سنه الطبع / ١٤٣١ هـ ق ـ ١٣٨٩
عدد المطبوع / ١٠٠٠ نسخه
المطبعة / شريعت
السعر / ٥٠٠٠ تومان
الشابك ١ـ ٢٢٠ـ ٥٠٣ـ ٩٦٤ـ ٩٧٨
ISBN:987-964-503-220-1